ملوك وأمراء الدولة والدين
فى السعودية



ملوك وأمراء الدولة والدين
فى السعودية

سيد زهران

رقم الإيداع : ٥٨٧٠ / ٩٢
الترقيم الدولى : I. S. B. N : 977-5193-12-5



بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة المترجم :

تتمتع المملكة العربية السعودية بأهمية قصوى في عالمنا المعاصر؛ رغم تباين منابع هذه الأهمية ومستوياتها. فهي تكتسب أهميتها دوليا من كونها أكبر دولة منتجة ومصدرة للنفط وإمتلاكها لأكبر إحتياطي منه؛ وبالتالي تأثيرها المباشر وغير المباشر على الأوضاع الإقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية وباقي الدول الغربية. وكان لهذا التأثير دوراً حيوياً في نسج عرى الإرتباط الوثيق بين البيت السعودي والولايات المتحدة منذ بداية تدفق النفط على رمال الجزيرة العربية، وأثر بالتالي على دورها الإقليمي في الوطن العربي.

وتكتسب المملكة العربية السعودية أهميتها عربياً وإسلامياً؛ لكونها كبرى دول شبه الجزيرة العربية والقيادة الفعلية لدول مجلس التعاون الخليجي ــ دول الثراء النفطي. والأهم كونها تتمتع بوجود الحرمين الشريفين ضمن تخومها؛ الكعبة المشرفة قبلة المسلمين في

شتى أرجاء الأرض، والمسجد النبوى الشريف. وتأكيداً لهذا التشريف الدينى غيَّر الملك فهد بن عبدالعزيز لقبه ليصبح خادم الحرمين الشريفين.

تعتبر المملكة العربيه السعودية من أعرق وأقدم نظم الحكم المندثرة التى لاتنتمى لعصرنا، ناهيك عن إلتصاقها بالإسلام؛ مما يطرح العديد من الإشكاليات الملغزة. فهى دولة يملكها ويحكمها بيت ملكى ـــ البيت السعودى، مذعوما بحلف راسخ منذ البداية مع الدعوة الوهابية، التى تعتبر المظلة والتبرير الأيديولوجى لشرعية الحكم؛ وبالتالى تتحرر من تبعات المساءلة الشعبية أو تحديات محاولات المشاركة فى صنع القرار؛ فضلاً عن تحصينها بدرع إسلامى وغطاء يوصم كل من يحاول مواجهتها أو انتقادها بخطيئة معاداة الإسلام أو الخروج عليه؛ وفى هذا الإطار كانت سياسة البيت السعودى فى منتهى الوفاء للتراث الأموى أو أوضح تجديد وإحياء له.

طبقا لجوهر ومضمون الحلف الوهابى السعودى، إختص الوهابيون بالإشراف على الأمور الدينية: طبعا فى جانب العبادات والسلوكيات الفردية فقط؛ وإختص السعوديون بأمور السياسة والحكم. وهكذا صارت علامات أسلمة المجتمع مقصورة على: إطلاق اللحى، تقصير ثياب الرجال لما فوق الكعبين؛ وعدم مفارقة السواك للفم، وتجنب مصافحة المرأة؛ وعدم مخالطة النساء فى المنتديات والأسواق، وإطلاق المطوعين لتنفيذ كل قواعد السلوك الشكلى بالعصى.

وأما كل ما يتعلق بسياسة المجتمع وإدارة أمور الدولة فلا دخل للوهابين به ؛ وما عليهم إلا الدعاء لولاة الأمر. ومن الطرائف والنوادر التاريخية التى توضح هذا التناقض فى فهم طبيعة المضمون الإسلامى ؛ عندما أدخل آل سعود خطوط الهاتف لأول مرة إلى شبه جزيرة العرب ؛ وفى أول إتصال هاتفى تحدث الملك السعودى فى حضرة كبار المشايخ الذين أعربوا عن إستيائهم ونقمتهم من هذا الفعل الشيطانى ، وما كان من الملك السعودى بفطنته وذكائه إلا أن طلب من المتحدث على الطرف الآخر للخط الهاتفى أن يتلو آيات ، من القرآن الكريم ، وطلب من المشايخ سماع ما تنقله سماعة الهاتف ؛ وعلى الفور سبح الجميع لله وآمنوا أن هذا الشىء العجيب من الجن المسلم !! ولا ضير فى إستخدامه ، وبارك الله المليك .

وهكذا برهنت الوهابية على كونها أمضى سلاح وأقوى تبرير لبسط نفوذ البيت السعودى منذ البداية ، وترسيخ حكمه حتى الآن . والوهابية كدعوة إسلامية من أشد تيارات الفقه الحنبلى تشدداً وإلتصاقاً بالفهم الشكلى للإسلام ؛ وربما هذا الجانب يلائم طابع البداوة أو تعبير عنه .

لكن منذ بداية نشوء الدعوة الوهابية ، أثارت ردوداً ومعارضات إسلامية لها ؛ حتى من داخل البيت الوهابى نفسه . وكان أوضح رد أو هجوم على الدعوة الوهابية بسبب إغراقها فى تكفير مخالفيها ، وهو الميراث الذى تجدد فى الدعوات التكفيرية التى ظهرت حديثاً حتى خارج شبه الجزيرة العربية .

جاء أقوى وأوضح هجوم على الدعوة الوهابية من داخل البيت الوهابى نفسه ، حيث نجد العلامة الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدى شقيق الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد ألف كتاباً أسماه :

«الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية»

وقد حققه وقدم له وعلق عليه الباحث الإسلامى إبراهيم محمد البطاوى ، والذى يقول فى تحقيقه :

«المعركة التى يخوضها مولف هذا الكتاب الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدى ضد أوهام شقيقه مؤسس الحركة الوهابية الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدى المولود فى إقليم نجد حيث ظهر مسيلمة الكذاب الذى إدعى النبوة فى اليمامة من نجد وفتن بعض المسلمين... وظهرت الدعوة الوهابية أيضاً فى إقليم نجد وتشددت فى إحياء الفكر الظاهرى ومقولات إبن تيمية فى إنكار الوسيلة مع ثبوتها لحضرة النبى ﷺ ، والقول بالعلوية المادية لذات الحق سبحانه ، وإنكار زيارة القبور لاسيما قبور الصالحين مع ثبوت السنة بالحث على زيارتها.. وقد جنى هذا الفكر على قطاع ضخم من شباب العصر الحديث فحكموا على أبائهم وإخوانهم بالكفر بذات الكلام إقتداء بالوهابية الحديثة التى تفرع منها جماعات التفكير والهجرة * .

---

* الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية ــ العلامة الشيخ سليمان بن عبدالوهاب ، حققه وقدم له وعلق عليه إبراهيم البطاوى ــ القاهرة ــ دار الإنسان ــ ١٩٨٧ ص ١١ ــ ١٢ .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالوهاب فى مقدمة صواعقه:
«اليوم إبتلى الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومها ولا يبالى من خالفه وإذا طلبت منه أن يعرض على أهل العلم لم يفعل بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الإجتهاد ولا والله عشر واحدة ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال، فإنا لله وإنا إليه راجعون. الأمة كلها تصيح بلسان واحد ومع هذا لا يرد لهم فى كلمة بل كلهم كفار. أو جهال (اللهم) إهدى الضال ورده إلى الحق *.

يكرس الشيخ سليمان عبدالوهاب صواعقه الإلهية لدحض كل مقولات شقيقه والتى بينت عليها الدعوة الوهابية وإستمرت حتى الآن.

---

* المرجع السابق ص٢٦.

المسجد فى مواجهة القصر

مع ذلك ؛ شكل التيار الشبابى تحت العباءة الوهابية تحدياً للقصر السعودى ؛ فلقد إتجه هذا التيار المعروف بـ« الإخوان الجدد » إلى معاداة حكم آل سعود. ولقد بدأ هذا التيار فى المدينة ومكة تحت رعاية كبار رجال الدعوة الوهابية وعلى رأسهم الشيخ عبدالعزيز بن باز، وفى بداية الستينيات وتحت ضغط نمو عملية التحديث وربما لمواجهة تصاعد المعارضة المدنية للقوميين والقيادات . العمالية ، أولت الدولة رعاية خاصة لهذا التيار، وتشكلت مجموعات عرفت :. بـ« بيوت الإخوان » حيث قام جهميان العتيبى بدور قيادى وأسس قسما للرحلات ، يجول أطراف المملكة للدعوة. وفى تطور لاحق بدأ جهيمان أولى خطواته معارضته للبيت السعودى ، طبعاً مدفوعاً بفهمه الظاهرى الشكلى للإسلام ؛ حيث لجأ إلى طمس صور وأسماء الملوك السعوديين على أوراق البنكنوت بالحبر الأسود، ثم تطور إلى نقد سلوكياتهم

الشخصية لمنافاتها للقيم الإسلامية، وفى نهاية السبعينيات شن جهيمان العتيبى معارضة البيت السعودى بإقتحام الحرم المكى الذى إنتهى بالقضاء على قوات جهيمان وإعدام وسجن من تبقى من فلولهم. وأطلق الإعلام الدينى أبواق تكفير مضاد لمن كفروا الحكم وخرجوا عليه، وبدأوا فى سرد مناقب وأفضال آل سعود على الإسلام والمسلمين.

ولمعرفة ظروف وتطور حركة الإخوان الجدد؛ ذيلنا الكتاب بوثيقة هامة هى دراسة بعنوان: ثورة فى قلب مكة.

شهدت الأعوام التالية لحادث إقتحام الحرم إزدهار مؤقت ومحسوب وإتاحة مزيد من الحريات للتيار التحديثى، كنوع من التوازن مع تعاظم قوة الأصوليين الوهابيين. وظلت هذه الفورة على السطح فقط وعلى صفحات المجلات والصحف حيث شهدت المملكة نهضة إعلامية بتأسيس وتكوين عديد من المؤسسات الصحفية الموالية للبيت السعودى. وكلما تجاوزت تلك الصحوة الحد المرسوم لها تواجه بقمع أو إستئصال باتر وشرس.

حرب الخليج وتجدد الصراع

ولعبة التوازن

مع تدفق القوات الأمريكية وإنتشارها على رمال الصحراء العربية بتعداد تجاوز النصف مليون مقاتل أمريكى، إصطحبوا معهم كل وسائل الترفيه والراحة والمعيشة الأمريكية، وأنماط

سلوكية تتناقض مع قيم المجتمع السعودى. بدأت عملية تحريك المياه الراكدة داخل المجتمع، فضلاً عن كون السعودية فى تلك الأثناء مركز جذب وإهتمام لكل وسائل الإعلام الأمريكى والغربى، فلم تخلو صحيفةو أو مجلة أو محطة تليفزيون أو إذاعة من موضوع عن السعودية.

وكان القاسم المشترك لتغطية الإعلام الغربى للسعودية إبان الفترة من أغسطس ١٩٩٠ حتى فبراير ١٩٩١؛ هو مناقشة الطابع المندثر للحكم فى السعودية، وغياب أى أثر للديمقراطية فى المجتمع؛ فضلاً عن إنتقاد البيت السعودى وكشف الكثير من الفضائح المثارة حوله، كما فعلت مجلة نيوزويك مراراً؛ حتى فيما يتعلق بالملك نفسه عندما نشرت موضوع غلاف فى أحدا أعدادها بعنوان «الملك البلاى بوى» «الملك اللعوب !!».

وفى ١٣ إكتوبر ١٩٩١ كتبت صحيفة الإندبندنت تقريراً عن السعودية بعنوان: «المملكة الخرساء» ناقشت غياب الديمقراطية وحقوق الإنسان.

وفى ظل هذه الأجواء والاهتمام العالمى، ووجود القوات الأمريكية بما فيها من نساء كثيرات يقمن بنفس مايقوم به الرجال من أعمال، وجدت بعض السيدات السعوديات الفرصة متاحة لإنتزاع حقهن فى قيادة السيارات؛ حيث يحظر عليهن قيادة السيارة داخل المملكة وفى يوم «التاسع» من نوفبر عام ١٩٩٠، تجمعت ٤٩ إمرأة فى مدينة الرياض وقمن بقيادة سياراتهن، وخلال ساعات

قليلة تم إعتقالهن وإقتيادهن إلى وزارة الداخلية والتحقيق معهن، وإفراج عن النسوة، وبقى بعض أقاربهن من الرجال رهن الإعتقال بتهمة التحريض.

على الفور إنطلقت جوع المطوعين والأئمة الوهابين لتجريم فعلة النساء الشنعاء، وتم سبهن ونعتهن بأوصاف بذيئة فوق المنابر، وعلى صفحات المنشورات، وإعتبرن ساقطات داعيات إلى الرذيلة !!

وتصاعدت موجة المعارضة الوهابية لتشمل عديد من القيادات الحاكمة فى الإعلام وطالت ممن طالت الأمير فيصل بن فهد المسئول عن رعاية الشباب، والوزير على الشاعر وزير الإعلام، ورؤساء تحرير الصحف، والتليفزيون والإذاعة، وتوج كل هذا ببيان رجال الدعوة الوهابية الموجه إلى الملك فهد بن عبدالعزيز (نص البيان ملحق بالكتاب).

وفى الذكرى الأولى لظاهرة قيادة السيارات أصدرت الخطوط السعودية أمراً يلزم المضيفات العاملات فى خطوط الطيران السعودى بإرتداء الحجاب، وإعتبرته صحيفة نيويورك تايمز «**ضربة أخرى للأقلية الليبرالية وتأكيد بأن الإصلاح لن يتأتى إلا من قبل الأسرة الحاكمة**».

وكالعادة جاء رد البيت السعودى؛ فى مواجهة المطالب بإشاعة قدر من الديمقراطية والمشاركة الشعبية فى الحكم مزدوجاً :

ــ إطلاق العنان للقوى الأصولية الوهابية .

ــ الوعد بإنشاء مجلس شورى .

هذا الوعد الذى إعتبر لازمة تتكرر كلما وقعت أزمة للبيت السعودى منذ الخمسينيات وحتى الآن ، فهل يحدث ؟

هذا أمر متروك لما ستسفر عنه التطورات اللاحقة .

لكن المؤكد أن البيت السعودى لن يسمح بالتنازل لأحد عن أدنى قدر لمزاحمته السلطة . وهذا ميراث ثابت غير قابل للتخلى عنه .

بقيت لى كلمة حول هذا الكتاب :

« الدين والدولة فى السعودية » لمؤلفه الباحث الأكاديمى أيمن الياسينى ، والذى أقدمت على ترجمته تقديراً لما يقدمه للقارىء من معرفة وإلمام بقدر من تطور دولة البيت السعودى وتحالفها مع الدعوة الوهابية .

لكن رغم ثراء مادته وأصالة بحثه يفتقر الكتاب لمعرفة عميقة بالفكر الإسلامى وجذور الدعوة الوهابية وموقعها على خارطة المدارس والتيارات الفكرية والفقهية الإسلامية ، ومن جانب آخر دراسة إنعكاس هذا التحالف على تبرير بعض صلات وعلاقات البيت السعودى العربية والخارجية .

وأرجو أن أكون بتقديمى هذا الكتاب قد أسهمت ولو بقدر فى

تقديم مادة معرفية للقارىء العربى ، تبتعد كثيراً عن تلك الكتابات التى تجنح للنبش فى الملفات الشخصية والإثارة دونما الإسهام فى تنوير قارئها .

وأرجو ألا أكون قد أخطأت كثيراً .

سيد زهران

الباب الأول

الدين والدولة فى الإسلام

مقـــدمة :

لم تتصور نظرية الدولة السياسية الإسلامية فى شكلها التقليدى الفصل بين الدين والسياسة. طالما لا يوجد فى الإسلام مؤسسات دينية هرمية مماثلة لتنظيم الكنيسة المسيحية، وتوضح التجربة التاريخية للمسلمين تركيز السلطة بأيدى «السلطة الزمانية السياسية». وكان الخليفة أميراً للمؤمنين وخليفة للنبى. يعهد إليه بإقامة العدل وتطبيق أحكام الشريعة مع ذلك، بدأ علماء الدين إبعاد أنفسهم عن سلطان الدولة للحفاظ على قدر من استقلالهم الذاتى. وتحقق ذلك من خلال :

(١) الإنتقال التدريجى لمراكز السلطة لأيدى العناصر الغير عربية مثل الفرس، الترك، المغول إبان الحكم العباسى.

(٢) الإنهيار العام الذى لحق بالدولة الإسلامية.

أيقظت هذه التطورات علماء الدين الذين خشوا تأثيرها على

مكانتهم وعلومهم ، وهم كما نصبوا أنفسهم ، زعماء الدين ، حراس الشريعة وهم وحدهم المفسرين لها وشراحها .

فى التاريخ الحديث ، واجهت المجتمعات الإسلامية وقائع جديدة ، إنهيار وتقسيم الامبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ، مما أدى إلى ضياع أكبر وحدة سياسية جسدت شكل إتحاد إسلامى . ثم واجهت المجتمعات الإسلامية حضارة الغرب بحركيتها وديناميتها وأصبح المسلمون مدفوعون لإنشاء دولهم الحديثة والحفاظ على هويتهم . فى إطار هذه العملية ، طرحوا هذا السؤال :

● ما هى التغييرات التى ينبغى إدخالها على العلاقة بين الدين والدولة لتلائم الواقع الجديد ؟

وإفترضت التجارب اللاحقة للدول الإسلامية أن العلاقة الحالية بين الدين والدولة تعمل وفق :

١ ــ لا تستطيع الدولة التسامح مع أى نشاط دينى يستقل عنها خشية مزاحمتها على كسب ولاء الشعب . ذلك نظراً لإحتكار الدولة للسلطة والموارد ، وحاجتها لمستوى عال من الإستقلالية .

٢ ــ هكذا ، بسطت الدولة سلطانها على النشاط الدينى وإستخدمت القيادات الدينية والمؤسسات لدعم وجودها .

٣ ــ وظفت الدولة القيم الدينية لتقوية سلطتها وشرعيتها .

٤ ــ لن تتردد الدولة فى قمع المؤسسات الدينية إذا إعترضت وتحدت سلطتها .

الأفكار السابقة تلائم دراسة العلاقة بين الدين والدولة فى السعودية. حيث يوجد عرش ملكى من المكليات القليلة الباقية فى عصرنا. ومازال يستند نظامها السياسى والإجتماعى، لحد بعيد، على المبادىء والممارسات التقليدية الموروثة. وتستند شرعية حكم آل سعود على مزيج من المبادىء الدينية والملامح العشائرية القبلية. والسعودية تعتبر فى رأى معظم المسلمين، دولة أصولية، القرآن دستورها، الشريعة مصدر قوانيها ونظمها.

مع إكتشاف البترول فى الثلاثينات حدث تغير فى مجالات التعليم، التحضر، الصناعة، البيروقراطية وبدأت النخبة السياسية سعيها للحفاظ على القيم التقليدية بينما تحاول تحقيق التطور المادى.

ناقشت هذه الدراسة العملية المعقدة التى تلاشت فى إطارها العلاقة التقليدية بين الدين والنظام السياسى فى السعودية الحديثة وتطرح الدراسة سؤالين:

ــ هل ستتزايد الخلافات بين دور كل من الدين والدولة؟

ــ أم ستتم تسوية مؤقتة، وتوفيق بين الدين والدولة، بحيث تبطىء الدولة من إيقاع التغيير، وتتقبل النخبة الدينية بعض مستويات التغيير؟

إعتمدت هذه الدراسة فى رؤيتها للدين على تعريفه بإعتباره منظومة من الأفكار والمؤسسات يفترضها الإيمان بوجود الله. وتؤثر هذه الأفكار والمؤسسات فى المجتمع وتتأثر به. والنظام السياسى،

يتكون أساساً من أفكار ومؤسسات، وأيديولوجية الدولة ـ أو الوسائل التى بها تصنع القرارات السياسية. والنظام يهتم أكثر من الدين بالمعايير والقوانين الإجتماعية التى تحدد: كيف، ومن الذى يستخدم السلطة لتحقيق الأهداف الاجتماعية. ولجوء الحكومة لإستخدام السلطة القهرية أمر ضرورى، أساساً، للحفاظ على التوازن الإجتماعى، نظراً لمحدودية العائد المرتقب وتصارع كل من الأفراد والجماعات عليه. ولذا، يمكن وصف الدولة أو النظام السياسى بإعتباره منظومة من المعايير والبناء المؤسس الذى يقرر العملية التى تمارس بها السلطة.

الفصـــل الأول

الإسلام بين النظرية والواقع

إفترضت النظريات السياسية الإسلامية التقليدية أن الحفاظ على الشريعة وفرض الالتزام بتعاليمها هو هدف الحكومة فى الإسلام. ويتمسك السلفيون بفكرة الحاكمية لله (الله وحده هو الحاكم) ومصدر كل السلطات. وهكذا لا يعترف الإسلام بالفصل بين الدين والدولة. ويصبح أعضاء جماعة المسلمين (الأمة) رعايا وعبيد الله، وقوانينهم مقدسة، وممتلكات المسلمين ملك لله، ويصبح جيشهم، جيش الرحمن، وأعدائهم، أعداء الله [1]. وتجىء الحاجة لحاكم دنيوى للحفاظ على الشريعة «ويصبح دوره جزء من المصير المقدر للبشرية» [2]. وتبعا لتجاوز الأمة الإسلامية لكل الحدود السياسية والفواصل الثقافية، وإختلافها عن الجماعة غير

---

(١) برنارد لويس «السياسة والحرب» فى «تراث الإسلام» يوسف شاخت، يوزوارث مطبعة إكسفورد، ١٩٧٤ ص ١٥٩.

(٢) نفس المرجع ص ١٦٠.

المسلمة، تتأتى بضرورة وجود حاكم واحد يتولى إدارة شئون المسلمين، وتعتبر طاعته واجب دينى ملزم.

واجهت الأمة الإسلامية بعد وفاة النبى محمد ﷺ (٦٣٢ ميلادية) ثلاث أزمات؛ لعدم ترتيب وتحديد خليفة الرسول، وأثرت هذه الأزمات تأثيراً عميقاً فى الفرضيات التقليدية المتعلقة بالعلاقة بين الدين والدولة:

الأولى: ظهور الصراع بين المهاجرين والأنصار. عندما أصرت كل جماعة على حقها في تنصيب خليفة للرسول من بين بطونها (٣).

الثانية: لجوء بعض زعماء القبائل للإستقلال عن الخليفة الجديد، وكانت ذريعتهم أن ولائهم للرسول قد إنتهى بوفاته.

الثالثة: نشوب حرب أهلية بين على ابن عم النبى محمد ﷺ وزوج إبنته (فاطمة الزهراء) من جانب، ومعاوية بن أبى سفيان الوالى على سوريا. أدت هذه الحرب إلى فرقة وتشرذم المسلمين. حيث مارست الفرق الإسلامية المنشقة عقب هذه الحرب تأثيراً مباشراً على مفهوم الحاكم وشكل الدولة.

ظهرت عدة نظريات سياسية تتفق كلها على أن هدف الحكومة الإسلامية هو الحفاظ على الشريعة وفرض مبادئها، لكنها

(٣) المهاجرون هم صحابة النبى ﷺ الأول الذين هاجروا من مكة عام ٦٢٢م هرباً من عواقب إعتناقهم الإسلام. والأنصار هم أهل المدينة الذين أووا محمد ﷺ وهم وراء أول إنتصار للإسلام.

تختلف حول الشروط الواجب توفرها فى الخليفة، وكيفية إختياره [٤]. وركزت هذه النظريات على الحاكم، علاقته بالمجتمع. واستخدمت الدين والرموز الدينية لتبرير وضعية ومكانة الحاكم، بل ووضعت هذه النظريات لتأييد حاكم أو إدانة آخر.

ويهدف هذا الفصل لمناقشة التفاعل بين النموذج الإسلامى للحكومة والواقع، واستخدام نتائجه لتقييم الحكومة فى العالم العربى الحديث.

الإطار التاريخى: الأمة الإسلامية والصراع على السلطة.

الدولة الرسولية:

بدأت الدولة الإسلامية الأولى بهجرة الرسول إلى يثرب (المدينة) عام ٦٢٢ ميلادية [٥]. وإتسمت هذه الدولة بطابع مزدوج: فهى جماعة دينية، يحددها قبول أعضائها لنبوة محمد وإيمانهم بالإسلام. من ناحية أخرى، هى جماعة سياسية يترأسها محمد، رجل الدولة. الذى وضع حدا فارقاً بين إدارته لأمور الحياة

(٤) لويس «السياسة والحرب» ص ١٦٠.

(٥) يثرب هو إسم المدينة قبل الإسلام. حيث تنقسم رسالة النبوة المحمدية إلى مرحلتين، الأولى فى فترة حياته بمكة، مسقط رأسه، وفيها تلقى الوحى حتى هاجر منها مع بعض أتباعه، هرباً وفراراً من تعذيبهم. والمرحلة الثانية حياته فى المدينة وهى مرحلة هامة لدارس النظرية السياسية الإسلامية حيث أقيمت بها أول أمة إسلامية وطبقت المبادىء الإسلامية. ولأن هجرة محمد ﷺ إلى المدينة تميز تأسيس الجماعة الإسلامية، إختار الخليفة عمر بن الخطاب هذا العام الهجرى لبدء التقويم الإسلامى.

اليومية للجماعة، ودوره الدينى تبعاً للوحى الذى يتلقاه من الله. ففى الأمور الدنيوية، كان يتعامل معها بقدرته كزعيم دنيوى للجماعة. ولقد عبر عن هذا الطابع الثنائى فى الحديث النبوى :

« إستفتونى فى كل ما يتعلق بأمور دينكم، وأنتم أعلم بأمور دنياكم » (٦). وبممارسته لهذا المبدأ، عالج النبى محمد بعض الأمور غير الدينية للجماعة من خلال التشاور مع أصحابه، وفى النهاية يأخذ بقرار الأغلبية حتى لو جاء ضد رغبته. وأكد أبو هريرة ـ أحد صحابة الرسول ورواة الحديث الموثوق بهم ـ هذا الرأى (ليس هناك من استشار أصحابه مثل النبى).

الخلافة مؤسسة إنتخابية :

إكتملت رسالة النبوة بوفاة محمد ﷺ عام (٦٣٢م). تشكل تراثه من دولة موحدة لها دافع قوى للتوسع. وأصبحت قيادة الجماعة بحاجة إلى وجود خليفة للنبى يتولاها. وهكذا ظهرت جماعتان لهما خلفيات إجتماعية وأيديولوجية مختلفة : المهاجرون والأنصار. هذا رغم مظهر الوحدة الذى اتسمت به جماعة المسلمين. وتصارعت الجماعتان على قيادة الجماعة؛ وفى النهاية، وبعد مداولات طويلة، تحقق الإجماع وأختير أبو بكر ـ أول صحابة الرسول والملقب بـ (الصديق) فهو أول من آمن بنبوته ـ خليفة للرسول ﷺ. وباستثناء الوحى، كان واجب الخليفة، التمتع

(٦) أنظر أحمد بن حنبل «المسند» مجلد ٣ ص ١٥٢، بيروت : دار النشر. د. ت.

بنفس السلطة والقيام بنفس المسئولية التى كانت للنبى محمد ﷺ. ولعب الدور الدينى للإمام، وأصبح رمز الوحدة الإسلامية. وبإعتباره رأس الدولة وقائدها، أصبح الخليفة الجديد أميراً للمؤمنين، ومسئولاً عن أداء كل الأنشطة المرتبطة بالشئون الداخلية، والخارجية للدولة. وهو المسئول عن الحفاظ على مبادىء الشريعة وتطبيقها وإدخال سبل الرخاء المادى للجماعة، والدفاع عن دار الإسلام وتوسيع رقعتها، وهو المسئول عن كل ملامح إدارة الدولة وأدائها تبعا للشريعة (٧).

ما أن تولى أبو بكر منصبه، أعلن المبادىء التى ستوجه حكمه: «أصبحت حاكماً عليكم ولست بخيركم، اعينونى إذا ما أصبت، قومونى إذا ما أخطأت. قول الصدق من الإيمان، الكذب خيانة. الضعيف منكم قوى عندى حتى أخذ الحق له، بعون الله، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى أخذ الحق منه.. أطيعونى طالما أطعت الله ورسوله، وإن عصيت فلا طاعة لى عليكم».

تتضمن خطبة أبى بكر مبدأ هام للحكومة الإسلامية. وينبغى أن يتمسك الفكر السياسى الإسلامى حتى بعد تحول الحكم فى الواقع ليعتمد تماما على النظام الوراثى والملك العضوض الذى يدوم بالقوة والقهر. ويتمسك هذا المبدأ بإرتباط طاعة الحاكم

(٧) أنظر أروين روزنتال «الفكر السياسى فى العصر الإسلامى الوسيط» كمبردج إنجلترا، مطبعة كمبردج، ١٩٦٢ ص ٦١ــ ٦٢، لويس «السياسة والحرب ص ١٥٩.

وإلزام الأمة بها ؛ بحفاظه على تطبيق الشريعة ، وعندما يتجاهل مبادئها أو ينتهك تعاليمها يصبح من حق الجماعة خلعه والإطاحة به (٨) .

إختار أبو بكر قبيل وفاته عام ٦٣٤م عمر بن الخطاب خليفة له ، وأقر كبار الصحابة وجماعة المسلمين إختياره . وأظهر عمر مواقف جديدة خلقها انتشار الإسلام وفتوحاته . وشجع ولاة الأمصار على استنباط أحكامهم من القرآن ، والسنة النبوية (أقوال الرسول ، سلوكه وأفعاله) . ومن الإجتهاد العقلى . وأمر عمر نوابه وولاته (لا تترددوا فى التراجع عن قراركم بمجرد علمكم بأنه غير عادل ؟ فهذا أفضل من الاستمرار فى الخطأ ، وإجعلوا العقل قائدكم) (٩) . ولصياغة منهج للخلافة ، أنشأ عمر مجلس شورى مكون من ٦ أعضاء من أهل الحل والعقد فى الجماعة ، وخول لهم حق إختيار خليفته من بينهم .

ظهور الفرق الإسلامية ونشأة الحكم الوراثى :

فى أعقاب وفاة عمر بن الخطاب ، اختير عثمان بن عفان خليفته وهو صحابى تقى ومؤمن ورع ورجل إحسان ، لكنه ضعيف متردد ، سيطر عليه أقاربه ، وأدى انتشار الفساد بين عماله وولاته

---

(٨) وردت فى أبى الأعلى المورودى « الفكر السياسى فى فجر الإسلام » وجاءت فى « تاريخ الفلسفة الإسلامية » إشراف مهدى شارف ، مجلد ١ ، فيزبادن أوتو، ١٩٦٣ ص ٦٢٢ .

(٩) أمير حسان صديقى « المؤسسات الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين » ، « صوت الإسلام » ١٠ يناير ١٩٦١ ص ١٨٨ — ١٨٩ .

إلى تصاعد السخط ضد حكمه ــ وجاء وفد من مصر إلى المدينة عاصمة الدولة عام ٦٥٥م وطالبوا بتخلى عثمان عن الحكم ، لكنه رفض ، معلنا للمرة الأولى فى التاريخ الإسلامى ما يمكن إعتباره الحق الإلهى فى الحكم ؛ عندما أبلغ معارضيه (لن أخلع الرداء الذى ألبسنى الله إياه [١٠]. لكنه اغتيل ، وبموته ، تمزقت الرابطة والعروة التى جمعت شمل الجماعة الإسلامية [١١].

بعد اغتيال عثمان اختير على بن أبى طالب خليفة للمسلمين ، لكن ، رفض معاوية بن أبى سفيان ، وعائشة زوج الرسول إعطاءه البيعة ونشبت حرب أهلية دامية ؛ انتهت بانتصار معاوية وإقامة دولة الأمويين (٦٦١ ــ ٧٥٠م) [١٢]. وأصبحت الخلافة ملك دنيوى زال بعد إستيلاء العباسيين على السلطة. وفى ظل الحكم العباسى ازدهرت الحضارة الإسلامية ؛ واعتبرت الفترة من ٧٥٠

---

(١٠) محمد ضياء الريس ، النظرية السياسية الإسلامية ، القاهرة : ١٩٦٦ــ ص ٤٢.

(١١) برنارد لويس «العرب فى التاريخ» نيويورك ، هاربر ، رو ١٩٦٠ ص ٦٠.

(١٢) طالب معاوية من أبى سفيان بالتحكيم ، وإحتكم إلى أبى موسى الأشعرى الذى طلب من كليهما (معاوية ــ والإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه) ، وقف القتال والإمتثال لنتائج التحكيم ، التى جاءت لصالح معاوية ، والذى كان بالفعل قد إنتزع السلطة السياسية فى الشام ، وآلت إليه آلة الدولة فى دمشق. بينما كان موقف الإمام على يزداد ضعفاً ، لما آل إليه وضع قواته وما سادها من إنقسام. حيث إختلف مؤيدوه حول معنى الشرعية ؛ وأحقيته فى تولى منصب الخلافة ، وكان منهم شيعته الذين عرفوا فيما بعد بالشيعة ، ومنهم الخوارج الذين رفضوا التحكيم رغم إجبارهم عليا على قبوله فى البداية ، وأعلنوا الحرب على الفريقين.

إلى ١٢٥٨م «العصر الذهبى» للإسلام. ومع ذلك إنقسمت الامبراطورية الإسلامية، وسادت سيطرة العناصر غير العربية على المسرح السياسى. ومع وجود خليفة واحد لكل الأمصار الإسلامية، أصبح لكل ولاية حاكم مستقل، يتوارث أبناءه الحكم (١٣). فعلى سبيل المثال، أسس الأمير الأموى عبد الرحمن (الداخل) دولته فى أسبانيا المسلمة عام ٧٥٦م، متحديا ومعارضاً الخليفة العباسى. وظهرت ملكيات مستقلة فى المغرب، تونس إيران، مصر، سوريا، وبعض أجزاء من العراق حيث عاصمة الخلافة، وظل هذا طابع الفترة من نهاية القرن الثامن حتى بداية القرن العاشر الميلادى. وللتوفيق بين حكام الولايات الأقوياء، والحفاظ على رمز الوحدة، ظهر تقليد يعترف فى إطاره قادة الولايات بالسيادة الاسمية للخليفة العباسى بإعتباره زعيم المسلمين، وهو من جانبه يصدر «مرسوم» تعيينهم ليكسب حكمهم الشرعية (١٤). وأدى تطور آخر إلى تفاقم تحلل النظام السياسى؛ فرغم وجود خليفة واحد لديار الإسلام، أصبح ــ مع حلول عام ٩٢٩م ــ هناك ثلاث خلفاء للمسلمين: الخليفة الأموى فى أسبانيا، الخليفة الفاطمى فى مصر، الخليفة العباسى فى بغداد.

أدخلت بعض نظم القضاء والإدارة الفارسية والبيزنطية إبان الحكم العباسى، نتيجة لتأثير الإدارة والعناصر غير العربية.

---

(١٣) لويس (السياسة والحرب) ص ١٦٦.

(١٤) نفس المرجع.

وبتأويل تحريفى للقرآن، تم تعظيم وتمجيد مكانة الخليفة. فعلى سبيل المثال، حاول البعض، إستناداً إلى الآية القرآنية «إنى جاعل فى الأرض خليفة» والتى يخاطب فيها الله ملائكته، حاولوا وضع منصب الخليفة فوق مكانة الملائكة والأنبياء (١٥).

أيضاً ظهرت إبان الحكم العباسى مؤسسة علماء الدين. فالإسلام كما أوحى الله به إلى النبى محمد ﷺ لم يتضمن كهانة، والخلفاء كانوا مجرد رؤساء للجماعة، ولم يتمتعوا بسلطة دينية. لكن تدريجيا، تطور وضع البعض بالتخصيص فى الوظائف الدينية، والقاسم الأعظم كان من حفاظ القرآن، ورواة أحاديث الرسول. وظهرت بعض المذاهب الفقهية، لكل منها تفسير خاص لمبادىء الشريعة. وبإتساع وانتشار الإسلام إبان الحكم الأموى والعباسى، تزايد الحاجة لوجود مذاهب قضائية (١٦). وفى هذا الخصوص كتب ويليام مونتجمرى عن ظهور مؤسسة العلماء:

إذا كان ضرورياً إختيار القضاة من بين أولئك المدربين فى مدارس قانونية، فينبغى أن يكون تدريباً رسميا. وهكذا أصبح هناك متخصصون فى المجالات الدينية المختلفة، وتلقوا تدريباً دقيقا برعاية أساتذة ثقاة، وأصبحوا أعضاء فى جماعة العلماء، الذين يختار

(١٥) ويليام مونتجمرى وات (الفكر السياسى الإسلامى) ادنبرج: مطبعة جامعة أدنبرة، ١٩٦٨ــ ص ٣٧.

(١٦) أنظر: نيكى كيدى ــ محرر، (المتصوفة، المشايخ، العلماء) بركلى مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٨.

منهم القضاة أو الموظفين. وجسدت طائفة العلماء المؤسسة الدينية والتى لعب أعضاءها البارزون دوراً فى صياغة مبادىء الشريعة فى قواعد وقوانين تطبق فى المجتمع» (١٧).

رغم الإدعاء بأن العلماء وحدهم المفسرون لمفاهيم الشريعة، إلا أنهم أصبحوا جزءاً من إدارة الدولة، وفقدوا إستقلالهم. وفى علاقتها بالعلماء، أدركت الدولة مصداقية وهيمنة الشريعة، لذا تجنبت التدخل الصريح فى مبادئها، بل أحياناً استشارت العلماء البارزين، وعينتهم فى مواقع المسئولية. من جانبهم، تجنب العلماء التورط فى العمل السياسى. وعندما قبلوا الوظائف، فعلوها كارهين. وفى البداية، رفضوا خدمة الدولة لأنهم اعتبروها اداة (قهر) وكما ذكر الإمام الغزالى أن عوائد الدولة يتم تحصيلها بوسائل التسلط والقهر لهذا فإن من يقبل العمل لدى الدولة يصبح متورطاً فى القهر والقمع، ويصبح مذنباً وشريراً (١٨). بطبيعة الحال، هناك علماء كثيرون خدموا السلطة السياسية، لكن الشعور العام للعلماء تجاه الدولة كان يعتبرها دنس ينبغى تجنبه.

إنهيار الخلافة وظهور السلطة :

من الناحية النظرية، على الخليفة وعماله الحكم تبعا لحدود الشريعة وتعاليمها، كما يفسرها العلماء. لكن فى الممارسة العملية

(١٧) ويليام مونتجمرى وات (مجلد الإسلام الغابر) نيويورك، دار نشر براجر ١٩٧٤. ص ١٠٩.

(١٨) برنارد لويس (الإسلام والوطن العربى) نيويورك، ألفريد نويف، ١٩٧٧ ص ٢٤.

كان العلماء لا حول لهم ولا قوة، عاجزين عن مواجهة إنحراف الحكام، وإساءة إستخدام السلطة. وفضلاً عما تعرض له منصب الخليفة من تقليص لسلطته عام (٩٣٥م) ليقتصر على إمامة المسلمين فى الصلاة، والتصديق على تولى الحكام الفعليين فى الولايات المختلفة للإمبراطورية العباسية. ففى عام ٩٤٦م على سبيل المثال، خلع البوهيون الشيعة الفرس ــ حكام بغداد الفعليين ــ على حكامهم لقب «أمير الأمراء» ليتميز عن لقب الخليفة العباسى ويتفوق عليه. حتى حكام الولايات المستقلة ألغوا لقب السلطان، ورفضوا الخضوع الإسمى له[19]. ومع استيلاء السلاجقة على السلطنة فى القرن الحادى عشر، وتقسيم السلطة بين الخليفة بإعتباره الرئيس الدينى للجماعة، والسلطان الحاكم المسئول عن أمور الدولة. فالسلطان يختار ويعين الخليفة، والخليفة بدوره يبرر الشرعية الدينية للحكم. أو بكلمات أخرى (الخليفة يملك ولا يحكم، أما السلطان يملك ويحكم»[20].

سقطت الخلافة عام ١٢٥٨م، عندما غزا المغول العراق وأعدموا الخليفة العباسى، وألغوا مؤسسة الخلافة.

منذ بداية الغزو المغولى، حكم السلاطين بمفردهم، لا منازع لسلطانهم على دولهم إبان ذلك نصب مماليك مصر «خلفاء صوريين» قبل أن يتحول لقب الخليفة لقباً شائع الإستخدام بين

---

(١٩) لويس (السياسة والحرب) ص ١٦٨.

(٢٠) نفس المرجع ص ١٧٢.

الحكام المسلمين. وحتى القرن التاسع عندما ادعى العثمانيون كونهم خلفاء المسلمين، وحصولهم على البيعة. وبالانهيار والتحلل المستمر للحكم العثماني، أصبحت مسألة وقت فقط لإعلان إختفاء مؤسسة الخلافة نهائياً. ففي نوفمبر عام ١٩٢٢، خلع المجلس الوطني الموسع في أنقرة محمد السادس وبعدها بعامين ألغيت الخلافة.

الركيزة الأيديولوجية: الفكر الإسلامي رد فعل على التشرذم.

حركة المعارضة للسلفية الإسلامية:

إكتسبت الخلافات بين المسلمين والتي ظهرت إبان حكم عثمان بن عفان، طابعا لاهوتيا وسياسيا بمجرد تقلد على بن أبي طالب الخلافة. وكانت النتيجة نشوب حرب أهلية. وظهر عدد من الفرق والمذاهب الفكرية لا تتعامل فقط مع القضايا الدينية، بل أيضاً مع القضايا المرتبطة بطبيعة الدولة الإسلامية، وبالمثل مع سلطة وشرعية مؤسسة الخلافة. حيث تمسك الشيعة (حزب على) بأن آل بيت النبي وورثته من خلال زواج فاطمة الزهراء ابنة النبي وعلى بن أبي طالب، هم فقط الورثة الشرعيون للخلافة. ونسب الشيعة لهؤلاء الأئمة الوارثين حقا مقدساً في الإمامة والخلافة، وقدرة خارقة على تفسير الشريعة التفسير الصحيح، طالما أنهم معصومون من الخطأ. بكلمات أخرى، إفترضت النظرية الشيعية للدولة، ضرورة إستمرار الإمامة المقدسة، من خلال ابدية الرسالة النبوية، وبواسطة سلسلة الأئمة أصحاب العصمة، الملهمين. وهي رؤية معارضة للنظرية السلفية التي تزعم حق الجماعة في تنصيب الخليفة.

وعلى النقيض من الشيعة ، تمسك الخوارج بحق الجماعة وكونها القاضى الوحيد للحكم على قدرة الإمام لشغل منصبه . وأكدت هذه الفرقة أن كل مؤمن «حتى العبد الأسود» بإمكانه أن يصبح خليفة طالما يخلو من العيوب الخلقية أو الدينية . وأصروا على عدم جواز تمتع أى قبيلة بحق فى السيادة والحكم أكثر من الأخرى . وبوجه خاص ، عارضوا نظرية حق القرشيين فى وراثة الخلافة والإمامة .

لتحقيق أهدافهم ابتعد الخوارج عن غالبية المسلمين ، ولجئوا للعنف ، وإنتزعوا لأنفسهم حق الإنفراد بتفسير الشريعة ، والحكم على عقائد المخالفين لهم فى الرأى ، وهكذا تحول الخوارج إلى جماعة أقلية راديكالية مغتربة عن الجماعة الإسلامية . ورغم شعارهم «لا حكم إلا لله» إلا أنهم فى الواقع ، تصدروا مواقع القضاة والحكم على باقى المسلمين وقادهم حماسهم وتشددهم فى النهاية إلى إنقراضهم كحركة سياسية .

فرض تطرف الشيعة والخوارج ولجوئهم الدائم للعنف على غالبية الجماعة الإسلامية تبنى مواقف معارضة لهم ، وإعتناق أفكار مناوئه لهم وضد تجاوزات الخوارج على الأخص . وهكذا ظهرت النظرية الشمولية للحكم كما صاغها أهل السنة فى القرنين التاسع والحادى عشر الميلادى .

جاء أول رد فعل على المثالية المتزمته عند الخوارج ، من جانب مجموعة عرفت باسم «المرجئة» عندما قامت بفصل الدين كعقيدة

عن المعاملات. حيث يبقى المسلم عضواً فى الجماعة حتى لو ارتكب المعصية. فليست مسؤولية الحاكم كما يذهب المرجئة ـ تقرير مصير مرتكب المعصية وهل هو من أهل الجنة أم من أهل النار، لإخراجه من جماعة المسلمين. فهذه مسؤولية الله، ويرجىء الفصل فيها إلى يوم الحساب يوم القيامة. على المستوى العملى، رفض المرجئة إعتبار مخالفة بنى أمية للشريعة سبباً معقولاً لإنكار بيعتهم كزعماء سياسيين. ورأوا أن عثمان، على، حتى معاوية يعملون لله وهو حده الذى يحاسبهم.

المعتزلة والأشاعرة:

على النقيض من الشيعة، الخوارج، والمرجئة، تقف المعتزلة والأشاعرة، بل وإحتل الصراع السياسى بينهم العصر الإسلامى الوسيط. حيث اعتقد المعتزلة أن مرتكب الكبيرة (المعصية) ينسحب من صفوف جماعة المؤمنين، لكنه يظل مسلما، وليس كافراً، فهو يقع فى منزلة بين المنزلتين. أما الأشاعرة فقد حاولوا التوفيق بين المثال الدينى للخليفة، وحقائق الواقع السياسى. وبينما إعتقد الشيعة فى الطابع الوراثى للإمامة، آمن المعتزلة بحق الجماعة فى إختيار أى فرد مسلم كفء دينيا لشغل منصب الخلافة؛ حتى لو لم يكن قرشياً. وخلافا لموقف المرجئة، ورفضهم مبدأ عصيان الحاكم الظالم؛ يرى المعتزلة أن عصيان الحاكم الظالم واجب دينى على المسلمين. بل ويؤكدون نجاح مثل هذا العصيان. وعلى النقيض لموقف الأشاعرة من الخلافة وإعتبارها ضرورة وواجب

دينى، إرتكن المعتزلة للأسباب العقلية فى تبرير وجود الخلافة. وإعتقد بعض مفكرى المعتزلة أن فرض القانون هو المبرر الوحيد لوجود الخلافة. فلو حافظ كل المسلمين على الشريعة، فلن يكن هناك مبرر للخلافة. أما الأشاعرة، فإنهم يعتقدون فى ضرورة طاعة الخليفة لأن منصبه مقدس، دينى.

تحولت فرقة المعتزلة، رغم تركيزها على العقل وحرية الإرادة إلى أداة قهر إبان حكم الخليفة العباسى المأمون (٨١٣ ــ ٩٣٣م) عندما أصبحت عقيدة المعتزلة «دين الدولة»، وفى عام ٨٢٧م أصدر المأمون مرسوماً يتبنى رأى المعتزلة فى خلق القرآن، خلافاً للرأى السلفى بالأصل الإلهى للقرآن، وأنه كلام الله. وبعد ٦ سنوات أصدر مرسوماً يلزم القضاة بإجتياز إمتحان لعقيدتهم. وأقيمت محاكم للتحقيق، وحوكم وأدين القضاة الذين ينكرون «خلق القرآن»، وهكذا بدأت المحنة. فإستقال كثير من العلماء وتركوا خدمة الدولة، وبدأوا التفرقة بين المجالين الدينى والسياسى. وشاع إستخدام مبادىء المعتزلة فى المحاكم العباسية وعندما رفع الخليفة المتوكل يده عن المعتزلة عام ٨٤٨م، إنتهى تأثيرها السياسى.

محاولة التوفيق بين النظرية والواقع:

فى أعقاب ذبول حركة المعتزلة، تصدر الأشاعرة الحلبة، وأصبحت النظرية السلفية للخلافة هى السائدة فأهل السنة لديهم نظرية متكاملة، إستخدمت كمبرر دينى للخلافات والإنقسامات السياسية

التاريخية. وتشتمل نظريتهم على مجموعة مبادىء مستمدة من الشريعة، وتقاليد التجارب التاريخية للمسلمين [٢١].

يعتمد الأساس الأيديولوچى للنظرية السلفية على أولوية سيادة الشريعة وسلطة إجماع العلماء، حيث يتطلب فرض أحكام الشرع والمحافظة على إتباعها وجود خليفة، يتوجب على جماعة المسلمين تنصيبه، وطاعته واجب دينى ينبغى الإلتزام به. وعندما يخالف الشريعة وينتهك تعاليمها، يصبح خلعه والإطاحة به، ضرورة دينية. هذا هو النموذج والمثال، لكن فى الواقع، أصبحت الخلافة ملك وراثى، وإنحرف الحكام عن القانون الإلهى، وتمزقت وحدة الدولة الإسلامية. وفى محاولة لحماية السلفية والحفاظ على وحدة الأمة، وكرد فعل على إتهامات الفرق والنحل الأخرى عقلن العلماء سياسات الحكومات القائمة وبرروها. وأقروا بأن «الخلافة إختيارية بالإنتخاب، لكن يمكن للخليفة إختيار وتنصيب من يخلفه، فالخليفة هو الحاكم الذى يتولى وحده أمور المسلمين أما عماله ووزرائه وولاته، فهم يتولون مناصبهم بالتعيين» [٢٢]. وتبعاً، لاتساع هوة الخلاف بين النظرية والواقع، واصل علماء السنة وأهل السلف فى عقلنة وتبرير سياسات الحكومات القائمة،

---

(٢١) سيرها ملتون جب (النظام الدستورى) فى كتاب (القانون فى الشرق الأوسط)ـ ماجد قدورى، هربرت ليبزنى واشنطن: معهد الشرق الأوسط، ١٩٥٥. ص ٦.

(٢٢) لويس (السياسة والحرب) ص ١٦٣.

بحيث أصبح المبدأ المهمين على كتاباتهم : «الإستبداد أفضل من الفوضى» (٢٣) .

الماوردى والغزالى :

قدم الماوردى (توفى عام ١٠٥٨)* محاولته لعقلنة الفرق والهوة بين النظرية السياسية والممارسة الإسلامية فى كتابه (الأحكام السلطانية) والذى يعتبره علماء السنة ، المرجع الكلاسيكى المعتمد فى الحكومة الإسلامية . ولقد ألفه الماوردى لتأييد موقف الخلفاء العباسيين فى بغداد (القادر بالله ، وتوفى عام ١٠٣١م ، وخلفاءه) ضد حكم البوهيين . وهكذا ، قامت حججه على إدماج التقاليد الإسلامية بالواقع السياسى . يذكر الماوردى أن منصب الخليفة ، ومؤسسة الخلافة ، مطلب ضرورى للحفاظ على الشريعة ، وليست قضية عقلية فقط ، بل هى فرض دينى على الجماعة . وإختيار الخليفة ، يمكن أن يقوم به شخص واحد ، أو مجلس شورى يتحلى أعضاءه بمواصفات خاصة .

ينبغى أن يتصف الخليفة ذاته بصفات معينة ـ موافقة الأغلبية ـ العمر ـ الأصل القرشى ـ الأهلية العقلية والبدنية ، العدل الشجاعة ، المعرفة . بمجرد اختيار الخليفة ، لا يمكن خلعه لصالح مرشح آخر ، حتى لو كان أكثر جدارة منه لمنصب الخلافة . وأكد

---

(٢٣) نفس المرجع .

(*) أبو الحسن الماوردى (٣٦٤هـ ـ ٤٥٠هـ) مفكر إسلامى ذو نزعة إعتزالية ، من أشهر مصنفاته أدب الدنيا والدين ، الأحكام السلطانية .

الماوردى على عدم شرعية وجود أكثر من خليفة لدار الإسلام فى وقت واحد. وذلك تأييداً لموقف العباسيين ضد معارضيهم. ولتبرير الحكم العباسى الوراثى، أيد الماوردى شرعية تعيين وتنصيب الخليفة لمن يخلفه. وينبغى على الأمة قبوله. ولو لم ينصب الخليفة، من يليه، يتوجب عليه قصر دائرة الإختيار بعد وفاته فى عدد محدود، ويقوم بإختيار مجلس شورى.

بمجرد توليه منصبه، يتولى الخليفة معالجة مهام دينية خاصة، والقيام بوظائف عسكرية. وقد يفوض للولاة وعماله سلطة العمل وفقاً لمبادىء الشريعة. وإذا ما حافظ ولاة السلطنة على الشريعة، يتوجب الإقرار بحكمهم. لكن، الماوردى كتب «الضرورة تبيح المحظورات التى يستحيل الوفاء بها» ([٢٤]).

انطلاقا من الحفاظ على المبادىء العامة التى إعتمدها الماوردى، وتأثراً بالمناخ السياسى للعصر، قرر الإمام أبو حامد الغزالى * (توفى ١١١١م) أن القضاة ملزمون بالإعتراف بالسلطة القائمة، طالما أن البديل هو إشاعة الفوضى أو إنهيار نظام الحياة الإجتماعية، تبعا لغياب السلطة والمؤسسات.

يقول الغزالى: «أيها الأسوأ؟ هذا سؤالى لكم. أن تعلنوا

(٢٤) أ. ك. س. لامبتون (الفكر السياسى الإسلامى) فى كتاب (تراث الإسلام) يوسف شاخت ص ٤١٣.

(*) **الإمام أبو حامد الغزالى (٤٥٠هـ ـ ٥٠٥هـ) فيلسوف إسلامى، مفكر** ومتصوف وفقيه تعد أعماله من أدبيات الثقافة الإسلامى إحياء علوم الدين ـ المنقذ من الضلال ـ تهافت الفلاسفة.

بطلان كل أئمة زمانكم، لافتقارهم لشروط الإمامة.. وبالتالى خلعهم، وإعلان بطلان كل الحكومات، بحيث لا يمكن إبرام عقود الزواج، وتتعطل كل الأعمال فى أرجاء العالم الإسلامى وتصبح بلا سند من الشرعية، ويعيش الناس ويتورطون فى الشر والرذيلة... أم الأفضل الإعتراف بقيام الإمامة على عقد شرعى، وبالتالى شرعية الأعمال القضائية والتنفيذية بإعتبار الظروف الراهنة، وضرورة هذه الأزمان؟» (٢٥).

لقد إعترف الغزالى فى كتاباته بسلطة السلطان الفعلية فى تنصيب الخليفة بموافقة العلماء. وإعتماد شرعية حكومة السلطان على قسم الولاء والبيعة للخليفة، وتصديق الخليفة على شرعية حكمه. ورغم إقتناع الغزالى وباقى العلماء بهذه النظرية، فلقد توقفت الخلافة عن كونها مؤسسة سلطة، وأصبحت الحكومات القائمة على إستيلاء السلطة، هى المثال. حتى بدأ تدخل الحكم الأوروبى، وإنهيار المجتمع التقليدى. ومع ذلك واصل علماء الإسلام سعيهم للوصول إلى إجابات على إستمرار الهوة الفاصلة بين النظرية والواقع.

حركات الإصلاح وظهور الإتجاهات العلمانية:

تبنت حركات إصلاح المجتمع الإسلامى إحدى إستراتيجيتين:

(١) إتباع المصادر الإسلامية التقليدية.. أو

---

(٢٥) جـ. أ. فون جرنباوم (الإسلام الوسيط) شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٤٦. ص ١٦٨.

(٢) التوفيق بين العقائد الإسلامية والأفكار الحديثة (٢٦). ومن أولى الحركات التى ظهرت فى القرن الثامن عشر فى الجزيرة العربية، فى كتابات وأعمال الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وتلتها الحركة السنوسية التى ظهرت فى بداية القرن التاسع عشر فى شمال افريقيا، بتكوين المجتمعات التعاونية السنوسية، وفقا للتعاليم السنوسية الإسلامية. إختلفت السنوسية عن الوهابية فى المضمون والمنهج، رغم إتجاههما الإصلاحى المشترك، والأصولى. وتقدم كلاهما مرجعية للأجيال الحديثة والمعاصرة من الإصلاحيين الذين يجددون إحياء السلطة الحاكمة للقرآن والسنة.

خلافاً، لمؤسسى الوهابية والسنوسية، وإعتمادهم كليا على التقاليد الإسلامية؛ تأثر الإصلاحيون الإسلاميون بالغرب، وأظهرت كتاباتهم هذا التأثر. فعلى سبيل المثال، أظهر الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) إهتماماً فائقاً بالنظم الأوروبية فى الحكم. وحاول بعد عودته من فرنسا حيث كان مرافقاً لبعثه دراسية؛ ترويج ونشر الأفكار الأوروبية ووسائل الحكم الأوروبى، وتنوير المصريين بها (٢٧).

قام الطهطاوى بالإضافة إلى تأليفه بعض الكتب؛ بترجمة

---

(٢٦) أنظر، ولفريد كانتوبل سميث (الإسلام فى التاريخ الحديث) برنستون: مطبعة جامعة برنستون، ١٩٥٧. بوجه خاص فصلى ٢، ٣.

(٢٧) حول دور رفاعة الطهطاوى فى صياغة الفكر السياسى المصرى، أنظر جمال محمد أحمد (الأصول الفكرية للقومية المصرية) لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٠.

مايقرب من مائتى كتاب غربى بمساعدة تلاميذه، ونشرت هذه الأعمال، بعد طبعها فى أول مطبعة عربية أسست عام ١٨٢٢م فى ضواحى القاهرة (٢٨). وأوضح الطهطاوى فى كتاباته الإعتقاد فى ضرورة تمتع الحكام بالقوة والحزم والعمل وفقا للشريعة، ومصالح المسلمين. وتمسك، من ناحية أخرى، بتلازم وارتباط واجب طاعة الحاكم، وإتباعه لشرع الله وسنة رسوله (٢٩). وأن دور العلماء فى دولة الإسلام يدفعهم للإبداع، وتكييف الشريعة لتلائم الظروف الجديدة. ولاحظ أيضاً، التشابه بين مبادىء الشريعة، والقانون الطبيعى الذى تقوم عليه مفاهيم الدساتير الأوروبية الحديثة. ويفضل موقفه، يمكن اللجوء للنظم القانونية الأخرى، وتحديث القانون الإسلامى.

تلقت محاولة الطهطاوى لتحديث القانون الإسلامى دفعة أقوى من جمال الدين الأفغانى * والإمام محمد عبده، اللذان ظهرا فى

(٢٨) أنظر، أنور. جـ. كيجن (الاحياء العقلى فى الوطن العربى) مقدمة: دراسات إسلامية، ٢، ديسمبر ١٩٦٣.

(٢٩) ليون زولنديك (الطهطاوى والحرية السياسية) العالم الإسلامى ٥٩، أبريل ١٩٦٤.

(*) **جمال الدين الأفغانى** (١٢٥٤هـ ـ ١٣١٤هـ ـ ١٨٣٨م ـ ١٨٩٧م). أبرز رواد النهضة فى المشرق الإسلامى، تحورت أعماله حول الإستقلال ومناهضة الإستبداد من كلماته الذائعة: «تناوبتكم أيدى الغزاة من كل جنس، وأنتم كقطع الصخر لا صوت لكم ولاحس» ومن كلماته أيضاً «لسنا نعنى بالخائن من يبيع بلاده بالنقص ويسلمها للعدو بثمن بخس ـ كل ثمن تباع به البلاد بخس ـ بل خائن الوطن من يكون سبباً فى خطوة يخطوها العدو فى أرض الوطن».

الربع الأخير من القرن التاسع عشر. حيث لم يحاول محمد على مؤسس مصر الحديثة؛ إصلاح مراكز التعليم الدينى القديمة وبدلاً من ذلك، خلق نظام تعليمى موازى، وفقا للمناهج الغربية الحديثة، وخصص هذه المدارس لتخريج ضباط الجيش، موظفى الدولة؛ بينما إستمرت المؤسسات الدينية فى التدهور، وإقتصارها على الطلاب محدودى الذكاء. وكانت النتيجة خلق فئتين متمايزيتين من المتعلمين فى مصر:

(١) علماء تقليديون؛ يستمدون معرفتهم من المخطوطات القديمة، والشروح، والحواشى، والهوامش.

(٢) فئة أصحاب التعليم الغربى الحديث. لكن كلا الجماعتين كانتا عاجزتين عن إعادة تفسير الإسلام فى ضوء الظروف الحديثة. وفى هذه الفترة الحاسمة ظهر الإمام محمد عبده، وركز على أن القرآن يتضمن أحكام إرشادية فى أمور العبادات، ومبادىء عامة فى مجال العلاقات الإنسانية. وبإعتباره إصلاحى تدريجى، تمسك محمد عبده بأن الإستجابة الإسلامية على الضغوط والتحديات الأوروبية، الثقافية والسياسية، تتشكل بالتعليم وإنتشاره، وليس بالثورة.

على الجبهة السياسية، كتب محمد عبده أن أحكام القرآن بشأن طاعة السلطة الشرعية، قد أُسىء فهمها من جانب البعض لتعنى طاعة عمياء للحكام. ولم يدركوا أن واجب الطاعة مستمد من

إتباع الحاكم للقانون والعمل لصالح الجمهور[٣٠]. رأى محمد عبده * أن الإسلام لا يضفى عصمة على الحكام، فهم ليسوا حكام دينيين (ثيوقراطيين) وليس لهم حق مقدس فى الحكم.

برهنت كتابات محمد عبده لمعاصريه شرعية، بل واجب تأويل الشريعة فى كل ملامحها فى ضوء الظروف الجديدة. من النتائج الفورية لأراء محمد عبده وأعماله ظهور حركة إصلاحية بقيادة أحد تلاميذه، محمد رشيد رضا ــ كاتب سير وتراجم ــ والذى إقترب تدريجيا من رؤى الوهابية المتشددة. مثله، كباقى الإصلاحيين نادى رشيد رضا بإحياء الإجتهاد كنقطة إنطلاق لمواءمة الشريعة للظروف الحديثة، وبالمثل لتحقيق الحفاظ على الخلافة. على أية حال، حالت الأصولية المتشددة المتزمتة دون تحقيق الحركة لغاياتها.

على النقيض من آراء رشيد رضا المحافظة، ودعوته لإستعادة الخلافة، نشر العالم الأزهرى، ذى التعليم الغربى على عبد الرازق عام ١٩٢٥م كتابه «الإسلام وأصول الحكم». وذكر فى كتابه عدم وجود شكل خاص للحكم يمكن وصفه إسلامياً، ورفض أيضاً الحاجة إلى الخلافة[٣١]. ولمخالفة أرائه لأهل السنة، حاكمه

---

(٣٠) أنظر، الإمام محمد عبده ــ الإسلام دين العلم والمدنية ــ القاهرة: دار الهلال. د. ت.

(*) **الأستاذ محمد عبده** (١٨٤٩ ــ ١٩٠٥) ــ أبرز أعلام التجديد الدينى فى عصرنا الحديث من كتبه «الإسلام دين العلم والمدنية رسالة التوحيد».

(٣١) على عبد الرازق ــ الإسلام وأصول الحكم ــ بيروت: دار الحياة، د. ت.

المجلس الأعلى للأزهر (هيئة كبار العلماء) وطردته من منصبه فى رئاسة التعليم الدينى. رفض على عبد الرازق الرؤية للتقليدية بإعتبار الخلافة ضرورية، وأن تعيين خليفة واجب ملزم للمسلمين. ورأى أن مؤسسة الخلافة ليس لها أى أساس فقهى، سواء فى القرآن أو الشريعة. وأن الآيات القرآنية التى يستشهد بها غالباً لإضفاء قداسة دينية على الخلافة، لا تعنى أكثر من ضرورة وجود قيادة يوثق بها لتدبير أمور المسلمين. وبرهن على عدم وجود إجماع على ضرورة وجود الخلافة والحفاظ عليها. وأشار على عبد الرازق لوجود آراء معارضة ــ حتى فى زمن الخليفة الأول ــ ولم يرد أى ذكر لإجماع القضاة على ضرورتها. وردد آراء الخوارج وبعض المعتزلة، حول واجب المسلمين بطاعة الشريعة، وعدم الحاجة للحكومة فى حالة حفاظ كل أعضاء جماعة المسلمين على العدل بينهم ــ ويوضح الدليل التاريخى أن الخلافة تم الإستيلاء عليها دائماً بالقوة لا الإختيار، كما لاحظ على عبد الرازق، حتى عندما يتحقق الإجماع على قيامها رسميا، بل لم يكن هناك مصداقية فقهية طالما يتم إختيار الخليفة تحت التهديد بالقوة. أكد على عبد الرازق على كون الإسلام دين عالمى، وليس بحاجة لحماية قوة عالمية.

جاءت دراسة على عبد الرازق ودعوته لفصل الدين عن الدولة، لتجسد موقفا ثوريا. لأنه أصر على كون الإسلام دين ورسالة روحية خالصة، وأن الوظائف والمناصب السياسية للنبى محمد ﷺ ليست جزءاً جوهرياً من دوره النبوى، وأن الخلافة كمؤسسة روحية ليست ضرورية.

بعد إدانة الشيخ على عبد الرازق بربع قرن ، إرتفعت مرة ثانية الدعوة لفصل الدين عن الدولة ، عندما ظهر كتاب خالد محمد خالد «من هنا نبدأ» (٣٢) والذى حافظ ــ مثل عبد الرازق ــ على ارتباطه بالإيمان السنى بالإسلام ، كقاعدة روحية ؛ أظهر إهتمامه بالتمسك بها . لم يكتف خالد محمد خالد بالأطروحة العلمانية لعلى عبد الرازق ، بل شن هجوماً على العلماء أنفسهم ، وطالب بطردهم من الحياة العامة . وبنص كلماته : «ليس هناك طريق مفتوح أمام المجتمعات ونظم الحكم التى تحترم نفسها أقصر من طرد أولئك الكهنة المخادعين من وسطهم ، وتطهير الدين منهم ، ومن كل العناصر الفاسدة» (٣٣) . واستمر خالد محمد خالد فى أداء رسالته ، وإخلاصه للدين كأحد حراسه . ولأن إزالة المؤسسات الدينية الراهنة ليست مهمة سهلة ، فلقد نجح العلماء عبر وسائل التضليل والتغلغل فى المجتمع من ترسيخ مكانتهم . وكانت أحد وسائلهم التبشير بقداسة الفقر ، وكما لاحظ خالد محمد خالد أنهم يتغاضون عن الظلم الإجتماعى والبؤس الجماهيرى واعتبارهم معاناة الجماهير كما لو كانت قدر إلهياً لا مهرب منه ، فكل يولد لما هو مسير له .

إستخلص خالد محمد خالد من دراسته للتاريخ الإسلامى أن الدولة اليثوقراطية (الدينية) كانت أداة قهر وطغيان . وأكد فشلها فى الحفاظ على المبادىء الإسلامية . وأن من يتطلعون لإحياءها

---

(٣٢) خالد محمد خالد ــ من هنا نبدأ ــ القاهرة : مطبعة الخانجى ، ١٩٦٣ .

(٣٣) نفس المرجع .

هم متعصبون مضللون ، يريدون محاصرة حرية الفكر والإعتقاد ، والتى حصلت عليها الأمة بالمزيد من الضحايا .

فى النهاية ، أكد خالد محمد خالد على التخلص من سلطة رجال الدين وفصل الدين عن الدولة ، كشرطين ضروريين لتحقيق التقدم ، وضمان لإستمرار وجود الدين ذاته ــ فالدين منظومة من الحقائق الروحية الكونية ، لها صدق مطلق وأبدى ، ومستقلة عن الظروف المتغيرة أو المتطورة . من جانب آخر ، فالنظم السياسية وأهدافها متغيرة وما يصدق منها على مرحلة تاريخية ، لا يلائم فترة أخرى (٣٤) .

---

(٣٤) أدت فكرة خالد محمد خالد الراديكالية المتعلقة بالفصل بين الدين والدولة إلى مصادرة الكتاب بقرار من الأزهر ، والذى إتهمه يشن «هجوم على رجال الدين والرأسماليين بالإسلوب التقليدى للشيوعيين» أنظر ، ماجد فخرى ــ الفكرة الثيوقراطية للدولة الإسلامية ــ فى (النزاعات المعاصرة) فى مجلة الشئون الدولة ــ ٣٠ ، رقم ٤ ، ١٩٥٤ .

خـاتمة :

لن تكتمل دراسة النظم السياسية الإسلامية وتكتسب صفة الواقعية مالم تناقش فى إطار علاقتها بالدين ؛ فالنظرية السياسية الإسلامية السلفية تعتقد بأن الدين والدولة شىء واحد لا ينفصل إنطلاقاً من هذه الحقيقة ناقش الفصل الأول التطور التاريخى والنظرى للعلاقة بين الدين والدولة فى الإسلام. كان الهدف الرئيس البحث عن إجابات لتلك الأسئلة المطروحة والمتجددة حتى الآن : ما هى الدولة الإسلامية ؟ ما نوع العلاقة القائمة بين الدين والنظام السياسى ؟ فالدولة كما ترى النظرية السياسية الإسلامية السلفية تهدف للحفاظ على الشريعة وفرض تعاليمها . والسلطة السياسية ملزمة بقبول الشريعة والإلتزام بها . هكذا كانت النظرية ، أما الممارسة السياسية الإسلامية فلقد كانت مختلفة . مع نهاية القرن الإسلامى الأول ، تصاعدت حدة التوتر بين النظرية والممارسة ، وأصبح الحكم عن طريق الإستيلاء بالقوة هو النظام الراهن السائد .

هناك أسباب عديدة لإستمرار الهوة والخلاف بين النظرية والممارسة الإسلامية : **أولاً** ، مع أن الشريعة كانت فى الأصل أداة تقدميه لنشر الإسلام ، إلا أنها تدريجيا فقدت حركيتها وجنحت نحو التزمت والجمود ، وأصبحت قانوناً جامداً كنتاج لعجز العلماء عن الإبداع والمواءمة بين القانون الدينى والواقع .

ثانياً ، رغم وجود فصل بين الدين والدولة فى الواقع العملى ، استمر الفكر السياسى الإسلامى فى ادعاء وجود كيان موحد من المهام والوظائف الدينية والسياسية يؤديها نظام مدمج بين الدين والدولة . ولأن العلماء أنفسهم لم يقلعوا عن إدعاء تأثيرهم فى السلطة السياسية ومن جانبهم ، تقبل الحكام العلمانيين تكتيكيا هذا الزعم بهدف كسب تأييد العلماء لسلطانهم .

أظهر البناء التنظيمى للمؤسسات الدينية فشل العلماء فى المواءمة بين الشريعة والظروف المتغيرة . كما ذكر « دونالد ايوجين سميث » كان هناك نظام دينى متدنى نسبياً فى مستواه بين العلماء المسلمين . أدى هذا التنظيم الضعيف إلى تقليص فاعلية العلماء وإتساق استجاباتهم على عملية التغيير[٣٥] .

ثالثاً ، الطابع المحافظ للنظام الاجتماعى الدينى كإنعكاس للسلطة السياسية السائدة فى المجتمع . وبالتالى ، إعتماد العلماء ــ مع بعض الاستثناءات ــ على الدولة لضمان بقائهم وتأمين

---

(٣٥) دونالد أبوجيد سميث ، محرر ــ الدين والتحديث السياسى ــ نيو هيفن ــ مطبعة جامعة ييل ، ١٩٧٤ ، ص ٦ .

وجودهم . فلقد ارتبط العلماء فى الواقع بوظيفة الدولة فى فرض الشريعة . ونتيجة لهذه العلاقة الرمزية بين العلماء والدولة ، كانت اسهامات العلماء السياسية مقصورة على المستوى الفقهى المقبول فى النشاط السياسى .

أدى إنهيار الإمبراطورية العثمانية وظهور الإمبريالية الأوروبية وتدخلها فى العالم الإسلامى ، والفساد الناجم عن النظام القديم ، إلى إلغاء النموذج التاريخى للعلاقة بين الدين والدولة . ففى الماضى كانت الحكومة بحاجة للدين لتبرير حكمها وكسب شرعيتها ، لكنها أصبحت الآن أقل إعتماداً على الدين فى مرحلة الدولة ــ القومية ، نظراً لظهور مصادر جديدة للشرعية . وليس هذا التغير الوحيد . فلقد ذكر «ستفين همفرى» فلقد أعلنت ثلاث إستجابات رئيسية عن نفسها رداً على إنهيار وتلاشى المجتمع التقليدى فى الوطن العربى :

١ــ الإستجابة السلفية الأصولية .
٢ــ الإستجابة الدينية المعتدلة ــ التحديثية .
٣ــ الإستجابة العلمانية (٣٦) .

فالإستجابة الأصولية الإسلامية ، دافعت عن ضرورة أن يكون (التغيير محكوماً بالقيم وأنماط التفكير السلفية) ، والحركات الوهابية والسنوسية أمثلة على هذا الإتجاه .

أما الإستجابة الثانية والتى جسدت نفسها فى ظهور نزعات

---

(٣٦) ستيفن همفرى ــ الإسلام والقيم السياسية فى السعودية مصر، سوريا ــ مجلة ــ الشرق الأوسط ــ ٣٣ ــ رقم ١ ، شتاء ١٩٧٩ .

دينية حديثة حضارية، فلقد إنخرط دعاتها فى البحث عن طريق للمواءمة بين الشريعة وحاجات العصر الحديث. فعلى سبيل المثال، استنتج الطهطاوى الطابع التقدمى للشريعة، وتمسك بملائمة كثير من عناصرها للحياة المعاصرة. فى النهاية، تمسكت الإستجابة العلمانية، كما هى فى كتابات خالد محمد خالد، بفصل ولاءات الفرد السياسية عن إيمانه الدينى.

على المستوى النظرى، تجسدت وحدة السياسى والدينى فى الإسلام، لكنها لم تتحقق على المستوى العملى. ودائماً كان هناك إنفصال هائل بين نموذج الحكم الإسلامى كما ينبغى أن يكون، والممارسة الفعلية فى الواقع السياسى. ولقد ظهرت الحركة الوهابية لتعارض هذا الإنفصال؛ ولتقيم تجربة سياسية جديدة. ونجحت فى إقامة الدولة السعودية فى شبهة الجزيرة العربية، واستمرت حتى الآن فى تقديم الشرعية والأساس الأيديولوجى لها. بإختصار، ناقشت دراستنا هذه، العلاقة بين الدين والدولة فى المملكة العربية السعودية، والطريقة التى أثر بها النموذج الإسلامى السياسى فى الدولة السعودية، ولأى مدى تحقق هذا النموذج.

الفصــل الثانى

الوهابية وإقامة دولة آل سعود

يعتبر ظهور صيغ وأشكال دينية جديدة مؤشراً ثابتاً ومعياراً لقياس مدى التململ الإجتماعى. ويعتمد تطور النزاع الإجتماعى على المدى الذى يدركه تحدى هذه الأشكال والتنظيمات الدينية للمؤسسات السياسية القائمة والقيم السائدة. ويبدو التحدى والمواجهة واضحاً عند قيام محاولة إعادة رسم حدود عضوية الجماعة وتأسيس معيار جديد للسلوك، أو محاولة إحياء قيم وعقائد قديمة. تقود هذه المحاولات دعاتها للانقطاع عن الماضى؛ لأنهم يستأصلون مسار تطور البنى العقائدية والطقوس والمؤسسات التنظيمية التى تميز هذه الجماعات عن غيرها.

لا يمكن للحركات الدينية الجديدة التغافل عن النظام السياسى لتأكيد بقائها وإنتشارها. وتنشأ علاقاتها مع السلطة السياسية إما بالإعتماد المتبادل أو بالصدام والمواجهة، إعتماداً على الجماهير أو الغايات النهائية التى تقدمها لحشد الجماعة. فعلى سبيل المثال،

ربما تسعى الحركات الدينية لطلب الحماية والعون لدى مؤسسات الدولة، وفى المقابل تقدم لهذه المؤسسات الدعم والشرعية. حتى فى وقت فاعلية سياسة الإعتماد المتبادل، خضعت العلاقة الوليدة للتوتر الحاد. فلقد لاحظ س. ن. (١) إيزنستادت فى مسحه الواسع المدى للعلاقة بين الدين والسياسة فى الإمبراطوريات المركزية «الإعتماد الفعلى بين المجالات المستقلة نسبيا قد يؤدى إلى خلق توترات عديدة بينها، فكل منها يريد السيطرة على الأوضاع النهائية للأخرى، ليحقق من خلالها مطالبه وحاجاته» بكلمات أخرى، تتنافس المؤسسات الدينية والسياسية على إحتلال المصادر الرئيسية للسلطة، بالسيطرة على البشر، الإقتصاد والرابطة السياسية الفعالة، ودعم الجماعات والطبقات الإجتماعية.

يناقش هذا الفصل نشوء الأيديولوجية الوهابية، والعلاقة بين مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنصارها السياسين، الأمير محمد بن سعود، وخليفته الأمير عبد العزيز بن سعود. فلقد تشكلت العلاقة بين الشيخ والأمير عام ١٧٤٥. والتى قدمت لإبن عبد الوهاب ذراع سياسى لتقوية تعاليمه الدينية، وأكدت شرعية حكم آل سعود وإقرار علماء دين ثقاة بمصداقية حكمهم. والذى مكن آل سعود من توظيف الدعوة الوهابية لتوسيع سلطتهم السياسية والسيطرة على شبه الجزيرة العربية. بتخصيص أكثر: سيعالج هذا الفصل الأسئلة التالية:

(١) س. ن ـ إستنادت ـ المنظمات الدينية والعمل السياسى فى الإمبراطوريات الكبرى ـ مجلة الدراسات الأسيوية، ٢١، رقم ٣، مايو ١٩٦٢ ـ ص ٢٨٣.

١ــ ما هى الوهابية ؟
٢ــ كيف جاء رد فعل النظام الإجتماعى الدينى وإستجابته على ظهور الوهابية ومبادئها ؟
٣ــ ما هو دور الوهابية فى تكوين الدولة السعودية ودعمها ؟
٤ــ ما هى طبيعة ومحصلة العلاقة بين الشيخ والأمير؟

محمد بن عبد الوهاب:

كانت الجزيرة العربية واقعة تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية فى القرن الثامن عشر؛ ومع ذلك لم يمارس الولاة العثمانيون أى سيطرة فعالة خلف المناطق الحدودية للبحر الأحمر، وطريق الحج. وكانت نجد والمناطق الشرقية لها كيانات مستقلة، فلقد كان يحكمها قيادات محلية. ويسيطر عليها التشرذم السياسى والصراعات العشائرية القبلية المستمرة. والإنحرافات فى الممارسات الدينية عن عقيدة الإسلام السلفى؛ فلقد كتب المؤرخ النجدى إبن بشر فى القرن الثامن عشر:

«كان شائعاً إضفاء قوى خارقة على الصخور والأشجار، وبناء الأضرحة والمزارات بالقرب منها، وكانت كلها تعتبر مصادر للتبرك وتقدم لها النذور.. وكان شائعاً؛ القسم بغير الله، وسادت أشكال متشابهة من الشرك الأصغر والأكبر» (٢).

---

(٢) عثمان بن بشرــ عنوان المجد فى تاريخ نجدــ الرياض: مكتبة الرياض الحديثةــ د.ت. ص٦. أما المعلومات الإضافية عن محمد بن عبدالوهاب والمبادىء للوهابية فهى تستند إلى عبدالله صالح العثيمينــ الشيخ محمد بن عبدالوهابــ الرياض: دار العلم، د.ت.

في هذه الأجواء ولد محمد بن عبد الوهاب عام ١٧٠٣م ، في العيينة في منطقة نجد . ينتمي لعائلة مرموقة من القضاة ، ورجال الدين . وفي ظل رعاية والده درس الصبي الفقه الحنبلي ، وقرأ كتب التفسير الأساسية ، الحديث ، التوحيد . وفي مطلع العشرينات من عمره بدأ محمد بن عبد الوهاب يدين ما وصفه بعقائد الشرك وسلوكيات المجتمع ، ورفض : « الفساد والإنحلال والتدهور المعاصر ، وتمسك فقط بالشريعة » (٣) .

أوصلته معتقداته إلى الغربة عن المجتمع والإغتراب عن العلماء ، وأدت إلى طرد والده من رئاسة العلماء . واضطرت عائلته إلى مغادرة « العيينة » والذهاب إلى المنطقة المجاورة « الحريملة » عام ١٧٢٦ . وبقي فيها لفترة ، لكنه غادرها إلى الحجاز هرباً « من حملات العلماء عليه لتشويه دعوته ، وسمعته ، وإثارة وتحريض مشاعر العامة التي حاصرته بالسخافات والإهانات وإلحاق الأذى به » (٤) .

في الحجاز أدى محمد فريضة الحج ، وزار مكة والمدينة ، حيث حضر دروس دينية في فروع مختلفة . ويذكر ابن بشر أنه درس

---

(٣) ولفريد كانتويل ـ الإسلام في التاريخ الحديث ـ برنستون : مطبعة جامعة برنستون ، ١٩٥٧ ـ ص ٤٢ . ولمزيد من المعلومات التفصيلية عن الحركة الوهابية أنظر ، هشام نشاشبة ـ الإسلام والقومية في الوطن العربي ، رسالة ماجستير ، جامعة ماكجيل ـ معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٥٥ ص ٧ ـ ٢٦ .

(٤) أحمد عبد الغفور العطار ـ محمد بن عبد الوهاب ـ مكة : مؤسسة مكة للنشر ، ١٩٧٩ .

على يد الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف، والشيخ حافظ السندى، وكلاهما من المعجبين بإبن تيمية الفقيه الحنبلى *. فلقد عارض كل من سيف والسندى مثل ابن تيمية التقليد، الذى كان شائعاً لدى اتباع المدارس الفقهية السنية الأربعة. بل شعر سيف والسندى بالحاجة لإصلاح الوضع الدينى والإجتماعى للمسلمين فى نجد وباقى العالم الإسلامى (٥). وكان لأرائهم تأثير كبير على بن عبدالوهاب، الذى بدأ يتخذ إتجاها أكثر عنفا تجاه العلماء الموجودين.

هناك حدث هام يبدو أن له تأثير هائل على التطور الفكرى لمحمد بن عبدالوهاب، وهو زيارته لمدينة البصرة فى العراق، حيث تعمق فى دراسة الحديث والفقه، وإتصل بالشيعة، الذين يقدسون ضريح الإمام على بن أبى طالب فى النجف، وضريح الحسين فى كربلاء. ولقد رفض علماء البصرة وكربلاء دعوته لإصلاح العالم الإسلامى، وأرغم على مغادرة المنطقة، فى النهاية (٦).

---

* يقول أبو الوفاء من عقيل عن الحنابلة «هم قوم خشن، تقلصت أخلاقهم عن المخالطة، وغلظت طباعهم عن المداخلة، وغلب عليهم الجد، وقل عندهم الهزل. وغربت نفوسهم عن ذل المراءاة. وفزعوا عن الآراء إلى الروايات. وتمسكوا بالظاهر تحرجاً عن التأويل وغلبت عليهم الأعمال الصالحة فلم يدققوا فى العلوم الغامضة، بل دققوا فى الورع وأخذوا ما ظهر من العلوم، وما وراء ذلك قالوا: الله أعلم بما فيها من خشية باريها» (كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ــ ابن رجب البغدادى الدمشقى الحنبلى (٧٩٥هـ) تحقيق هنرى لاووست سامى الدهان، دمشق المعهد الفرنسى، ١٩٥١) المقدمة.. (المترجم).

(٥) إبن بشر، عنوان المجد ص ٧.

(٦) لا تذكر المصادر النجدية أن رحلات محمد بن عبدالوهاب قد تجاوزت نجد،=

عاد محمد بن عبد الوهاب إلى « الحريملة » ليلحق بوالده ، وبدأ على الفور فى إنتقاد البدع ، وأعمال الشرك بالله التى يمارسها أهل نجد ، وغيرهم . وجاء نقده حاداً مريراً ، وقوبل بمعارضة قوية من جانب العلماء ، حتى من والده نفسه . إبان تلك الفترة ، ألف محمد بن عبد الوهاب أشهر مؤلفاته (كتاب التوحيد) وانتشرت نسخه بسرعة فى إقليم نجد (٧) .

الشيخ والأمير والحلف الفاشل :

شهد عام ١٧٤٠ وفاة والد محمد بن عبد الوهاب ، وصعود نجم الحركة الوهابية (٨) . وأتاحت وفاة والده له تبنى خط أكثر تشدداً وعنفاً ، لتخلصه من القيد الذى كان يثقل كاهله ، بتجنب

= الحجاز ، البصرة . ويزعم بعض المؤلفين أنه قد زار بغداد ، كردستان ، همذان ، أصفهان ، قم ، تركيا ، حلب ، دمشق ، القدس ، مصر . أنظر على سبيل المثال ، لمع الشهاب فى سيرة إبن عبد الوهاب لمؤلف مجهول ــ حرره الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ، ١٩٧٤ ص ٣ ــ ١٧ ــ وللإطلاع على الرأى المخالف أنظر ، حمد الجاسر ــ مؤرخو نجد ــ مجلة الجامعة ــ ٣ ــ ١٩٥٩ ، ص ٣٩ ــ ٤٩ .

(٧) يمكن إعتبار هذا الكتاب المنشور النظرى للوهابية ــ وهو ينقسم إلى ٦٩ فصل ، كل منها يستشهد بآيات القرآن ، وأحاديث الرسول ﷺ لتأييد آرء محمد بن عبد الوهاب ، وأيضاً يورد أقوال الصحابة أو التابعين لتأييد تفسير المؤلف للآيات والأحاديث ، ويستند إلى العلماء أمثال ابن تيمية ، ابن القيم الجوزية . ويقدم المؤلف فى النهاية ــ ما يعتبره النتيجة الملائمة لهذه الأسانيد .

(٨) ابن بشر ، عنوان المجلد ص ٨ ــ ٩ .

إغضاب الوالد (٩). وأعلن الحرب على الذين ينتهكون بأقوالهم وأفعالهم عقيدة التوحيد. وإن وقت قصير نسبيا، إتسع نفوذ محمد بن عبد الوهاب. وبدأت حركته تقوى وتتدعم وإشتد ساعدها عندما خلع عليه حاكم «العيينة» عثمان إبن معمر حمايته. وتقبل الشيخ دعوته للإقامة هناك؛ حتى تتاح له فرصة العودة إلى مسقط رأسه، حيث تتمتع عائلته بمكانة إجتماعية بارزة، وتوفير الحماية التى يحتاجها للدعاية لعقيدته. ولتقوية وتصليب روابطه مع زعماء المدينة، تزوج الشيخ من «جوهرة» عمة عثمان حاكم المدينة.

أمر حاكم «العينية» رجال مدينته بالمحافظة على تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وعندما ضمن حماية زعيم سياسى له، بدأ تطبيق تعاليم دعوته. وكان ضمن أعماله الأولى، تدمير وهدم الضريح الذى كان يعتقد أن جثمان زيد بن الخطاب دفن فيه. ومقابر باقى الصحابة، والتى كانت مزاراً وهدفاً للتقديس والتبرك. وأحيا القانون الإسلامى بقذف الزناة حتى الموت (١٠). وميزت

---

(٩) نفس المرجع.

(١٠) نفس المرجع ص ٩ــ١٠، لمعرفة الآراء المناهضة لفكر وأعمال محمد بن عبد الوهاب، أنظر، سيد أحمد بن زينى دحلان ــ الدرر السنية فى الرد على الوهابية ــ القاهرة: مكتبة البابى الحلبى، ١٩٥٠. وينبغى ملاحظة أن كلمة الوهابية استخدمت فى البداية من جانب مناوئى الحركة ومعارضيها، وفيما بعد أصبحت مصطلحاً مقبولاً ــ ويصف الوهابيون أنفسهم بـ(الموحدين) ــ أنظر، منير العجلانى ــ الدولة السعودية الأولى ــ الرياض: د.ن، د.ت، ص ٢٧٩ ــ ٢٨١.

هذه الحوادث نشوء المجتمع الوهابى حيث تم الحفاظ داخله على عقيدة التوحيد.

أثارت أعمال الشيخ وحماية الأمير عثمان بن معمر حاكم العينية له عداء علماء المنطقة، وأدى إلى ارتفاع حدة الهجوم على الوهابية. ونقل لنا إبن غنام، المؤرخ النجدى المعاصر لمحمد بن عبد الوهاب، الإتهامات التى وجهها قاضى الرياض «ابن السهيم» أبرز اعداء الوهابية ضد الشيخ:

«لقد أحرق كتاب «دلائل الخيرات» (١١) لأنه مؤلفه أشار إلى النبى بإعتباره «سيدنا» ومولانا..، أحرق كتاب «روض الرياحين» وأسماه «روض الشياطين» (١٢). وإدعى أن الناس لم تعد تتبع الدين.. ولم يؤمن بأن الخلاف فى الرأى بين الأئمة رحمة، بل رأى أنه مصيبة وسوء مصير..، واستنكر الدعاء للسلطان فى خطبة الجمعة، مدعيا أنه فاسق واعتبر الصلاة على النبى يوم الجمعة بدعة» (١٣).

إتهم الشيخ العلماء بمعارضة حركته بسبب خوفهم من فقدان مكانتهم الإجتماعية، وانتقدهم لعدم مبادرتهم بمعارضة الممارسات

---

(١١) دلائل الخيرات كتبه محمد الغازولى (توفى ١٤٤١) ويمتدح فيه النبى محمد ﷺ، ويروى هذا المؤلف ويتلى فى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامى.

(١٢) روض الرياحين كتبه عبد الله اليافى اليمانى (توفى ١٣٦٦) ويمدح فيه النبى ﷺ وصحابته.

(١٣) حسين ابن غنام، طريق نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام ....ـ القاهرة: د. ن، ١٩٤٩.

المكروهة والتى إعتبرها منحرفة عن الإسلام. وأيضاً لمعارضته تقاضى أجور مقابل تقديم العلماء الفتاوى الشرعية والنصائح والأحكام (١٤). وهكذا إشتدت حدة هجمات علماء المنطقة على الشيخ، وطالبوا حكام المنطقة «من واجبهم كقادة للمسلمين والمنوط بهم حفظ الشريعة، أن يضعوا نهاية لأخطار الوهابية وبدعها» إشارة إلى الطابع التهديدى للحركة، وذكر العلماء أن هدف الشيخ «ليس أقل من تحريض العامة للتمرد على السلطة وعصيان القيادة الراهنة» (١٥).

وجدت الرغبة فى القضاء على الحركة الوهابية إستجابة من سليمان بن محمد، أحد زعماء القبائل (بنو خالد) وحاكم منطقة الإحساء. فلقد أقلقه الإنتشار السريع للحركة وتزايد أعداد أتباعها. وذكر «ابن بشر» أن سليمان كتب إلى عثمان بن معمر حاكم العيينة، يطلب منه طرد الشيخ وعائلته أو قتله. وحذره سليمان فى حالة عدم تنفيذه لطلبه سيقطع كل مساعداته الإقتصادية إلى العيينة (١٦). وخوفاً من تهديد سليمان، نقض عثمان بن معمر تحالفه مع الشيخ، وطرده من المدينة.

الشيخ والأمير والحلف الناجح:

بعد طرده من العيينة بحث ابن عبدالوهاب عن مأوى وملجأ

(١٤) محمد بن عبدالوهاب إنتقد والده لقبوله عطايا من المتقاضين. وأدى إنتقاده إلى تدهور العلاقة بينهما.

١٥) ابن غنام ـــ طريق نجد ص ٣٢.

(١٦) ابن بشر ـــ عنوان المجد ص ١٠ ـــ ١١.

فى الدرعية . حيث يوجد صراع بين حكامها مع سليمان بن محمد ، ولأن بعض وجهاء المدينة تبنوا عقيدة الشيخ بن عبد الوهاب ومن بينهم إخوان وأبناء محمد بن سعود حاكم الدرعية .

بعد وصول الشيخ إلى الدرعية بفترة قصيرة ، زاره محمد بن سعود والذى منحه (نفس الحماية الممنوحة لنسائه أطفاله) (١٧) . فى مقابل حمايته ، طلب منه حاكم الدرعية عدم مغادرة المدينة ، وعدم معارضة الضرائب التى يفرضها على مواطنى الإمارة ، ووافق الشيخ على الشرط الأول ، وإمتنع عن تقديم إجابة واضحة على الثانى وقال « .. ربما يعطيك الله نصراً ، وتحصل على غنائم أكثر من هذه الضرائب » (١٨) . وتم الإتفاق بين الشيخ والأمير ، والذى إعتبر نقطة ارتكاز وحجر الزاوية للتحالف السعودى الوهابى ، وطبقاً له ، كما ذكر مؤلف كتاب (لمع الشهاب) أسندت السلطة الدنيوية لمحمد بن سعود وخلفائه ، والسلطة الروحية لمحمد بن عبد الوهاب وأولاده .

فى العامين الأوليين لوجوده فى الدرعية دعا الشيخ لارائه وبعث بالرسائل لباقى الحكام والعلماء ، وقادة القبائل فى الجزيرة العربية (١٩) . وجاءت الإجابات التى تلقاها محصلة لإعتبارات

---

(١٧) ابن غنام ــ طريق نجد .

(١٨) ابن بشر ــ عنوان المجد ص ١٢ .

(١٩) للإطلاع على المجموعة الكاملة لرسائل الشيخ ابن عبد الوهاب للحكام والعلماء وزعماء القبائل فى الجزيرة العربية أنظر محمد بن عبد الوهاب ــ مؤلفات الشيخ ــ مجلده ــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ــ د . ت .

سياسية، وإقتصادية. وبإعتبار الوهابية حركة دينية، إلتحق بها بعض قادة القبائل كوسيلة للحصول على حلفاء جدد ضد خصومهم ومنافسيهم المحليين. وخشى آخرون، تأثير إنضمامهم للوهابية بالإنتقاص من سلطتهم لصالح بن سعود، وإجبارهم على الأقل على دفع قدر من الضرائب التى يجمعونها من إتباعهم له.

مع حلول عام ١٧٤٦م أصبح الوقت ملائماً والظرف ناضجاً لآل سعود والشيخ ابن عبد الوهاب للجوء لإستخدام القوة لتحقيق ماعجزوا عن تحقيقه بوسائل الدعوة والمناقشة. وإكتسب الشيخ وجاهة رسمية ومكانة إجتماعية. وأصبح سكان المنطقة يؤمنون بأن معارضى الوهابية وخصومها أعداء للإسلام، ويجب قتالهم، ويحل الاستيلاء على أملاكهم.

جاءت الفرصة لنشر عقيدة الوهابية عندما أصبح للمنطقة سلطة سياسية تنظيمية تنشر مبادىء الدعوة بالوسائل العسكرية. وأعلن ابن سعود، وابن عبد الوهاب الجهاد على خصومهم وتوالى سقوط الإمارات تحت هجوم القوات السعودية. ومع عام ١٧٧٣، سقطت إمارة الرياض، ونقلت خزائنها ضمن أملاك ابن سعود.

بسقوط الرياض بدأت مرحلة جديدة فى حياة وأعمال محمد بن عبد الوهاب، والذى كرس بعض سلطاته ومنحها لعبد العزيز بن محمد بن سعود، الذى خلف والده عام ١٧٦٥م، وركز الشيخ جهود فى التعليم والعبادة حتى وفاته عام ١٧٩١م. لكن لم توقف

وفاته توسع الدولة الجديدة ، ولم تكتف الحركة بالصمود فى وجه خصومها ومعارضيها ، والاستيلاء على إمارات جديدة ، بل أصبحت قادرة فى غضون فترة قصيرة نسبياً على إخضاع مكة والمدينة والإستيلاء عليهما عامى ١٨٠٥م ، ١٨٠٦م .

العقيدة الوهابية :

كتب الشيخ فى موضوعات إسلامية مختلفة مثل علوم الدين ، التوحيد ، الفقه وأصوله ، سيرة الرسول ، وتنوعت أعماله من كتب ، محاضرات ، رسائل . وهناك مجموعة من القضايا الرئيسية التى تسيطر على تعاليم محمد بن عبد الوهاب ، وتتميز بها الوهابية كحركة إسلامية ـــ هى بالتحديد :

١ـــ التوحيد . ٢ـــ التوسل .

٣ـــ زيارة القبول .

٤ـــ التكفير .

٥ـــ البدعة .

٦ـــ الإجتهاد والتقليد .

رغم أننا لن نركز هنا على الخلاف الدينى بين الوهابين وخصومهم ، إلا أنه ينبغى تحديد السمات الأيديولوجية الرئيسية للحركة ، وتأثيرها على تطور الدولة السعودية وصياغتها لشخصيتها الإسلامية .

التوحيد :

التوحيد هو الفكرة المحورية للعقيدة الوهابية ، فلقد إعتبرها محمد

بن عبد الوهاب «عقيدة الألوهية الخالدة» فهى «دين الإسلام ذاته» (٢٠) وتمسك الشيخ بأن واحدية الإله تكشف عن ذاتها بثلاث طرق متميزة: **الأول:** فى توحيد الربوبية وهى تأكيد وحدانية الله وأفعاله. «فهو وحده خالق الكون ومُسيِّره وراعيه» (٢١). **الثانية:** فى توحيد الذات والصفات ويتعلق هذا المفهوم بذات الله وصفاته. فهو: «يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما» (٢٢) وهو «الرحمن على العرش إستوى» (٢٣) وهو: «له ما فى السموات وما فى الأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى» (٢٤). **الملمح الثالث،** للتوحيد يوصف بأنه توحيد

العبودية للألوهية، وينبغى أن تكون العبادة للإله وحدة «لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله» (٢٥) تعنى أن كل أشكال العبادة ينبغى أن تكون لله وحده، ولا ينبغى عبادة النبى محمد ﷺ، بل

(٢٠) محمد بن عبد الوهاب ــ كتاب التوحيد، بيروت: دار نشر القرآن المجيد، ١٩٧٨، ص ١٤.

(٢١) وردت فى ــ تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد ــ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ــ الرياض: إدارة البحوث، الإفتاء، الدعوة والارشاد، د. ت، ص ١٧.

(٢٢) القرآن ــ السورة (سورة طه، الآية (١١٠)).

(٢٣) القرآن ــ السورة (سورة طه، الآية (٥)).

(٢٤) القرآن ــ السورة (سورة طه، الآية (٦)).

(٢٥) القرآن، سورة الأنبياء **(قل إنما يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد، فهل أنتم مسلمون»** الآية (١٠٨).

هو مجرد رسول، يجب طاعته وإتباع رسالته»(٢٦). وأكد الشيخ على ضرورة تفريق المسلمين بين الله، الخالق ــ والنبى، العبد المخلوق) وأن الرسول ﷺ إحتل بفضل نبوته بفضل مكانة تفوق كل البشر. فهو معصوم من الخطأ، ينبغى على المسلمين إتباع رسالته والإيمان بها والسلوك إقتداء به»(٢٧).

التوســـل:

إختلفت الوهابية مع خصومها ومعارضيها خلافا حاداً حول مسألة الشفاعة والتوسل. حيث إعتبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب العبادة هى «كل الأقوال والأفعال ــ الظاهرة والخفية التى يريدها الله من عباده وأمرنا بها»(٢٨). وكتب الشيخ فى كتابه (التوحيد) أن طلب الحماية من الأشجار، الأحجار، وما شابه شرك كبير. وبالمثل، لا ينبغى طلب العون والحماية والمساعدة إلا باللجوء إلى الله. فالتوسل أو الشفاعة، كما ذكر الشيح لا يمنحها إلا الله، وبرضائه عن الشخص الذى يدعوه طالباً إياها، والذى يجب أن يكون موّحد حقيقى. بوجه عام فالشفاعة بالمشايخ الموتى أمر ممنوع. أما شفاعة النبى محمد ﷺ للبشر أمام الله، إستنتج الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن النبى محمد ﷺ لا يهدى من يحب إلى

---

(٢٦) الشيخ سليمان بن عبد الله ــ تيسير العزيز ص ٢٠.

(٢٧) لمزيد من المعلومات عن كيفية رؤية الوهابيين للنبى محمد ﷺ، أنظر محمد بن عبد الوهاب ــ سيرة رسول الله ﷺ.

(٢٨) الشيخ سليمان بن عبد الله ــ تيسير العزيز ص ٣٠.

الإسلام إلا بإرادة الله، ولا يطلب المغفرة للكفار والمشركين (٢٩).
وحذر الشيخ المؤمنين من المبالغة فى تقديس المشايخ، وإستخدام مقابرهم أماكن للعبادة (٣٠).

زيارة القبور:

أدت عقيدة الوهابية فى التوسل إلى ذم طقوس زيارة القبور وبناء الأضرحة بالقرب منها وفى البداية اعتبر الشيخ محمد بن عبدالوهاب زيارة القبور طبقاً للروح الإسلامية الأصيلة، عملاً من أعمال التقوى المحمودة (٣١). أما زيارة القبور التى نهى عنها الوهابيون فهى التى تخالف تعاليم الإسلام، وسنة النبى ﷺ، والذى تبعاً لرأيه تخدم زيارة القبور أهداف ثلاثة:

(١) التذكرة بالآخرة.

(٢) مصدر فائدة مزدوجة، للزائر لاتباعه سنة رسول الله ﷺ، ولصاحب القبر، للصلاة عليه والدعاء له.

(٣) وسيلة لإحياء ذكرى الموتى.

كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن الناس غيروا الصلاة على الموتى إلى صلاة لهم. وأصبحت مقابرهم أماكن للتعبد وأن التقديس المبالغ فيه للموتى ذائعى الصيت هو الخطوة الأولى تجاه

(٢٩) نفس المرجع ص ٤٠ — ٤١.

(٣٠) نفس المرجع ص ٤٥ — ٤٧.

(٣١) كتاب الشيخ حمد بن نصيف بن عثمان بن معمر «إرشاد المسلمين فى الرد على القبوريين — الرياض: مؤسسة النور، ١٩٧٣ — ويناقش فيه الرؤية الوهابية لزيارة القبور.

عبادة الأصنام فى فترة ما قبل الإسلام (٣٢). ولتجنب الوقوع فى الشرك، إعتبر الوهابيون أن تدمير المقابر والأضرحة أمر ملزم وواجب على كل المسلمين. وأكدوا على ضرورة أن تكون القبور بمستوى الأرض، وتجنب الكتابة وعمل الزينة ورسم الزخارف على القبور (٣٣).

التكفير والقتال:

ترى عقيدة الوهابية فى التكفير أن مجرد إعتناق المرء للإسلام ليس كافياً فى ذاته، لإبعاد المسلم عن دائرة الشرك. بل أن الشخص الذى ينطق الشهادتين، ويظل يمارس الشرك كما رأى الوهابيون، ينبغى إدانته بالشرك وإعتباره كافراً يجب قتاله (٣٤). وتأييداً لموقفهم، ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعض آيات القرآن واستشهد بها مثل:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾(٣٥).

وكتب فى رسالته إلى سليمان بن السهيم، أبرز خصومه،

---

(٣٢) محمد بن عبد الوهاب ـ كتاب التوحيد ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٣٣) نفس المرجع ص ٤٣ ـ ٤٤.

(٣٤) انظر رسالة الشيخ ـ لأحمد بن ابراهيم ـ المطوع فى منطقة الوشم يخبره بضرورة مهاجمة الكفار ومصادرة ممتلكاتهم ـ مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب م ٥ ص ٢٠٤ ـ ٢١٠.

(٣٥) القرآن الكريم سورة النساء (١٤٥) (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا).

معرفا الكافر بأنه الشخص «الذى عرف دين الرسول ﷺ وظل واقفا ضده، ويمنع الآخرون من إعتناقه، ويظهر العداء لمن يتبع دينه» (٣٦). بالنسبة للقتال، رأى الشيخ أن واجب كل مؤمن قادر قتال الكفار والمشركين والمسلمين (المنافقين).

البدعة:

عرّف الوهابيون البدعة بأنها إعتقاد أو سلوك لا يقوم على القرآن والسنة، أو الاستشهاد بالصحابة الثقاة (٣٧). وأدان الشيخ كل أشكال البدع، ورفض أراء من يؤمنون بإمكان إعتبار البدعة محمودة ومقبولة. واشتشهد بالقرآن والسنة لتأييد أرائه. ففى كتابه «أصول الإسلام» استشهد محمد بن عبد الوهاب بآيات قرآنية: **«لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة»** (٣٨). طبقاً لهذه الآية، فى رأى ابن عبد الوهاب ينبغى على كل المسلمين، صياغة سلوكهم وفقاً للقرآن، وسنة الرسول ﷺ، حيث يذكر حديث الرسول ﷺ: **«كل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة»** (٣٩). وقد رفض الوهابيون البدع مثل إحياء ذكرى مولد الرسول ﷺ، والتوسل للمشايخ وطلب شفاعتهم، تلاوة فاتحة القرآن لمشايخ

(٣٦) محمد بن عبد الوهاب، مؤلفات الشيخ ـ م ٥ ص ٢٢٦ ـ ٢٣٧.
(٣٧) محمد بن عبد الوهاب، فضل الإسلام ـ م ١ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧.
(٣٨) سورة الأحزاب (٢١). (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً).
(٣٩) محمد بن عبد الوهاب، مؤلفات الشيخ ـ م ١ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

الصوفية بعد الصلوات الخمس ، اداء الصلوات الخمس دفعة واحدة ـ مرة إضافية ـ بعد صلاة الجمعة الأخيرة فى شهر رمضان .

الاجتهاد والتقليد :

رأى محمد بن عبد الوهاب وأتباعه أن الله قد أمر البشر بطاعته وحده ، وإتباع تعاليم رسوله . وهكذا طالب الوهابيون بالإلتزام الكامل بالقرآن والسنة ، ورفض كل التأويلات والتفاسير التى طرحتها المذاهب الأربعة [الشافعية ـ المالكية ـ الحنفية ـ الحنابلة] بما فيها المذهب الحنبلى الذى يتبعه الوهابيون ، إذا لم يكن متسقاً مع القرآن والسنة (٤) .

قدمت الوهابية رؤية جريئة لكيفية مناقشة القضايا العقائدية . ولحل مشكلة أو مسألة دينية ، ففى رأيهم ينبغى أولاً بحثها فى القرآن والسنة ، أو البحث عن أى اشارة فى هذين المصدرين . ثم فى أراء الصحابة الأخيار ، وإجماع العلماء ، وقيدوا الإجماع وقصروه على أولئك الذين يتبعون القرآن والسنة فقط .

بالنسبة للإجتهاد ، رفض الوهابيون فكرة « غلق أبواب الإجتهاد » . ورغم إتباعهم للمذهب الحنبلى ، إلا أنهم لم يتقبلوا أحكامه بشكل نهائى . بل لو ثبت خطأ أى تفسير حنبلى فإنهم ينكرونه

(٤٠) رفض ابن عبد الوهاب البدعة ، فى خطاب أرسله لرجال مكة « نحن أهل سنة ولسنا أهل إبتداع » ، أنظر ـ محمد بن عبد الوهاب ـ مؤلفات الشيخ ـ م ٥ ص ٤٠ . وفى خطاب آخر أرسله لأتباعه ، كتب ابن عبد الوهاب « بالنسبة للإجتهاد ، نحن مقلدون للكتاب ، السنة ، السلف الصالح والأئمة الأربعة » أنظر نفس المرجع ص ٩٦.

فورا. وتأييدا لرأيهم، إستشهد الوهابيون بالقرآن وأياته التى تركز على أن القرآن والسنة فقط هما أساس القانون الإسلامى.

الوهابية وآليات السلطة:

فى بداية حركته عام ١٧٢٠م، أنكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب القيم الإجتماعية والممارسات الدينية السائدة فى مجتمعه. وإتهم زعماء قبائل نجد وقادتها السياسيين بعدم تطبيق الشريعة الإسلامية. واستقطبت الحركة أتباع كثيرين لأنها «تدعو لشىء قديم بطريقة جديدة» (٤١). وكما أشار د. نوك «تكمن أصالة الرسول النبى فى قدرته على صهر مشاعر أتباعه، والتعبير عنهم وتوجيهم وتنظيمهم» (٤٢)، لقد دافع الوهابيون عن الإسلام السلفى بإسلوب جديد، وعنف لايقبل المساومة أو التوفيق، ونجحت الحركة وتحولت إلى أيديولوجية دولة، عندما تحالف محمد بن عبد الوهاب مع حكام الدرعية من آل سعود. وأتاح هذا الحلف للوهابية الدعم والحماية التى تحتاجه، وقدم لإبن سعود؛ الأيديولوجية، والأتباع المتطوعين لتنفيذ أهدافه. فى الحقيقة، فلقد برر آل سعود هجماتهم على الإمارات المجاورة والإستيلاء عليها؛ بتنفيذهم لتقليد ومبدأ التفكير والقتال. ووظفت تعاليم الوهابيين لإضفاء الشرعية الدينية على سيطرة آل سعود وإستيلاءهم على

(٤١) م. د. نوك، الدعوة والهداية ـ لندن: مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٦١، ص ٩، ١٠.

(٤٢) نفس المرجع.

الجزيرة العربية. حيث أن محمد بن عبدالوهاب قد ركز فى كتاباته على وجوب طاعة الحكام حتى لو كانوا طغاة وينبغى إتباع أوامر الحكام طالما أنها لا تتناقض مع أحكام الدين، التى يفسرها العلماء. ونصح الشيخ بالصبر على الطغيان، وأدان التمرد المسلح ضد الحكام الطغاة[43]. وطالب الشيخ الحكام بتحقيق العدل، مهما كان هدفهم الأساسى، وضرورة تطبيق الشريعة بالتعاون مع العلماء.

إعتمد محمد بن عبدالوهاب على تعريف الإمام ابن تيمية لنموذج الدولة الإسلامية، فى تناوله لدور العلماء، فلقد إعتبرها ابن تيمية دولة تمتلك سلطتين: سلطة الأمراء، وسلطة العلماء. حيث يشكل العلماء الطليعة الموجهة للجماعة؛ لمعرفتهم بالقانون الإسلامى، ينبغى أن يعتمد الحكام على مشورة العلماء. لكن، لم يفترض ابن تيمية ولا ابن عبدالوهاب وجود تنظيم كهنوتى دينى، أو تمتع العلماء بمزايا خاصة. بإختصار، الحكام هم المسئولون عن الحفاظ على الواجبات والفروض الدينية الصحيحة. وينبغى على العلماء تقديم المشورة ونصح الحاكم وتأييده طالما يطبق حكم الله. كما أكد ابن تيمية «يتم كسب السلطة وحكم الناس إما بطاعتهم الإختيارية، وبيعتهم للإمام، أو رغماً عنهم والسيطرة عليهم،

(٤٣) انظر محمد بن عبدالوهاب ــ كتاب الكبائر ــ المجلد الثانى من المؤلفات الكاملة ص ٤٥ ــ ٤٦ ــ حيث كرس فصلين لنصح المسلمين وحثهم على طاعة حكامهم وتحذيرهم من العصيان.

وعندما يتمكن من السيطرة عليهم ، يصير حاكما لهم ، وتصبح طاعته واجبة ، طالما بأمر الله » (٤٤) .

تلتصق علاقات التعاون بين محمد بن عبد الوهاب وآل سعود حكام الدرعية ، ارتباطاً وثيقاً بفكر ابن تيمية . ولقد ذكر المؤرخ النجدى ابن بشر أن سلطة الشيخ لها نفس أهمية سلطة الأمير.

«كان حكام الدرعية يسلمون محمد بن عبد الوهاب خمس الغنائم ، الصدقات ، العوائد ليستخدمها كما يشاء . ولم يتلق عبد العزيز بن محمد بن سعود ولا أى فرد آخر شيئاً دون اذنه . وكان هو الذى يتخذ قرارات الحرب والسلم ، وكانت آراء وقرارات محمد بن سعود ، وابنه عبد العزيز تستند لتفكير الشيخ وأحكامه » (٤٥) .

رغم أن المصادر التاريخية النجدية تؤكد لنا تنازل محمد بن عبد الوهاب عن بعض سلطاته لصالح عبد العزيز بن سعود عام ١٧٧٤م ، لكنها لم تذكر دوافع هذا القرار. وما هو معلوم ، مع ذلك ، أن عبد العزيز إستمر فى إستشارة الشيخ فى القضايا الكبرى . وبقيت الأمور الدينية التعليمية تحت الرقابة المباشرة لمحمد بن عبد الوهاب . ولارتباطه بالشئون الدينية ودخوله ضمن دائرة المذهب الفقهى للشيخ ، ظل النظام القضائى تابعاً له . فلقد أنشأ

---

(٤٤) قمر الدين خان ــ الفكر السياسى لابن تيمية ــ إسلام آباد : معهد البحوث الإسلامية ، ١٩٧٣ ــ ص ١٣٤ .

(٤٥) ابن بشر ، عنوان المجلد ص ١٥ .

الشيخ جماعة المطوعين الذين يستخدمون كشرطة لفرض العدل ، وتمول الخزانة العامة (بيت المال) أجورهم . وتنحصر مهام المطوع فى إعتقال المتخلفين عن أداء الصلاة فى المساجد ، أو إنتهاك مبادىء الشريعة ، وتقديمهم لمعاقبتهم .

يرى محمد بن عبد الوهاب ، وابن تيمية ، وبالمثل باقى علماء الإسلام أن الإسلام يقوم على مبدأ « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ومراقبة تطبيق هذا المبدأ واجب ملزم لكل القيادات الإسلامية . وعلى كل مسلم قادر على ممارسته . ولتطبيق هذا المبدأ ، حدد الوهابيون عمل ومهمة المطوع . حيث يتم تعيين مطوع لكل حى سكنى ، وتتضمن واجباته ، إجبار الجمهور على أداء الصلاة ، ومنع إرتكاب المعاصى مثل شرب الخمور ، تدخين السجائر ، التبغ ، ارتداء الملابس الحريرية أو الذهب والمجوهرات ، غزف الموسيقى أو الإستماع لها . قد أثبت هذا النظام نجاحه فى السيطرة على المجتمع ، ودعم وترسيخ الحكم السعودى . فلقد كان واجب كل مطوع إعداد قوائم بأسماء كل الأفراد البالغين فى منطقته السياسية . وعند كل صلاة ، ينادى على الأسماء فى المسجد . ويزور المطوع بصحبة الإمام وبعض وجهاء المجتمع المتخلفين عن الصلاة لمعرفة سبب تغيبه ، ويلقى عقابه علانية فى حضور باقى اقرار الحى .

خاتمــة:

كانت أهداف بن عبد الوهاب عندما بدأ حركته عام ١٧٢٠م كسب إعتراف وحماية القيادات السياسية للجزيرة العربية وحقق التحالف بين الشيخ والأمير محمد بن سعود حاكم الدرعية عام ١٧٤٠م أهدافه، ووفر لآل سعود التبرير الأيديولوجى للسيطرة على الجزيرة العربية.

بمجرد قيام الدولة السعودية، إستمر الشيخ فى أداء دوره الهام فى الشئون السياسية، ففى الحقيقة وجد آل سعود فى العقيدة الوهابية أداة فائقة الفاعلية فى الدعاية لحكم آل سعود. فليس أمراً غريباً، الإعتماد على حركة دينية لكسب الشرعية للحكم، فلقد كان شائعاً فى الجزيرة العربية. فعلى سبيل المثال، وصل الخلفاء العباسيون، والفاطميون للسلطة تحت بيارق الحركات الدينية. لكن المثير للدهشة، هو تلك العلاقة المتسقة المتناغمة بين الدين والدولة فى الجزيرة العربية، إبان القرن الثامن عشر، فلقد ساهم كلا

الطرفين (الدين ــ الدولة) فى دعم ووجود ، وبقاء كليهما . وأصبح ملحاً إختبار مدى متانة وقوة هذا الحلف فى ضوء تطورات القرن العشرين عندما إستعاد إبن سعود حكم أسلافه ، وأحيا المملكة السعودية .

كان السؤال :

لأى مدى يمكن لدولة حديثة تحتكر السلطة والموارد ، وتحتاج الحفاظ على درجة عالية من الإستقلالية ، التعامل مع سلطة دينية مستقلة قد تنافسها على ولاء مواطنيها ؟

الباب الثانى

الدين والدولة فى مجتمع القبيلة

مقـدمة :

تتكون أشكال الحكم السياسية من مزيج من السلطة الزعامية (الكارزمية) والسلطة التقليدية، والسلطة الدستورية. ويقدم لنا كل شكل أداة تحليلية مفيدة تمكننا من المقارنة والتصنيف، وفهم النظم السياسية (١). فالسلطة الزعامية (الكارزمية) يمكن تعريفها بإعتبـار (الزعامة) سمة معينة لشخص يمكنه بفضلها «الإبتعاد عن دائرة باقى الأفراد العاديين، ومعاملته كشخص استثنائى، يتسامى عليهم، ويتمتع بقوة خارقة، أو على الأقل بقوة وصفات غير عادية، استثنائية» (٢). ولكى يصبح شخص ما زعيم كارزمى ينبغى أن يعتبره أتباعه كذلك، ومن وقت لآخر، ينبغى عليه

---

(١) رينهارد ـ بنديكس ـ ماكس فيبر: صورة عقلية ـ نيويورك: كتب أنكور، ١٩٦٢ ـ ص ٣٢٩.

(٢) ماكس فيبر ـ نظرية التنظيم الإجتماعى ـ نيويورك: فرى برس، ١٩٤٧ ـ ص ٣٥٨.

إظهار صفاته القيادية. ولو فشل فى القيام بذلك لفترة طويلة، تتلاشى زعامته الكازرمية وتعطب».

تقوم السلطة التقليدية على الإيمان بشرعية أية سلطة «كانت قائمة من قبل» (٣). فالقائد الذى يحكم ويتمتع بالسلطة بفضل وضعه الوراثى. وتكتسب أوامره الشرعية، بمعنى أنها جاءته وفقاً للعادات والتقاليد (٤). على الجانب الآخر، تتكون السلطة الدستورية من مجموعة قواعد تطبق فقهيا وإداريا على كل أعضاء الجماعة وفقا لمبادىء محددة وواضحة. وينتخب القائد عن طريق إجراءات إنتخاب قانونى، ويخضع هو نفسه للقانون.

يكتسب الحاكم شرعية قيادته بقدرته على تحقيق حاجات مجتمعة واشباع رغباته، وإيمان أتباعه بشرعيته (٥). فلقد لاحظ «ماكس فيبر» «سيغير كل نظام حكم هويته، عندما يفشل الحكام فى التوافق مع المعايير التى يكتسبون بها شرعية سلطتهم. وهكذا يدمرون الإيمان بهذه المعايير بين العامة على نطاق أوسع» (٦). ففى ظل السلطة الدستورية على سبيل المثال، يخضع الحاكم نفسه للقانون، لكنه قد يدمر الإيمان به لو وظفه لتوسيع سلطاته.

---

(٣) بنديكس. ماكس فيبر ص ٢٩٥.

(٤) نفس المرجع.

(٥) تعرف الشرعية هنا بأنها إقتناع المواطن «بأولوية وضرورة طاعة السلطة والوفاء والإلتزام بمتطلبات النظام» ـ أنظر ديفيد ايستون ـ تحليل النظم فى الحياة السياسية ـ نيويورك: ويلى، ١٩٦٥ ـ ص ٢٧٨.

(٦) بنديكس ـ ماكس فيبر ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

يقرر الوضع التاريخى للمجتمع والدرجة التى بلغها فى مدرج التطور سيادة إتجاه أو نزعة على أخرى، ويحدد نوع السلطة والشرعية الملائمة. فقد يؤكد الحكام على نمط من السلطة والشرعية لأنها الأكثر ملائمة للوضع الراهن، لدعم مصالح الجماعة الروحية والمادية. فعلى سبيل المثال، قد يؤكد الحاكم على الأساس التقليدى لشرعية حكمه، ويفضلها على الشرعية الدستورية، للتكيف مع الظروف المتغيرة.

تحول صيغ الحكم والسلطة التى مارسها آل سعود المعاصرون فى الجزيرة العربية. فلقد أسس ابن سعود شرعية نظامه وحكمه السياسى على دمج وتضافر العناصر الكارزمية بتلك التقليدية (٧). فإستخدم زعامته الكارزمية لحشد البدو خلفه، ووظف السيطرة التقليدية لقبيلته على المنطقة، وتحالفها مع الوهابية لتبرير عزواته ودعم سلطته. وعندما قاربت مسيرته على الإكتمال للسيطرة على كل مناطق الجزيرة العربية، أنشأ ابن سعود بناء حكومى حديث ليواجه متطلبات الدولة القومية الحديثة. وارتبط النمط الجديد للسلطة فى نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات بما عرفه ماكس فيبر بـ «الحكم القبلى العشائرى» (٨).

---

(٧) لدراسة زعامة ابن سعود، انظر عمر كشميرى ــ إبن سعود: مؤسس الأمة العربية ــ رسالة دكتوراه، جامعة هارفارد واشنطن، ١٩٧٣.

(٨) النمط الثالث هو النظام الإقطاعى الذى ساد المجتمعات الأوروبية الوسيطة.

ففى دراسته للسلطة التقليدية افترض «ماكس فيبر» وجود نمطين لها : النمط البطريركى (الأبوى) والنمط القبلى العشائرى . ويتكون النظام البطريركى من جوهر كل النظم التقليدية ، ويوجد عموماً فى جماعة الملكيات العائلية التى يحكمها رب العائلة .

«بدون هيئة حكم مساعدة له ، ولا آليات لفرض إرادته .. ويقف أفراد العائلة المالكة فى ارتباط شخصى مباشر معه . يطيعون أوامره ، وهو يأمرهم إيماناً بأن هذا من حقه ، وذلك واجبهم ، وهو جزء من النظام القدرى الذى لا مهرب منه ، ويتصف بتقاليد أبدية مقدسة» (٩) .

يكتسب النظام القبلى العشائرى خاصية مختلفة ، حيث يوجد بناء حكومى محدد ، يتغلغل فى أحشاء المجتمع . وتصبح مهمة الحكومة فى هذا النظام أكثر تخصصا ، وتعقيدا ، وإتقاناً . وتبعاً ، لتعقد بناء المؤسسات ، تدار علاقة الحاكم بالمحكومين من خلال عمل وأداء جهاز بيروقراطى . ورغم الخلافات بين النظامين (البطريركى (الأبوى ، والعشائرى) يظل النظام العشائرى إمتداداً للنظام البطريركى «الأبوى» . وتبعاً لذلك ، عرف «رينهارت بنديكس» (١٠) الحكم العشائرى بإعتباره «إمتداداً للحكم الأسرى ، الذى تبقى فى إطاره العلاقة بين الحاكم وعماله قائمة على أساس الأبوة والولاء الأبوى» (١١) .

(٩) بنديكس ــ ماكس فيبر ص ٣٣٠ ــ ٣٣١ .

(١٠) نفس المرجع .

(١١) نفس المرجع .

فى ظل النظام العشائرى ، يتعامل الحاكم مع كل الإدارات السياسية بإعتبارها من الشئون العائلية الخاصة ، بنفس الطريقة التى يدير بها ممتلكاته . ويعتبر السلطة السياسية أداة مفيدة للملكيته الخاصة . ويخول لموظفيه الرسميين مسئولية القيام بمهام خاصة ، كل على حدة ، وبناء على ثقته الخاصة بهم ودون إيجاد تقسيم مجدد للمهام والعمل . ومن جانبهم يتعامل المسئولون مع عملهم الحكومى بإعتباره خدمة شخصية له قائمة على وجوب طاعته واحترامه .. وفى علاقتهم بجماهير المواطنين يمارسون نفس علاقة الإستبداد التى يمارسها معهم الحاكم ، على فرض أنهم لن ينتهكوا التقاليد ، وطاعة الحاكم » (١٢) .

يكشف الجانب الشخصى للزعامة العشائرية عن نفسه فى وصف «مانفريد هاليرن» باته «مثل علاقة الفيض والانبثاق» حيث ينظر الفرد للآخر بإعتباره إمتداداً له (١٣) . بإختصار ، يعتبر الحاكم فى النظام العشائرى محور ومركز كل السلطات . فهو المثال ، المرشد ، الموجه ، المبدع ، المخطط الوسيط ، المنتقم ، حامى الحمى » (١٤) . ورغم أنه قد يؤسس بناء حكومى معقد ليعاونه فى تطبيق سياساته يظل هو مركز السلطة .

(١٢) بانفريد هاليرن ـ أربع منظومات متباينة للعلاقات الإنسانية فى الإسلام ـ ضمن كتاب « الأبعاد السيكولوجية لمجتمعات الشرق الأدنى » محررة : كارل براون ، نورمان ليدز فيتز بريستون : مطبعة داروين ، ١٩٧٧ .

(١٣) نفس المرجع ص ٦٤ .

(١٤) جيمس بيل ، كارل ليدبن ـ السياسة فى الشرق الأوسط : مؤسسة براون ، ١٩٧٤ ص ١٥٢ .

والسؤال الذى يعالجه هذا الفصل هو:

(١) ماهى الإستراتيجيات التى تبناها آل سعود لإستخدام الدين والمؤسسة الدينية لإقامة وبناء الدولة السعودية ، وتثبيت دعائمها ؟

(٢) ما هو موقف العلماء تجاه السلطة السياسية الوليدة ؟

(٣) ما هى محصلة التفاعل بين السلطة السياسية والعلماء ؟

(٤) ماهى التغييرات التى أدخلها آل سعود على نمط الشرعية بعد إكتشاف البترول ؟

(٥) ما هى المؤسسات التى أقاموها ؟

(٦) كيف تؤدى هذه المؤسسات عملها فى مجتمع القبيلة العشائرى ؟

(٧) ما هو موقف العلماء فى التنظيم الجديد ؟

(٨) كيف كان رد فعل العلماء على تغيير القانون السعودى ؟

(٩) فى أى المجالات كانت فعاليتهم أكثر أو أقل ؟

(١٠) ما هى السياسات التى أدخلها آل سعود ولأى هدف ؟

(١١) كيف كان رد فعل العلماء على هذه السياسات ؟

(١٢) ماهى الخيارات المستقبلية للتفاعل الراهن بين العلماء والدولة ، والمجتمع على نطاق أوسع ؟

الفصـــل الثالث

الدين أداة للحكم والتوسع

كانت عملية إستعادة مدينة الرياض والاستيلاء عليها عام ١٩٠٢، علامة على بدء إبن سعود مرحلة جديدة لبناء المملكة العربية السعوديّة الحديثة. ففى محاولته مد أرجاء ملكه وتثبيت دعائمه، أحيا ابن سعود الوهابية كأيديولوجية للدولة. وركز على الحق التقليدى للعائلة فى حكم المنطقة، ووظف زعامته الكارزمية لنشر دعوته. فى توظيفه للدين والمؤسسة الدينية لتحقيق أهدافه السياسية؛ تبنى ابن سعود سياسة مزدوجة: فمن ناحية، أنشأ مؤسسة دينية مقدسة تمده بدعم وتأييد المجتمع وبناء وعى جماعى، واكتساب هوية عامة ترتبط بعلاقات المصاهرة معها لتوثق روابط العائلة السعودية بالوهابيين. وقدم عملاً تنظيمياً للسيطرة على المجتمع، واعداد قوات وجيش ملكى أتاح له توسيع نطاق حكمه. على الجانب الآخر، حال دون إمتلاك هذه المؤسسات لمراكز سلطة خاصة، خشية مواجهته وتحدى سلطته فى المستقبل. ولقد مزقت

هذه الكيانات السياسية وعلاقتها برجال الدين آمال المؤسسة الدينية، وإنشطار ولائها بين الحفاظ على نظام حكم ملكى يرتبط بها من خلال قضية مشتركة، والحفاظ على استقلالها فى تحديد ونشر القيم والمعتقدات بين الجمهور.

البناء الإقليمى للمملكة السعودية الحديثة:

بإستثناء آل الرشيد فى نجد، كانت الجزيرة العربية منقسمة قبل غزو ابن سعود للرياض عام ١٩٠٢م، إلى أقاليم ستة:

(١) الحجاز، ويمتد بموازاة الشاطىء الغربى للجزيرة على البحر الأحمر، وكان يحكمه شريف مكة، ويعد جزء من ولايات الحكم العثمانى.

(٢) عسير على البحر الأحمر بين الحجاز واليمن، وكان يحكمه الملك الأدريسى، وكان جزءاً من الحكم العثمانى.

(٣) شمال الجزيرة، ويحكمه قبيلة الرشيد حكما ملكيا، وتتبع الامبراطورية العثمانية.

(٤) الإحساء، بمحاذاة الخليج العربى بين الكويت وشط العرب، وكانت ولاية تابعة للإمبراطورية العثمانية.

(٥) اليمن وكان يحكمها الائمة الزيدية، وتابعة للامبراطورية العثمانية.

(٦) الخليج وجنوب شبه الجزيرة العربية، والمشيخات،

والسلطانيات التى تضم الكويت، البحرين، قطر، مسقط، عمان، حضرموت، عدن وجميعها محميات بريطانية. وكلها وقعت تحت السيطرة السعودية فيما عدا اليمن والمحيمات البريطانية (١).

عندما بلغ ابن سعود الثانية والعشرين من عمره، إتجه نحو الرياض، بصحبته ٤٠ مقاتلاً، واستطاع أن يهزم حامية الرشيد فى ١٢ يناير ١٩٠٢م. بينما كان ابن الرشيد يستعد لمهاجمة الكويت وضمها تحت سيطرته وعندما بلغته أخبار سقوط الرياض فى أيدى ابن سعود، وقتل عجلان حاكمها الموالى له، فلم يبادر بالقيام بأى عمل ضد ابن سعود، لمبالغته فى الثقة بقدرته على إستعادة الرياض فى أى وقت يشاء. وإستفاد إبن سعود من عدم توجيه ابن الرشيد أى محاولة للرد عليه؛ وبدأ فى تقوية ودعم موقفه فى المدينة. وحتى يكسب تأييد أهل الرياض، ويؤكد شرعية استيلاءه عليها، وليتفرغ لتوسع أرجاء ملكه، عهد إلى والده الإمام عبدالرحمن يتولى إمارة الرياض.

---

(١) العملية الناجحة لفرض السيطرة السعودية عام ١٩٠٢، سبقها تمهيد بمحاولتين فاشلتين: الأولى، المحاولة التى تلت التحالف بين آل سعود وآل الشيخ، وأدت إلى قيام الدولة السعودية الأولى. وما تلاها من غزو سعودى لمكة، المدينة ١٨٠٣، ١٨٠٤، ووضعتهم فى صدام مباشر مع السلطان العثمانى، الذى إعتبر نفسه حامى الأماكن المقدسة. وبالتالى، طلب السلطان من محمد على والى مصر وضع نهاية للسيطرة السعودية على الأماكن المقدسة وإستولت قوات محمد على على المدينة عام ١٨١٢، وفى العام التالى على مكة. وفى عام ١٨١٦ غزا جيش محمد على نجد، وبعد عامين، دمروا الدرعية عاصمة السعوديين، وازالوها من على الأرض. أما الثانية: كانت محاولة قيام الدولة =

تتابع سقوط المدن والإمارات فى أيدى ابن سعود، وبحلول ربيع عام ١٩٠٤، أصبح ابن سعود حاكما على أواسط نجد ووصلت حدود ملكه حتى جبال شمر. ولما كان العثمانيون يرقبون بقلق وخوف اتساع نطاق حكم ابن سعود؛ مما دفعهم إلى مضاعفة تأييدهم ودعمهم لآل الرشيد، ولم يوقف هذا الدعم تقدم القوات السعودية للسيطرة على شبه الجزيرة العربية» (٢).

فى عام ١٩١٣، أصبح العثمانيون عاجزون عن وقف توسع الدولة السعودية. فلقد إشتبكت الامبراطورية العثمانية فى حرب مع إيطاليا نتيجة للنزاع على ليبيا، وباقى جزر البحر الأبيض المتوسط، اتاح ذلك لابن سعود، ضم الإحساء لمملكته. وتزايدت قوة موقف ابن سعود بعد توقيعه معاهدة مع الحكومة البريطانية عام ١٩١٤، إعترفت له بالسيطرة على نجد، الاحساء، القطيف، الجبيل، وبأنها ضمن مملكته. وإبان الحرب، ساعد ابن سعود الحلفاء بالمجهود الحربى، وتجنب القيام بأى عمل عسكرى ضد

= السعودية عام ١٨٢٤، عندما إستولى تركى بن عبد الله بن محمد آل سعود على الرياض وخلصها من أيدى جيش محمد على. وانتهت التجربة عام ١٨٨٩. وفى العام نفسه، نفى الرشيدية (زعماء حائل) عبد الرحمن بن عبد الله آل سعود من الرياض، حيث لجأ إلى الكويت هو وأسرته، وابنه عبد العزيز (إبن سعود).

ولد ابن سعود عام ١٨٨٠. وأعاد بناء حكم العائلة للرياض عام ١٩٠٢ وأنشأ الدولة السعودية الحديثة وهكذا بدأت الدولة السعودية الثالثة.

(٢) لمزيد من المعلومات عن العلاقات بين آل سعود وعائلة الرشيدية، أنظر، جورج خير الله ــ إعادة ميلاد السعودية ــ جامعة نيومكسيكو، ١٩٥٣ ص ٨٥.

الشريف حسين، حاكم الحجاز والموالى للبريطانيين. ومع ذلك، إستمر الدعم البريطانى للشريف حسين فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، مما دفع ابن سعود لتدبير خطته لغزو الحجاز، وكان البريطانيون قد نصبوا أبناء الشريف حسين (فيصل، وعبد الله) حاكمين على العراق، والأردن، الواقعتين تحت الاحتلال البريطانى، وأعلن الشريف حسين نفسه عام ١٩٢٤ «خليفة للمسلمين» وأضافه إلى لقبه السابق «ملك العرب».

عندما أدرك ابن سعود الظروف التى تدفعه للتعجيل بغزو الحجاز، دعى علماء الرياض وزعماء القبائل الواقعة تحت سيطرته لإجتماع فى ٢ يونيو عام ١٩٢٤ وأخبرهم «حان الوقت لوضع نهاية لحماقات ذلك الذى يطلق على نفسه لقب شريف مكة. فلم يشهد تاريخ الإسلام رجلاً بمثل هذا الفساد، ويطمع فى ارتقاء منصب الخلافة الجليلة» (٣). وبعد شهور قليلة، إنطلقت قوات سعودية مكونة من ٣ آلاف مقاتل نحو الطائف واستولت عليها بعد قيامهم بمذبحة للحامية الهاشمية. وعندما وصلت الأخبار إلى جدة، قام تجار، وعلماء جدة مدفوعين بخوفهم على حياتهم بخلع الملك «الشريف حسين» ونصبوا ابنه عليا، لكن لم يتح الوقت ليمارس سلطته. فلقد إحتلت القوات السعودية جدة والمدن المقدسة (مكة، المدينة) عام ١٩٢٦. وفى نفس العام، أعلن ابن سعود نفسه ملكاً

---

(٣) نفس المرجع.

على الحجاز. وبعد مرور ٦ سنوات، اعلن ابن سعود نفسه ملكا للمملكة العربية السعودية.

تثبيت دعائم الملك السعودى:

دور العلماء فى خدمة آل سعود:

برهنت زعامة ابن سعود الكارزمية، وتوظيفه للأيديولوجية الوهابية على دعمها وفعاليتها فى إنجاح غزوه للجزيرة العربية وسيطرته عليها. بل وتثبيت أركان الحكم السعودى. وبكونه قائد ناجح، ألمح ابن سعود إلى ضرورة إنجازه للمهمة التى تولاها، بدفاعه عن الوهابية، التى تنشد إحياء مجد الإسلام الغابر، وهكذا دعم سلطته الكارزمية بسلسلة من الروابط التقليدية بالمصاهرة بين آل سعود وآل الشيخ الوهابيين.

لقد أتاحت شخصية ابن سعود له القدرة والنجاح فى إخضاع البدو له، ومكنته معرفته بحروب الصحراء وإستعداده لخوضها، من الإنتصار. وبتحقيقه المزيد من الإنتصارات قدم الشرعية الإجتماعية لزعامته الكارزمية فى عيون اتباعه، ولتأكيد مزاعمه. إستخدم ابن سعود معرفته بتاريخ المنطقة وإنجازات قبيلته لتبرير غزواته وتدعيم مكانته بين القبائل، وأيضاً بمفاهيم الدين والتاريخ. أخبرنا «دنكوارات روستو». «كل قائد مجدد بحاجة لإمتلاك وجهة خاصة تجاه الماضى القريب والبعيد للمجتمع» (٤).

---

(٤) دانكوارات روستو (محرر) ــ الفلاسفة والملوك: دراسة فى القيادة ــ نيويورك ــ برازيلر، ١٩٧٠ ص ٢٦.

وبالنسبة له «يصبح الماضى البعيد حليفا قويا ضد الماضى القريب فى معركته من أجل مستقبل أفضل» (٥). كان ابن سعود مهتم بالتاريخ وملم بتاريخ قبيلته، وتتابع نسبها، وسيكولوجية سكان الصحراء وبدو الجزيرة، ويدرك مصاعب السيطرة على البدو. ومن أجل توسيع حكمه، بدأ فى إحياء الوهابية، وتدمير النظام القبلى العشائرى، وخلق مكانه الوعى بالرابطة القومية.

لكن، لم يمض وقت طويل حتى خضعت المبادىء الوهابية لتأثير الواقع السياسى وحاجات المجتمع الجديد، والنظام السياسى. وأدرك إبن سعود الحاجة إلى وسائل نقل ومواصلات حديثة لتسهيل نقل الحجاج للأماكن المقدسة، ولتحديث جيشه، وتزويده بالتجهيزات الحديثة، لكنه واجه رفض العلماء لمبدأ إدخال أى تغيير. بالمثل عندما أراد ابن سعود تعديل قوانين بلاده ومؤسساتها الحكومية، أصر العلماء على ضرورة البحث عن إجابات القضايا المعاصرة فى الشريعة والتقاليد الإسلامية.

تحدد موقف ابن سعود بالمقارنة مع الوهابين، وعلاقته بالعلماء، وبأهدافه السياسية الخاصة، والشكل القائم للعلاقات التاريخية والاجتماعية. بالنسبة للعلماء، أنفسهم جاء موقفهم تجاه السلطة السياسية بالإقرار والموافقة على شرعيتها، وتأييد سياساتها طالما لا تتناقض مع المبادىء الوهابية، وإظهار معارضة محدودة لتلك السياسات التى يعتبرونها غير إسلامية. وحتى نفهم العوامل التى

---

(٥) نفس المرجع.

ساهمت فى صياغة موقف العلماء الموالى لابن سعود ، من الضرورى مناقشة مؤسسة العلماء فى السعودية .

علماء نجد والحجاز:

بوجه عام ، يمكن تعريف العلماء بأنهم أولئك اللاهوتيين وخبراء القانون الذين يكسبون إحترام وإعتراف المجتمع والسلطة السياسية بهم ، من خلال سلوكهم الشخصى وثقافتهم . وهكذا ، كان يوجد علماء نجد فى المراكز الحضرية ، المدن الصغرى ، القرى ، وأيضاً تجمعات البدو. ومع ذلك ، لم يوجد تنظيم هرمى لجماعة العلماء ، وكانوا يتمايزون فيما بينهم تبعا لمعايير غير رسمية ، وكانوا يعترفون للبعض منهم بأنهم أكثر تعليما وأعمق علما ، ويسّعى آل سعود لطلب نصحهم ومشورتهم ، وتأييدهم . وقد ذكر (جون فيلبى) على سبيل المثال ، أنه فى عام ١٩١٨ ، كانت تتكون جماعة كبار العلماء من (٦ فى الرياض ، ٣ فى القصيم ، ٣ فى الإحساء ، واحد فى كل أقليم بمنطقة نجد ــ ومجموعهم حوالى ٢٠ عشرين أو أكثر» (٦) . ولم يقف عدد العلماء عند هذا الرقم فى كل الأوقات . فلقد ضمت بعض الفتاوى أسماء أكثر من ١٥عاماً ، بينما هناك فتاوى أخرى ضمت أسماء أكثر. ومن المؤكد ؛ أن علماء الرياض قد تمتعوا بمكانة بارزة وسط باقى علماء البلاد . وربما يعود ذلك لوجودهم فى العاصمة بالقرب من الحاكم .

---

(٦) جون فيلبى ــ قلب الجزيرة العربية ، المجلد ١ ــ نيويورك : يتنام . ص ٢٩٧ .

من الجماعات التى تمتعت بموقع متميز وسط العلماء ، أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ولقد أيدت الحكم السعودى وساندته وكما هو موضع فى الجدول (١) على سبيل المثال ، نرى أن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قد عمل فى خدمة ثلاث حكام من آل سعود . وصاحب الإمام سعود فى غزواته لمكة عام ١٨٠٣ . وأصدر كتيبات للدعاية للمبادىء (الوهابية . وابنه) سليمان ، عين قاضيا على مكة عام ١٨١٠ . وهكذا نجد أن آل الشيخ قد أقروا بشرعية حكم آل سعود للمدن المقدسة بل وأدانوا خصوم آل سعود ومعارضيهم ، واعتبروهم كفاراً .

بإختصار ، برر الشيخ شرعية حكم آل سعود بإصدار كتيبات ، لشرح العقيدة الوهابية . ويتولى ابناؤه وأحفاده مناصب القضاء فى المناطق المفتوحة ؛ والأهم وصفهم للحكم السعودى بأنه وهابى . ونظراً لارتباطهم الوثيق بآل سعود ، فلقد ارتبط مصيرهم بهم وتبعا لرغباتهم . فعلى سبيل المثال ، نصب الإمام عبد الله ، عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاضيا على الدرعية وعندما هاجمت قوات محمد على مدينة الدرعية عام ١٨١٨ ، صاحب عبد الرحمن الإمام عبد الله فى المعركة ضد الجيش المصرى وحمل أسيراً إلى مصر . وعندما استعاد تركى بن عبد الله بن محمد آل سعود منطقة نجد كلها من المصريين عام ١٨٢٤م ، هرب عبد الرحمن من مصر وعاد إلى نجد فى العام التالى ، وعين مفتى للرياض ، حيث كان المصريون قد دمروا الدرعية ولم يعد لها وجود . فى منصبه الجديد ،

قدم للأمير تركى الشرعية التى يحتاجها دينيا لتبرير حكمه ، وأصدر عدد من الكتيبات للدعوة للوهابية .

سار الشيخ عبد اللطيف نجل عبد الرحمن فى مسار والده وخط علاقته بآل سعود . وعندما هاجم آل الرشيد الرياض عام ١٨٩٠م ، وقع عبد اللطيف فى الأسر وأخذ إلى حائل عاصمة الرشيدية ، وبعد عام سمح له بالعودة إلى الرياض ، بشرط إقتصار نشاطة على القضايا الدينية . وأثناء غزو ابن سعود للرياض ١٩٠٢ ، أصبح عبد اللطيف أداة فعالة لتأييد ودعم ابن سعود وتأكيد الشرعية الدينية لنظامه . ولتأكيد علاقة التحالف مع آل سعود ، تزوج ابنم سعود إبنة الشيخ عبد اللطيف .

إختلفت الخلفيات الإجتماعية لكل من علماء نجد وعلماء الحجاز ، وأيضاً خلفياتهم التعليمية ، ورؤاهم الكونية . وتأثرت هذه الإختلافات بالتفاوت فى الأوضاع الاجتماعية والسياسية بين المنطقتين . وبينما كان مجمتمع نجد فى معظمه قبلى عشائرى ولم يخضع للتأثير الخارجى ، نجد المدن الحجازية متمدينة سياسيا ، وذات رؤى حضارية ، وكانت سلطتها متمركزة فى مكة ، المدينة ، جدة . وخضعت دائماً للمؤثرات الثقافية الأجنية الوافدة عليها . ومن الناحية الاقتصادية كانت الحجاز مزدهرة بالمقارنة مع إقليم نجد الفقير والواقع تحت حكم آل سعود . ففى كل عام ، تأتى وفود الحجاج ، الذين يعملون كوسائل إتصال حضارى وثقافى مع العالم الخارجى . وبسبب هذا الثراء الحضارى أصبح الحجاز وعلماؤه ،

أقل تشدداً وتزمتاً فى رؤيتهم الاجتماعية وأقل تقشفاً فى حياتهم اليومية من نظرائهم فى نجد، ولقد عرف (س. ث. سنوك هور جرونج) علماء الحجاز بأنهم متخصصون فى الفقه تفسير القرآن السنة النبوية، النحو العربى، البلاغة علم العروض، المنطق والفلسفة (٧). ومعظم علماء الحجاز البارزون خريجى الازهر، أو مساجد مكة والمدينة. على الجانب الآخر ركز علماء نجد فى دراستهم على مبادىء الوهابية والفقه الحنبلى، وقليل من الإهتمام بالنحو والبلاغة والأدب. فضلاً عن ذلك، توارث آل الشيخ التعليمى الدينى، مع وجود عدد قليل من خارج العائلة. فلقد أوصى الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابنه عبد الله، وهو بدوره أوصى لابنه سليمان. وتعلم الشيخ عبد الرحمن بن حسن على يد جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهو بدوره أوصى لإبنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب (٨). وجعل الإختلاف فى الخلفية التعليمية بين علماء نجد والحجاز، علماء نجد أشد تطرفاً، وشكليين فى فهم وتطبيق الدين. لذا ليس مدهشا أن يعارض علماء نجد إدخال أى بدعة، بينما يتقبل علماء الحجاز التحلل من ربقة التقاليد وإدخال التغيير.

رغم الإختلاف بين جماعتى العلماء فى نجد والحجاز، تعتمد كلاهما على السلطة السياسية لضمان بقائها ــ حيث يتلقى علماء

(٧) س. ك. سنوك هو رجرونج ــ مكة فى نهاية القرن التاسع عشر ــ ليدن، هولنده: برايل، ١٩٣١، ص ١٩٠ ــ ٢٠٣.

(٨) انظر جدول (١).

نجد رواتبهم من الدولة، وبالمثل يتلقى كثير من علماء الحجاز رواتب من الحكومة، ورجال الخير. ويعيش آخرون على هدايا الحجاج، وعوائد الأوقاف أو من الإشتغال بالتجارة وأولئك الذين يتلقون مرتبات من السلطة السياسية فى الحجاز، كانوا فى نظر زملائهم الأشهر وأكثر جدارة، وربما بسبب اقترابهم من السلطة السياسية، وبالتالى تمتعهم بنفوذ كبير.

بينما عاش بعض علماء الحجاز على المنح والعطايا والهدايا أو عوائد الأوقاف، وتمتعوا بإستقلال نسبى فى تصريف الشئون اليومية؛ إعتمد علماء نجد كلية فى وجودهم الحياتى على دعم الدولة. ولقد نشأ إعتمادهم على الدولة من رحم المبادىء الوهابية ذاتها، التى تمنع العلماء من قبول الهدايا أو العطايا أو العيش على عوائد الأوقاف.

رغم تأييد علماء نجد لآل سعود، وقيامهم بمهمة الدفاع عن حكمهم. نجد أن المؤرخ (ابن غنام) قد سجل مناظرة بين علماء نجد وعلماء الحجاز إبان حكم (أشرف غالب ــ ١٧٨٨ ــ ١٨١٣) حيث إنتقد علماء مكة نظرائهم من نجد لإعلانهم أن المسلم غير الوهابى مشرك وكافر(٩). وإنحصر تركيزهم على هذه القضية، ولم يواجهوا المذهب الوهابى ذاته، بكلمات أخرى، حاول علماء مكة إقناعهم بأن قتال باقى المسلمين أمر غير شرعى، لكنه ينبغى قتال

---

(٩) وردت فى ــ أحمد عبد الغفار العطار ــ صقر الجزيرة ــ مكة: د، ن، ١٩٧٩ ص ٥٧٢.

الحكام غير المسلمين، وفى رأيهم أن حاكم مكة إسلامى، ويطبق الشريعة، وينبغى الاعتراف بسلطته.

فى أعقاب غزو ابن سعود للحجاز، خضع علماء المنطقة للحكم السعودى، وأصدرت قياداتهم فتوى بإقرار إستيلاء ابن سعود على الأماكن المقدسة وتحض المسلمين على طاعته.

بالإضافة إلى دورهم فى تبرير السلطة السياسية، عمل علماء نجد والحجاز كوسطاء بين الحاكم والشعب. ولقربهم من السلطة السياسية لعب سلوك العلماء دوراً حاسماً فى عملية الإتصال الإجتماعى، وساهموا فى دمج المجتمع وتوحيده فى عمل جماعى موحد (١٠). فعل سبيل المثال، كان الشيخ أحمد الزينى دحلان مفتى مكة أداة دينية لتبرير الحكم العثمانى وتأكيد شرعيته، وكان يصدر الفتاوى الملائمة المطلوبة منه، وكان له سلطة تعيين المشايخ والمدرسين والوعاظ فى المسجد الحرام بمكة، والإشراف على النظام التعليمى وشئون العلماء. وبشكل غير رسمى، كان الوسيط بين تجار مكة وحكامها والأثرياء والفقراء.

كانت علاقات علماء نجد مع ابن سعود. رغم تأييدهم له، بعيدة عن التوافق. فعلى سبيل المثال، أصدر علماء الرياض عام ١٩٢٥ فتوى تطالب ابن سعود بمنع الشيعة فى الإحساء من أداء عباداتهم علنا، وإجبارهم على المثول أمام ممثلى العلماء والخضوع لـ

(١٠) لابديوس ـــ المدن الإسلامية فى العصور الوسطى المتأخرة كمبردج: مطبعة جامعة هارفارد، ١٩٦٧ ص ٥٢.

«دين الله ورسوله» وإرغامهم على التوقف عن الدعاء لآل بيت رسول الله، الإمام على وابنيه الحسن والحسين، ووقف إحتفالاتهم بأعياد ميلاد ووفاة الرسول والإمام على، ومنعهم من زيارة كربلاء والنجف، وإجبارهم على أداء الصلوات الخمس فى المساجد، وإرغامهم على استظهار كتابات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإجتياز إمتحان فيها، وإزالة أماكن العبادة الشيعية فى الإحساء.

رفض ابن سعود فتوى العلماء، مدفوعاً بقوة شخصيته وبسلطة القهر. بدلا من ذلك؛ إعترف بفرض الضرائب على الشيعة مقابل الحماية التى منحها لهم. ولم يقتصر رفض ابن سعود لمطالب العلماء على هذه الحادثة. ففى الواقع، كما ذكر أهـ. س. أرمسترونج): «فى قضايا الدين، خضع إبن سعود لرغبات العلماء، لكن عندما يقدموا له النصح فى القضايا السياسية والعسكرية، كان يرفضها، بل ويؤكد عليهم بالإنغماس فى كتبهم فقط»[11]. فى يونيو ١٩٣٠ التقى علماء فى مكة لمناقشة السياسة التعليمية الجديدة، ورفضوا تعليم اللغات الأجنبية لإعتقادهم بأنها ستمكن المسلمين من معرفة دين الكفار والمشركين، ورفضوا تعليم الجغرافيا لأنها تفترض كروية الأرض، بينما يشير القرآن لإستوائها، ورفضوا الرسم لأنه يحاكى خلق الله. لم يقتنع ابن سعود بإلغاء هذه العلوم. وصمم على خلق نظام تعليمى حديث، بجوار التعليم الدينى ومدارس

(١١) أرمسترونج ــ سادة الجزيرة ــ لندن: أرثربارکر، ١٩٣٤ ــ ص ٢١٤.

تحفيظ القرآن، وأبلغ العلماء أن فتواهم تفضح جهلهم بالإسلام، الذى يحض المؤمنين على طلب العلم والمعرفة، وأمر «حافظ وهبة» الرئيس الجديد للإدارة التعليمية الحديثة، بإدخال العلوم الحديثة فى المنهج.

بإختصار، تأثر إتجاه ابن سعود ناحية العلماء بأهدافه وغاياته السياسية. فمن ناحية؛ سعى إلى كسب تأييد العلماء وموافقتهم على حكمه، ومن ناحية أخرى رفض حقهم الموروث فى توجيه سياسات حكمه وتقييمها. رغم أن العلماء إلتصقوا بالسلطة السعودية، إلا أنهم إختلفوا مع كثير من سياساتها. وأعربوا عن إختلافهم من خلال إصدار الفتاوى، وأيضاً فى مواجهة الملك وأمام جمهور محدود من النخبة الحاكمة. وكان بمقدور العلماء حشد الجماهير ضد سلطة ابن سعود، تبعاً لارتباطهم الوثيق بفئات المجتمع (من خلال الصلاة الجماعية، وصلاة الجماعة) وسيطرتهم على نظام التعليم التقليدى، لكنهم ارتكنوا إلى سلبيتهم، وحافظوا على ولائهم للملك مؤملين أنفسهم بأنه يطبق المبادىء الوهابية.

نشأة الإخوان والسيطرة عليهم:

كما أيد العلماء بن سعود وأقروا بشرعية حكمه دينيا، وساندوه لتثبيت دعائم مملكته، إستخدمت الوهابية لحشد المجتمع البدوى، وتوسيع نطاق نفوذه. وعندما إستعاد السعوديون منطقة نجد، أدرك ابن سعود أنه لا يستطيع إقامة سلطته المركزية وإدخال كيانات سياسية حديثة فى مجتمع قبلى عشائرى غير مستقر. حيث غالبية

سكان الجزيرة العربية ينتمون لقبائل، معظم أفرادها لا يثقون فى السلطة المركزية، بل ويرفضونها، بسبب خوفهم من فرض الضرائب، والتجنيد فى الخدمة العسكرية، وفقدان الإستقلال. وعندما إنهارت الدولة السعودية الأولى عام ١٨٠٠م إرتد البدو إلى النزاعات العشائرية والممارسات الخرافية مما جعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعتقد أنه مذهبه ودعوته الوهابية قد زالت وأفل نجمها. وأدرك ابن سعود أهمية إيجاد وخلق أداة ووسيلة واحدة لتحريك البدو وإقناعهم بتشكيل قوات مسلحة قوية. وهكذا أصبحت الوهابية هى الايديولوجية، والجهاد هو الوسيلة، والإخوان جند آل سعود.

كتب (حافظ وهبة) يصف الإخوان :

«كان التبشير والدعوة للتعاليم الوهابية يجرى بين سكان المدن فقط. ولهذا أصبح البدو هم وقود معظم حركات التمرد والإنتفاضات التى وقعت فى فترات مختلفة. ودائماً، كانوا ينحازون إلى جانب الفريق الذى يرهبون قوته وبأسه، أو الذى يرجون من ورائه مكاسب أكثر. وهذا هو السبب فى إعتماد المصريين أو الأتراك أحيانا، أو الوهابيين أو آل الرشيد عليهم. وكان لهذا السبب يقع عبء الدفاع عن البلاد على عاتق سكان المكان. وجاء تفكير ابن سعود ملائما لعلاج مشكلة البدو، بإقامة مستوطنات لتوطينهم، وليمارسوا الزراعة.. وبعد أن كانوا خطراً ماحقاً على الفريق الذى يؤيدونه بسبب إنقلابيتهم، أصبحوا الآن

أوفياء ويمكن الوثوق بهم والاعتماد عليهم فى مواجهة الموت ذاته (١٢).

أثناء توطين البدو، ركز ابن سعود أساساً على الروح الوهابية النضالية ليغرسها فى نفوسهم. وقام الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف آل الشيخ بوضع منظومة المعتقدات التى إستخدمت لتبرير وعقلنة وتثقيف وإلهاب حماس حركة الإخوان. وقام الشيخ بالمواءمة بين المبادىء الوهابية وأهداف ابن سعود السياسية، ووضع نظام عمل وأداء المهام الدينية وجهاز الدعوة للوهابية. وفوق ذلك، ركدت كتاباته على الواجب الدينى بطاعة الله وطاعة الحاكم. وأكدت أيضاً؛ على شرور البدع والواجب الدينى الملزم للمؤمنين بمحاربة الكفار.

ذهبت وفود الرسل والدعاة إلى القبائل لتعليم وتثقيف البدو، ومعهم رسائل تؤكد «أن الإسلام دين حضارة» واستدعى ابن سعود مشايخ القبائل إلى الرياض وخطب فيهم قائلاً: «قبائلكم لا دين لها، وجاهلة بالإسلام» (١٣). ثم أمرهم بالإنتظام فى مدرسة العلماء الملحقة بالمسجد الكبير فى الرياض، وإجتياز برنامج فى علوم الدين. وفى نفس الوقت، أرسل ما يقرب من ٦ علماء من غلاة المتشددين (الإخوان) إلى كل القبائل، حيث أقاموا مدارس لتعليم ابناء القبائل رسالة الإسلام والمبادىء الوهابية.. وعندما تهيأ

---

(١٢) حافظ وهبة ــ الوهابية فى الجزيرة: الماضى والحاضر، المجلة الملكية لمجتمعات أواسط آسيا ١٦، اكتوبر ١٩٢٤ ص ٣٦٥.

(١٣) نفس المرجع.

مشايخ القبائل لتلقى تعاليم دينية أكثر تفصيلا ، دعاهم لبناء منازل لهم فى الرياض ، وهذا أيضاً جزء من خطة السيطرة عليهم (١٤) .

ارتبط مفهوم الهجرة ارتباطاً وثيقاً بفكرة الجاهلية (الجهل بالإسلام) وفى محاكاة لهجرة النبى إلى المدينة ، الأمر الذى أدى إلى إقامة أول مجتمع إسلامى ، إعتقد الإخوان أن الهجرة من أرض الكفر إلى دار الإسلام واجب وفرض إجبارى على كل المسلمين . وحدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتابه «الأصول الثلاثة» استشهاده بآية من القرآن تحض المؤمنين للهجرة من أرض الشرك إلى أرض الإسلام :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٥) .

---

(١٤) جون حبيب ــ ابن سعود ومقاتلى الإسلام ــ ليدن ، هولنده برايل ، ١٩٧٨ ، ص ٣٠ .

(١٥) القرآن الكريم ، سورة النساء (٩٧ ــ ١٠٠) .

توطين البدو وتنظيم الإخوان :

أقيمت أول مستوطنه للإخوان فى ديسمبر ١٩١٢ فى «الأرطاوية» ، وهى منطقة ذات أراضى ومراعى خصبة ، ومنابع مياه وفيرة. وكانت ضمن نفوذ (الديره) التابعة لقبيلة «المطيرى». ولقد تيقن إبن سعود أنه كى يحقق لإنجازاته نجاحاً ملحوظاً ؛ وإستئناسها ، فهى قبيلة مشهورة بحب القتال ، ومشهورة بغزواتها المتكررة ضد جيرانها ، ورفضها الخضوع للسلطة المركزية. ولقد نجح ابن سعود بتوظيفه البارع لسلطته وإستخدام الدين فى صقل وتهذيب القبيلة ، وتمكن من توطينها بجوار أحد بطون قبيلة حرب. وهكذا أضعف الروابط العشائرية. وغرس علاقات جديدة قائمة على الإنضواء تحت مظلة أيديولوجية جديدة.

أضيفت ٢٢٠ مستوطنة أخرى لتجربة الأرطاوية (١٦). وأقيم معظمها فى منطقة نجد ، وفى أطراف الحجاز ، وعلى الحدود السعودية الأردنية ، ويفضل الإنتشار الواسع لهذه المستوطنات فى الجزيرة العربية ، أصبح الوجود المادى لحكم ابن سعود ملموساً ، ووفر له قواعد عسكرية ، ومراكز إمداد ، وتجمعات دينية (١٧).

ذكر «أمين الريحانى» فى ذكرياته عن رحلاته فى شبه الجزيرة العربية ، أن سكان «الحجر» المتوطين ينقسموا إلى ثلاث مجموعات :

---

(١٦) حبيب ــ ابن سعود ص ١١١ .

(١٧) نفس المرجع ص ٥٩ .

(١) البدو الذين أصبحوا فلاحين.
(٢) المطوعين.
(٣) التجار والحرفيين [١٨].

كان التميز بين المجموعات الثلاث يقوم على أساس الأصل القبلي والعشائري. فأبناء القبائل البارزة (ذات الأصل والجاه والحسب) يعملوا زراعا فلاحين؛ وأولئك ذوى الأصول القبلية الوضعية يعملون تجاراً وحرفيين [١٩]. ورغم تأكيد الإخوان على طابع المساواه الذى يتسم به مجتمعهم، فلم يسمح لأبناء القبائل ذات الأصل الوضيع أن يشاركون فى القتال والغزو، بل يتركون فى المستوطنات للقيام بالأعمال الضرورية مثل عمل حدوة الحصان، صنع السيوف والرماح، إصلاح الأسلحة والأوانى [٢٠].

من غير المعلوم، الأسباب والعوامل الاجتماعية التى دفعت بالمطوعين إلى الظهور على سطح المجتمع. حيث كان يتم تجنيد المطوعين من خارج الوحدات القبلية والعشائرية فى المستوطنات ويخضعون مباشرة لإمرة علماء الرياض، ويتخذ المطوع له تلميذا

---

(١٨) أمين ريحانى ــ ابن سعود والجزيرة العربية ــ بوسطن هجنون ميفلين، ١٩٢٨، ص ١٩٤.

(١٩) من الضرورى ذكر أن البدو يفرقون فيما بينهم، بين القبائل الأصيلة النبيلة وتلك الوضيعة المهملة وقبائل النبلاء هم راعو الإبل (حداة الإبل)، ولهم ميراث حربى وتقاليد عسكرية، ويتصاهرون فقط مع ذوى الأصول العريقة ــ أما المجهولون فعلى العكس، فهم أشباه رحل، ليس لهم ميراث قتالى يمارسون أعمالا حقيرة، يخجل منها النبلاء.

(٢٠) ريحانى ــ ابن سعود ص ١٩٤.

يستقدمه من المستوطنة المحلية. وليس للمطوع أى وظائف إدارية أو قضائية. بل يتم توزيعهم عادة بمعدل مطوع واحد لكل ٥٠ فرد من سكان المنطقة، ويعقدون جلسات للتعليمات الدينية. ووظيفتهم فرض اتباع المبادىء العامة للوهابية. ويحكم كل مستوطنة أمير أو حاكم (٢١). والأمير مسؤول عن تطبيق القرارات الحكومية الصادرة عن مجلس الشورى فى الرياض. ويتكون المجلس من المفتى عبد الله آل الشيخ، العلماء البارزين زعماء القبائل، بعض الوجهاء وعلية القوم. وتصبح قرارات المجلس فعالة فقط بعد موافقة ابن سعود عليها، فهو رئيس المجلس. وعلى الجانب الآخر، نجد أن الحاكم مسؤول عن تطبيق أحكام الشريعة. بالإضافة إلى الأمير والحاكم لكل مستوطنة قاضى يعنيه ابن سعود، وينتمى معظم القضاة لعائلة آل الشيخ (٢٢).

الإخوان قوة عسكرية :

يتم تكريس الحياة اليومية فى المستوطنات لأداء الصلاة، دراسة التوحيد، زراعة الأرض، الإستعداد الدائم للحرب. وينظر سكان المستوطنات (الإخوان) للعالم وسكانه فى إطار مفاهيم الدين حيث ينقسم العالم فى نظرهم إلى مؤمنين (أى الإخوان أنفسهم) وغير المؤمنين. ويعتقدون بضرورة هداية كل غير المؤمنين بالسيف الذى فى أيديهم. وبهذه الرؤية تحقق لابن سعود تبرير سياسته فى

---

(٢١) حبيب ـــ ابن سعود ص ٦١.

(٢٢) نفس المرجع.

التوسع ومد أرجاء مملكته وتوسيع رقعة سيطرته. ولذا قسم سكان كل مستوطنة إلى فئات ثلاث:

(١) الأشخاص شبه النشطين والذين لبوا نداء الجهاد على الفور.
(٢) الأشخاص المحافظين، وهم الدهماء والعامة من التجار والحرفيين.
(٣) المنتفعين ببقائهم فى المستوطنة للإحتفاظ بأعمالهم.

كان من حق ابن سعود استنفار الفئة الأولى والثانية، بينما كانت موافقة العلماء مطلوبة لحشد أفراد الفئة الثالثة (٢٣).

أدى ظهور (الإخوان) كقوة عسكرية فى معركة (جراب) عام ١٩١٤م إلى تغيير جذرى فى توازن القوى فى المنطقة. فلقد كان الشريف حسن فى الحجاز يعتمد عسكريا على جيش نظامى حديث، تولى تدريبه العثمانيون، البريطانيون، وأمده السوريون والعراقيون بالضباط. ومع ذلك إفتقر هذا الجيش للإخلاص وروح الفداء والتفانى التى إتصف بها البدو، فضلا عن القدرة على الإنتقال والتحرك فى الصحراء (٢٤). وكان جيش آل الرشيد ذى التسلح العثمانى مكون من قبيلة شمر، التى يستند ولائها لآل

---

(٢٣) نفس المرجع ص ٦٣.
(٢٤) نفس المرجع.

الرشيد على عنصر نفعى أكثر من العامل الأيديولوجى. على الضفة الأخرى، اعتبر الإخوان أنفسهم حراس أمن الدولة وحماة لقيم الأخلاقية. وخلقت القوة السياسية والعسكرية المتصاعدة للإخوان شعوراً جماعياً بالانتماء بين أفرادها، لم يوجد بين قوات الشريف حسين أو آل الرشيد. وكان الإخوان فائقى القدرة على التحرك، وإتقان حروب الصحراء.

انظر لتربيتهم العقائدية على أساس أن الوهابية هى الطريق الوحيد الواجب على المسلمين إتباعه، أصبح الإخوان قادرون على إحراز الإنتصارات فى كل المعارك التى يخوضونها لصالح إبن مسعود إمامهم. وأثناء غزوه الحجاز دعى إبن سعود قادة الإخوان والعلماء، ومشايخ القبائل ووجهاء المدن لحضور إجتماع فى الرياض يوم ٥ يونيو ١٩٢٤، وأبلغهم ابن سعود أن الإخوان أعربوا عن رغبتهم فى أداء فريضة الحج. لكن الشريف حسين منعهم من أداء الفريضة الدينية. بعد عرضه لقضيتهم طلب إبن سعود فتوى العلماء بشأن شرعية شن الحرب لإتاحة حق المؤمنين فى أداء فرائضهم الدينية. أيد العلماء موقف إبن سعود، وهكذا جاءت فتواهم فى الواقع أمراً للإخوان بشن الحرب ضد الشريف حسين. وارتدى ٤ آلاف من رجال الإخوان ملابس الإحرام، وحملوا سلاحهم، وهاجموا الطائف. وقاموا بمذبحة لحاميتها، ودمروا كل شىء رأوا أنه يتعارض مع مبادىء الوهابية. وسقطت مكة بعد الطائف تحت سيطرة الإخوان، وطبقت طقوس الوهابية الصارمة.

نهاية التعصب الوهابى والسيطرة على الإخوان، وبدء الإتجاه التحديثى :

بغزو الحجاز إكتمل بناء مملكة إبن سعود، ولم يعد بحاجة للإخوان كقوة مقاتلة، وأصبح تعصبهم الدينى خطراًوتهديداً محتملاً على نظامه. فلقد أشعل إبن سعود حماس وتعصب الإخوان، وجعلهم قوة متشددة ترفض المساومة أو التوفيقية، فهذا ما كان يحتاجه لبناء مملكته. وعندما تحققت أهدافه السياسية، أصبح بحاجة لإخماد تعصب الإخوان. وهكذا إستدعى علماء الرياض المطوعين من مستوطنات الإخوان، وأوصوهم بالتركيز فى دعوتهم على أن الإسلام دين الوسط، ولا يعارض الثروة أو الراحة المادية والرفاهية. وهكذا وضع استراتيجية جديدة مزدوجة الأهداف :
الأول: دفع الإخوان للتخلى عن التعصب.

الثانى: العمل على تفرغ الإخوان لزراعة الأرض وكسب الثروة؛ وتكريس وقتهم ومواردهم لهذه المهمة.

لكن، لم يتقبل الإخوان هذه الإستراتيجية الجديدة، بل رفضوا التفسير الحديث للإسلام. فهم الذين دعوا للجهاد ضد الأردن الكبير، العراق الكويت. وها هو قائدهم يتفاوض مع البريطانين، فأغضبهم ذلك، وزاد من حدة صراعهم ضد إبن سعود. وكان المؤشر الأول على تدهور الموقف وظهوره على السطح عام ١٩٢٥، فى مكة، وبعد مضى ٥ شهور على غزوهم المدينة، لكن ابن سعود رفض طلبهم للتقدم نحو جدة والمدينة، وهم كانوا يعتبرونها مهمة

سهلة فى متناول أيديهم ، كثمرة حان قطفها . بينما رأى ابن سعود أن التفاوض مع قادة المدينة وجدة أفضل له ، لضمان ولائهم له ، وأصر الإخوان على إخضاعهم بحد السيف ، فهو الطريق الوحيد . وفى ٢٤ ابريل ١٩٢٥ حذر «فيصل الدويش» أحد قادة الإخوان . ابن سعود بأن سيوف جنوده مشهرة وجاهزة للتعامل مع اولئك الذين قد يواصلون ارتكاب نفس المعاصى التى كان يرتكبها الشريف حسين المخلوع (٢٥) .

فى محاولة لإعادة التأكيد على الإيمان بالجهاد كفرض وواجب ملزم لكل مسلم بالغ ، إلتقى الإخوان فى ديسمبر ١٩٢٦ فى الأرطاوية واستهجنوا عدم مواصلة ابن سعود للقتال ضد المناطق المجاورة . ووجهوا لوما لإمامهم بسبب :

(١) ارساله إبنه إلى مصر البلد التى يحكمها البريطانيون .

(٢) إرساله ابنه فيصل إلى لندن عام ١٩٢٦ لتملق البريطانيون وكسب رضاهم .

(٣)إدخاله التلغراف ، الهاتف ، السيارة إلى ديار الإسلام وهى من وسائل الشيطان .

(٤) فرضه الضرائب التجارية على المسلمين فى نجد .

(٥) منحه التصاريح لقبائل من الأردن ، والعراق ، لرعى قطعانهم فى ديار الإسلام .

---

(٢٥) حافظ وهبة ــ جزيرة العرب فى القرن العشرين القاهرة : مكتبة النهضة العربية ، ١٩٦١ ، ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩ .

(٦) حظرة التجارة مع الكويت (ولقد أخبر الإخوان ابن سعود أنه طالما أهل الكويت كفار، إذن ينبغى شن حرب مقدسة (الجهاد) ضدهم، إو إذا اعتبروا مسلمين إذن ينبغى ألا يمنع الحاكم التجارة معهم.

(٧) التسامح مع الشيعة فى الإحساء. حيث إعتقد الإخوان بضرورة تحول الشيعة إلى الإيمان بالوهابية، مالم يفعلوا ينبغى قتلهم (٢٦).

بسبب خطورة إتهامات الإخوان، شعر علماء الرياض بضرورة التدخل وإعلان موقفهم فأصدروا فتوى تتخذ موقفاً محايداً فى قضية التلغراف، التليفون (البرق والهاتف) والسيارة، لكنهم نصحوا الملك بإتباع مبادىء الوهابية، وتدمير مسجد الحمزة عم الرسول، أحد مزارات الشيعة، ومنع دخول المحل المصرى إلى المدن المقدسة مكة والمدينة، وإجبار الشيعة على الخضوع للإسلام أو طردهم من المملكة، منع شيعة العراق من رعى قطعانهم فى ديار الإسلام، إعادة الضرائب التى جمعتها الحكومة من المواطنين فى نجد. رغم أن العلماء أيدوا فى فتواهم موقف الإخوان، إلا أنهم أصرور على أن إعلان الجهاد مسئولية الحاكم وحده (٢٧).

مع ذلك، رفض الإخوان فتوى العلماء وإسنادها مسئولية إعلان

---

(٢٦) نفس المرجع.

(٢٧) للإطلاع على النص الكامل الفتوى العلماء، انظر: أم القرى، ١٢فبراير ١٩٢٧.

الجهاد للحاكم وحده، وشنوا غارة على مخفر شرطة عراقى بالقرب من الحدود السعودية، وقاموا بمذبحة لكل أفراده. وشنوا غارة أيضاً على الكويت، وبالمثل الأردن. ولوقف المزيد من غارات الإخوان، أمرت الحكومة البريطانية قواتها الجوية بمطاردة الإخوان عبر منطقة نجد. وتطور الموقف تماماً كما يريد فيصل الدويش زعيم الإخوان، لأن حدوث مواجهة عسكرية مع البريطانيين الكفار، يضع ابن سعود أمام خياراته النهائية، إما بالموافقة على الدخول فى المواجهة إلى جانب الإخوان، أو إتهامه بالإنحلال الدينى فى حالة رفضه.

لم يكن إبن سعود معيناً بدخول مواجهة مع البريطانيين، أو طامحاً لتوسيع نطاق نفوذه، فلقد اكتملت مملكته. وحتى يتمكن من ترويض الإخوان المتطرفين دعى ابن سعود إلى عقد إجتماع عام فى ٦ نوفمبر ١٩٢٨ فى الرياض، حضره أكثر من ٨٠٠ من قيادات الإخوان والعلماء، وزعماء القبائل والوجهاء. ألقى ابن سعود خطبة أمامهم معدداً إنجازاته السياسية والدينية، بما فيها توحيده شبه الجزيرة العربية، وفى محاولة لإنتزاع التأييد، قدم ابن سعود إستقالته، شريطة أن يختار المجتمعون خليفة له من آل سعود. وكما ذكر حافظ وهبة، لم يصدق أحد أن إبن سعود مستعد للتخلى عن العرش. ورفض العلماء والوجهاء إقتراحه بالإستقالة وأيدوا سياساته.

فى أعقاب اجتماع الرياض أدرك الاخوان أن الطريق الوحيد

لخلع ابن سعود هو حشد المواطنين من غير القوات المسلحة. ونشروا رأيهم بين مستوطنات الإخوان، وأكدوا أنهم فقط المدافعون عن الوهابية. وشن قادة الإخوان ــ فيصل الدويش (قبيلة المطيرى)، سلطان بن حميد بن بيجاد (قبيلة عتيبة)، ديدان بن عيسلين (قبيلة عجمان) سلسلة من الهجمات المسلحة ضد العراق، الكويت، وبعض قبائل نجد الموالية لابن سعود. وإصطدم بهم ابن سعود فى ٣١مارس ١٩٢٩ فى معركة «سبيلا، حيث ضم جيشه جنود حضريين وريفيين وبدو موالين له، وتمكنوا من الإنتصار على الإخوان، وتأكدت دعائم حكم ابن سعود. وتم تجريد المستوطنات من أسلحتها، بل وقام ابن سعود بتسريح سكان المستوطنات، وتحويلهم إلى الحرس الوطنى.

خـــاتمة :

في محاولته لتوسيع نطاق الحكم السعودي وتثبيت دعائمه، جدد ابن سعود اعتبار الوهابية أيديولوجية دولته. وأنشأ مؤسسات دينية تتولى تطبيق دعوتها. وبحفاظه وتمسكه بالتحالف التقليدي بين آل سعود وآل الشيخ، أظهر حكمه كأنه إستمرار للدولة السعودية الأولى حيث تآلفت فيها العلاقة بين الدين والدولة. ونظم ابن سعود الإخوان وزودهم بعقيدة وهابية مناضلة، لتطبع توسيع حكمه وبسط نفوذه وكأنه نشر للدعوة الوهابية.

رغم تأييد العلماء لحكم ابن سعود، إضطربت علاقتهم به. فقد كانوا يطمحون للحفاظ على وحدتهم مع ابن سعود بقضيتهم المشتركة. لكنهم في الممارسة السياسية كانوا ممزقي الفؤاد، بين شقي الرحى. حيث يحتاج ابن سعود للوهابية لإكتساب شرعية حكمه، وكان مدفوعاً للإبتداع والتغيير للحفاظ على مسايرة السعودية لحياة القرن العشرين. ولذلك، ورغم استمرار الوهابية كأيديولوچية

للدولة ، جرد إبن سعود العلماء من تراثهم التقليدى . فلقد كان ابن سعود مصدر كل السلطات فى الدولة . وكان لزاما على المؤسسات الدينية أن تؤدى دورها وفقاً لحاجاته وأهدافه السياسية . ولا يثير الدهشة ، أن ابن سعود فى بداية حكمه ، قد أقام مؤسسة وأمدها بالدعم والحماية ، ثم إنقلب عليها فى المرحلة المتأخرة ، حيث سرح بعضها (الإخوان) وقيد نشاطات البعض الآخر . فلقد كان التحدى الذى واجهه هو كيفية إستمرار الوهابية كأيديولوجية دولة ، وفى نفس الوقت تطوير وبناء دولة حديثة .

جدول (١)
(النخبة الدينية)

١ ــ الشيخ محمد بــن عبد الوهاب (١٧٠٤ م ــ ولد فى نجد)
له ستة أبناء (على، حسين، عبد الله، حسن إبراهيم، عبدالعزيز) صار على، حسين، عبد الله وحسن من كبار العلماء.

درس المذهب الحنبلى على يد والده، شارك فى بناء الدولة السعودية، وشارك فى مسئوليات الحكم.

٢ ــ عبد الله بن الشيخ بن عبد الوهاب (١٧٥١ ــ ١٨٥٦).
ولد فى الدرعية وتوفى بها، له ولدين : سليمان وعبد الرحمن.

تلقى تعاليم الوهابية عن والده، خلف والده داعية للوهابية، شغل منصب قائد المطوعين، رئيس القضاة، عاصر ثلاث ملوك سعوديين : عبد العزيز سعود، وعبد الله. ورافق سعود فى غزو مكة، ألف كتب فى الدعوة للوهابية، وتفنيد المذهب الزيدى الشيعى.

٣ ــ سليمان بن الشيخ عبد الله (١٧٨٥ ــ ١٨١٧).

توفى فى الدرعية، لم ينجب أبناء، تلقى الوهابية عن والده، ألقى دروساً فى الوهابية؛ عينه سعود قاضياً لمكة، أيد الحكم السعودى، حرض السعوديين على مقاطعة غير الوهابيين.

٤ ــ عبد الرحمن بن حسن (١٧٧٩ ــ١٨٦٨) توفى الدرعية ، أبنائه : محمد ، عبد الله ، عبد اللطيف ، إسماعيل صار الأخيران من كبار العلماء .

درس الوهابية على يد جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تولى تعليم أبناء العائلة : عبد الملك بن حسين بن محمد ، عبد الرحمن بن حسين بن محمد وجميعهم أصبحوا علماء بارزين .

تولى منصب قضاء الدرعية ، وتعليم الوهابية وبعد عودته من الأسر فى مصر أصبح مفتى الرياضى .

رافق عبد الله فى قتاله ضد القوات المصرية ووقع فى الأسر هو وإبنه عبد اللطيف ورحلوا إلى مصر ، وعاد عام ١٨٥٢ ليواصل تأييده لآل سعود ، ألف كتاباً فى الدعوة الوهابية .

٥ ــ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن (١٨٤٨ ــولد فى الدرعية) .

تلقى الوهابية عن والده ، ألقى دروساً فى حائل ترأس دار الإفتاء أثناء الحكم بن سعود ، قام بتنظيم المطوعين .

وقع فى الأسر عند مهاجمة آل الرشيد الرياض عام ١٨٩٠ ، ورافق ابن سعود فى غزو الرياض ١٩٠١ وتزوج الملك ابن سعود إبنته وهى أم الملك فيصل .

٦ ــ عبد الله بن حسن بن حسين بن على بن حسين بن عبد الوهاب (١٨٧٠ ــالرياض) له أبناء خمسة : محمد تولى

الإشراف على تعليم العلماء، وأبناء العائلة من أبرزهم صالح بن عبد العزيز، عبد اللطيف بن ابراهيم والذى أصبح مفتى البلاد.

وباقى الأبناء، عبد العزيز، ابراهيم، حسن أحمد.

تلقى الوهابية عن والده، تولى منصب الإمام لمسجد الرياض، أرسله إبن سعود لتعليم إخوان الأرطاوية، تولى مهمة القضاء فى جيش ابن سعود وإمام وخطيب المسجد الحرام، قاضى قضاة الحجاز المسئول عن البقاع المقدسة والمسئول عن التعليم الدينى فى مكة ـ المدينة.

٧ ـ محمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بن على بن حسين بن عبد الوهاب.

تلقى الوهابية عن والده، أشرف على الشئون الدينية فى المنطقة العربية، قام بتأييد الحكم السعودى.

٨ ـ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن بن حسين بن على بن حسين بن على بن حسين بن عبد الوهاب.

تلقى الوهابية عن والده؛ تولى وزارة التعليم؛ منصب إمام وخطيب المسجد الحرام، أيد الحكم السعودى.

٩ ـ حسن بن عبد الله بن حسن بن حسين بن على بن حسين بن عبد الوهاب.

تلقى الوهابية عن والده، تولى منصب وزير التعليم العالى؛ قام بتأييد الحكم السعودى.

كل المعلومات عن ال عبد الوهاب مستقاه من كتاب «علماء الدعوة» للشيخ عبد الرحمن بن عبد المطلب بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ (القاهرة: مطبعة المدنى ١٩٦٦).

الفصــل الرابع

إتساع نفوذ الدولة وإندماج العلماء في مؤسساتها

ظلت المملكة العربية السعودية طيلة عقدين من الزمان مفتقرة لوجود مؤسسات حكومية منظمة ومتطورة، فمنذ إعلانها مملكة موحدة عام ١٩٣٢ وحتى عام ١٩٥٣ ظل الملك عبد العزيز آل سعود يحكم حكماً شخصياً، بطريقة دارجة غير رسمية. حيث أدار أمور البلاد وكأنها شئون قصره المنزلية؛ ولم يسمح بتمركز السلطة فى أيدى بعض مسئولى نظامه. وحقق توسعاً فى صناعة إستخراج البترول فى الخمسينات، وما تلاه من إرتفاع الدخول الحكومية، وبدأ يزداد تعقيد الجهاز الإدارى الحكومى، وإتساع نفوذ الدولة ليشمل عدداً من المجالات الاجتماعية. ولم يعقب وفاة ابن سعود عام ١٩٥٣ إنهيار جهاز الدولة التى أنشأها ووحد مملكتها بل؛ بقيت الدولة السعودية بعد رحيل مؤسسها، وإستمر خلفائه فى إقامة جهاز حكومى حديث لدعم أداء الدولة لوظائفها ـــ الأمر الذى يكمل القاعدة التقليدية لشرعية نظام الحكم (سعود ١٩٥٣ ـــ ١٩٦٤،

فيصل ١٩٦٤ ــ ١٩٧٥ خالد ١٩٧٥ ــ ١٩٨٢ ، فهد ١٩٨٢ ..) .
ولقد ساعد تطور وتعقيد الجهاز الحكومى الحديث الحكام السعوديين من السيطرة على المجتمع ، والحفاظ على الحكم الملكى التقليدى .

قادهم إنشاء الجهاز الحكومى الحديث إلى حدوث تغييرات جوهرية أثرت بدورها على العلاقة بين الدين والدولة فى المملكة العربية السعودية :

أولاً : تزايد دور الإختلافات بين الدين والسلطة السياسية .

ثانياً : وضع نظام لدورة العمل (روتين) لحكم الدولة ، بإيجاد مؤسسة وهيئة مسئولين لكل مجال ، يديرها رسميا مسئولين من قبل الدولة . فالمؤسسة الدينية تسيطر على النشاط الدينى وهكذا ، فقد العلماء كثير من وظائفهم التقليدية ؛ وأصبحوا مجرد جماعة ضغط هامشية ، تمارس نفوذها على النشاطات الحكومية ، لكنها لا تتمتع بدورها كمركز مستقل للسلطة . وكى نفهم مكانة ودور العلماء فى الجهاز الوليد ، ينبغى تحديد إطار عام لتقييم وتشخيص النظام الحكومى الإدارى للدولة .

أسباب تحول الجهاز الحكومى للدولة :

فى الواقع ، لم يؤثر إعلان السعودية مملكة موحدة عام ١٩٣٢ فى البنى الإدارية التقليدية القائمة فى البلاد . فلم يتم الإنتقال من واقع الحكومات الإقليمية المبعثرة إلى خلق جهاز حكومى مركزى حديث إلا بعد انقضاء عقدين من الزمان . ورغم وجود هيكل

حكومى حديث فى الحجاز، كانت باقى مناطق المملكة السعودية تدار بطرق تقليدية. وفى الثلاثينات ظهرت بعض الهياكل الحكومية فى الإحساء، ونجد، لكنها كانت محدودة الأهداف، وذات طابع مظهرى.

إختلفت أدوار الدين والسلطة السياسية تبعاً لتنوع الهياكل الحكومية الإدارية فى البلاد من منطقة لأخرى، وتبعاً لدرجة إمتداد السيطرة الحكومية على المناطق التى كانت يحكمها تقليدياً الدين والمؤسسة الدينية. ففى منطقة نجد، كان الإختلاف الوظيفى بين الدين والسياسة محدوداً. حيث كانت هذه المنطقة، نادراً ما تخضع للنفوذ الأجنبى قبل الثلاثينات، وبالتالى حافظت على تجانسها الثقافى. فلقد حكمها ابن سعود من خلال ولى العهد الأمير سعود، الذى حكمها بإعتباره ممثلاً شخصيا للملك والده. وكان بعض الأمراء يحكمون المناطق كممثلين شخصيين للملك. وكانت مهمة جماعة العلماء مساعدة الأمراء فى نشاطاتهم اليومية، وعملوا بإعتبارهم قضاة وأئمة مساجد. وأيضاً باقى مدراء المالية، وضباط الشرطة. وبإستثناء العلماء الذين كانوا مسئولين أمام رؤسائهم فى الرياض، كان كل المدراء ورجال الدولة مسئولين أمام أمير المنطقة، وهو بدوره تابعا للحاكم، والأخير بدوره مسئولاً أمام الملك.

على النقيض من نجد كانت الحجاز متأثرة بنظم الإدارة والحكم الأجنبية؛ خصوصاً الوافدة من مصر وتركيا. حيث توجد

بعض الهياكل الحكومية بها قبل مجىء الحكم السعودى. وعلى سبيل المثال، كان فى مكة بعض المصالح الحكومية مثل الصحة، الشئون البلدية، إمدادات المياه، الشئون القضائية. ويديرها جميعاً مجلس المدينة تحت الإدارة المباشرة لحكم الشريف حسين. وبقيت هذه الهياكل على حالتها فى أعقاب إستيلاء السعوديين على مكة، لكنها أصبحت تحت السيطرة المباشرة لفيصل حاكم الحجاز.

تكتسب الفروق بين الخلفيات الإدارية والحكومية لإقليمى نجد والحجاز دلالتها الملحوظة بتأثيرها على النظم التعليمية فى المنطقتين والتى تحدد بالتالى النمط الخاص للهيكل الحكومى الحديث. بينما وجدت أعداد من المدارس العلمانية فى بداية القرن بإقليم الحجاز، لم يدخل التعليم العلمانى الابتدائى فى نجد حتى عام ١٩٣٨. وبينما كان للعلماء دور فعال ومؤثر فى صياغة النظام التعليمى فى نجد، وبالتالى إحتفظوا بإستمرار بالتوجه الدينى لمناهج التعليم، كان النظام التعليمى فى الحجاز أكثر علمانية فى طابعه، ويهدف لإشباع حاجات الجهاز الحكومى المتميز. وتجسدت المحصلة المباشرة للخلاف بين النظم التعليمية فى منطقتى نجد والحجاز، فى سيطرة الحجازيين على المواقع الإدارية والحكومية الهامة والتى تتطلب تعليماً علمانياً. وإنحصر إهتمام النجديين فى التعليم الدينى كأداة للتأثير الإجتماعى، بينما تلقى الحجازيون تعليما علمانياً وكانوا فى مواقع أفضل لمواجهة مطالب المؤسسات الحديث[1]. ومع

(١) على سبيل المثال، فى عام ١٩٣٤ كان أكثر من ٧٠٪ من الطلاب النجديين =

تمركز الإدارة فى الخمسينات ، وما تلاها من زيادة عدد النجديين المنتظمين فى التعليم العلمانى الحديث ، شهد نصيب النجديين فى المناصب والوظائف الحكومية تحولا لصالحهم .

الإقتصاد النفطى وتحول الجهاز الحكومى :

أدى ظهور البترول ونشوء الإقتصاد النفطى فى المملكة السعودية إلى إقامة هياكل إدارية حكومية معقدة ؛ وأثر على توجيهات النظام السياسى . شهد ابن سعود قبل وفاته ١٩٥٣ التزايد الهائل فى ثروة البلاد ودخولها من إنتاج النفط . فلقد وصلت إلى ٢٠٠ ألف دولار قبل الحرب العالمية الأولى ، ليبلغ ١٠ مليون دولار قبل الحرب العالمية الثانية ، ليصل إلى ٦٠ مليون دولار عام ١٩٤٨ ، ١٦٠ مليون دولار عام ١٩٥٢ ، ٢٥٠ مليون دولار عام ١٩٥٣ (٢) .

يستمد التأكيد على دخول البترول كعامل مؤثر فى إتساع الخدمات الحكومية لتلائم تطور الفئات الإجتماعية الجديدة فى السعودية ، من طبيعة المجتمع السعودى ، وصناعة البترول ذاتها .

ولقد ساهمت عوامل ثلاث فى تقليص تأثير صناعة البترول (٣) :

= السعوديين يدرسون التوحيد ، فى معهد دينى بالطائف يدرس مبادىء الوهابية والعلوم الدينية الإسلامية ، وكانوا يتلقون إعانات حكومية شهرية ، ويتم توظيفهم بعد التخرج فى مناصب إدارية فى المؤسسات الدينية .

(٢) تأثير البترول على إقتصاد السعودية . الرياض : وزارة الإعلام ، ١٩٧٩ ــ ص ٤ .

(٣) كمال صايغ ، البترول والتطور الإقليمى العربى ــ نيويورك : برايجر للنشر .

الأول: هو خلفية المجتمع السعودى، فلقد دخلت صناعة البترول مجتمع يفتقر للتقاليد الصناعية، فأدخلت معها آليات التشريع، والإدارة فى السنوات الأخيرة لتنظيم عمل الأنشطة الصناعية لإشباع الحاجات المطروحة.

الثانى: إنحصر دوره فى تحجيم التأثير الإجتماعى السياسى لصناعة البترول ويرجع إلى طبيعة تلك الصناعة، كما كتب و. شولتز:

«صناعة البترول ليست فعالة فى نقل معرفة جديدة لفئات أخرى أو تدريب العمال لإكتساب المهارات التى تفيدهم عندما يلتحقون بأنواع عمل جديدة. وتميل تقنيات إنتاج البترول

= ١٩٦٨ ص ٨١ ـــ ٨٢. منح الإمتياز الأول لإستغلال النفط السعودى عام ١٩٣٣، حيث حصلت شركة ستاندرد أو يل (كاليفورنيا عليه، وفى عام ١٩٣٦ باعت نصف مصالحها لشركة تكساس، ثم كونا معا عام ١٩٤٤ الشركة العربية الأمريكية للبترول (آرامكو)، وبعد ٤ سنوات، وزعت أسهم آرامكو كما يلى: ستاندرد كاليفورنيا ٣٠٪، تكساس ٣٠٪، ستاندرد نيوجرس ٣٠٪، سكونى موبيل ١٠٪ وفى عام ١٩٤٩، منح إمتياز آخر لمؤسسة الباسفيك الغربية للبترول (بول جينى ١٠٠٪) يغطى نصف مجمل مصالح البترول السعودية والكويت والمنطقة المحايدة ـــ وفى عام ١٩٥٠، عدل امتياز آرامكو ليسمح بزيادة الحصة السعودية فى مجمل الأرباح إلى النصف. وفى عام ١٩٥٧، منحت السعودية امتياز ثالث لشركة يابانية يغطى المناطق الساحلية للسعودية ويشمل نصف مصالحها البترولية فى المنطقة المحايدة، وتتلقى السعودية ٥٦٪ من الربح الإجمالى، وعوائد عمليات التكرير، النقل، التسويق.

والتعدين إلى التخصص، ولا تتيح لهم إستخدامها فى تطبيقات مفيدة فى مجالات عمل أخرى. وبالتالى، فبقدر الإهتمام بالصناعات الأخرى، بقدر ما يتكون عدد ضئيل من تقنيات التنقيب وصناعة البترول مفيدة لها، ويمكن لعدد ضئيل من العمال تحصيل مهاراتهم الفنية حيث يتلقون تدريبهم فى مجال التعدين وإستخراج البترول (٤).

تتميز صناعة البترول بأنها أحادية التطور ولا تتطلب توسع عنيف فى نظم النقل أو الطاقة. فهى تستخدم تسهيلات خاصة بها، تتطلب القليل فى مجال الخدمات العامة (٥). فى النهاية، يجىء.

العامل الثالث: هو الموقع البعيد النائى والمنعزل لصناعة البترول، مما يقيد ويضعف تأثيرها فى المجتمع.

رغم ضآلة تأثير صناعة البترول، إلا أن تزايد حجم الإنفاق تبعاً لإرتفاع دخول النفط، قد زلزلت الإقتصاد السعودى الراكد (٦). وأصبحت عوائد النفط المصدر الأساسى الذى تعتمد عليه موارد الدولة وإيراداتها. ففى عام ١٩٣٢ وصلت إيرادات الحكومة السعودية إلى ١٢ مليون ريال، كان نسبة إيرادات الحج

---

(٤) شولتز ـ الرؤى الاقتصادي للانتاج البدائى ـ ورد فى نفس المرجع ص ٨٢.

(٥) نفس المرجع.

(٦) لدراسة الآثار الإقتصادية لصناعة البترول على المجتمع السعودى أنظر، فايز بدر ـ التخطيط المتطور فى السعودية: دراسة متعددة الجوانب ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة ساوثرن كاليفورنيا، ١٩٦٨.

٦٠٪ من الإجمالى . وعندما توفى ابن سعود عام ١٩٥٣ ، كانت إيرادات الدولة ٧٥٧مليون ريال سعودى ، ٩٠٪ منها جاءت من النفط (٧) .

ارتبط بالارتفاع المستمر فى الثروة مشكلة ضخمة عانت منها السعودية ، تمثلت فى عدم وجود تفرقة واضحة بين أموال الدولة العائلة المالكة حتى عام ١٩٥٩. ، وأموال مع نموذج «ماكس فيبر» للحكم العشائرى ، إعتبر ابن سعود وخلفاؤه ثروة البلاد ملكا شخصيا لهم . حتى فى أول ميزانية قدمتها السعودية فى عام ١٩٥٨ ــ ١٩٥٩ ، خصص للعرش ١٧٪ من الميزانية لإنفاقها وفق رغبات الملك ، بالإضافة إلى ١٩٪ من الميزانية وضعت تحت بند «نفقات أخرى» لتنفق حسب الرأى الشخصى للملك أيضاً .

بدلا من إنفاق هذه الثروة على مشروعات تنمية ، كرسها ابن سعود للإنفاق على مصالحه الخاصة ، والإنفاق على إمتيازات ابنائه (عددهم ٤٢ أميراً) ، وأخوانه الخمسة ، وذريتهم جميعا ، وأيضاً على مشايخ القبائل (جلوى ، السديرى ، آل الشيخ) المرتبطين جميعاً بالعائلة المالكة ، وعلى شيوخ «الوهابية» ، التى صهرت المجتمع السعودى فى بوتقة الدين ليعيد آل سعود تشكيله وفق أهدافهم وكانت المظلة التى أظلت حكم آل سعود بالشرعية المطلوبة لتوسيع وتثبيت دعائم العرش ، وأكدت معارضتها للتيار المتطرف المناوىء وكما وصفها «هـ . جون فيلبى» .

(٧) قيمة الدولار الأمريكى كانت تساوى ٤,٥ ريال سعودى للمعلومات عن عوائد ودخل المملكة ــ انظر التقرير السنوى ١٩٧٨ ــ الرياض : وكالة النقد السعودى ، ١٩٧٩ .

«تساقطت ممنوعات ومحاظير الوهابية تدريجيا، فى البداية خلسة وخفية، وبعد ذلك جهراً وبشكل فظ. وتحت شعار تحقيق الكفاءة والفعالية العسكرية، صدحت أنغام الموسيقى التى تمنعها الوهابية، وعزفت ألحانها علنا فى ميادين وساحات القصور الملكية.. وارتفعت ستائر شاشات السينما المحظورة وهابياً، فى القصور الملكية، وقصور الأمراء والأثرياء للإستمتاع بمشاهدة إنتاج هوليوود السينمائى. الأكثر ابتذالا، والذى كان يستحى من مشاهدته أو يخشى من ذكره قبل عشر أو خمسة عشر عاماً خلت» (٨).

كان الملك عبد العزيز سعود قادراً على الحفاظ على حكمه العشائرى بفضل زعامته الكارزمية، وتوزيع العطايا والإمتيازات، لكن إبنه سعود، أظهر فشلاً ذريعا عندما حاول محاكاة هذا النمط من ممارسة السلطة والحكم. فلقد كان سعود يفتقر للزعامة الكارزمية، وقدرة والده على إقناع رجاله، والإعتراف بالحاجات العاجلة الملحة. فرغم ارتفاع دخول البترول؛ واجه إقتصاد البلاد عقبات بسبب ضغوط التضخم الحادة، ولأن الملك سعود كان زعيماً ضعيفاً ومفرطاً فى الإسراف، أصبح عاجزاً عن كبح جماح التحلل والإهتراء الإجتماعى والأخلاقى للمجتمع السعودى؛ ولم يكن بارعاً بدرجة كافية لمواجهة التحدى الاشتراكى الذى فرضه جمال عبد الناصر.

فى محاولة لتجنب تصاعد السخط الشعبى ضد الحكم السعودى

---

(٨) جون فيلبى ــ السعودية ــ بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٦٨.

قامت العائلة المالكة، وكبار العلماء بنقل الوظائف التنفيذية للملك سعود وكلفوا الأمير فيصل بها عام ١٩٥٨. ومالبث سعود أن استعادها عام ١٩٦٠، لكن الأمير فيصل ولى العهد استمر فى أداء دوره كصانع قرار الدولة، وحتى عام ١٩٦٤ عندما تم خلع سعود وتعيين فيصل ملكاً؛ بموافقة العائلة المالكة وكبار العلماء (٩).

إبان حكم فيصل تم السيطرة على تآكل وتدنى الشرعية السياسية للحكم السعودى، وأثبت نظام حكم فيصل الذى أورثه للملك خالد عام ١٩٧٥؛ قدرته على التكيف والتلاءم مع التغير والتحديات السياسية الخارجية. فلقد أعاد فيصل تأكيد الشرعية التقليدية التى اعتبرت شرطاً ضرورياً للحكم العشائرى، وأدخل هيكل بيروقراطى معقد موازى لها، لكنه وثيق الصلة بالعائلة المالكة وخاضع لها، وقادر على ترسيخ دعائم الحكم السعودى وأداء وظائفه بفعالية.

لقد وقعت التحولات الهيكلية فى النظام السياسى السعودى بعد إكتشاف البترول فى المملكة. وبعد إدراك الحكام السعوديين وإعترافهم بالحاجة لإحداث تغييرات سياسية.

ويجب أن تنظر لتلك التغييرات ليس بإعتبارها رغبة واعية لإحداث تحول راديكالى (جذرى) للمجتمع، بل كانت فى طبيعتها إستجابة معتدلة ومنضبطة من جانب حكم عشائرى

(٩) يوجد نص فتوى العلماء بخلع الملك سعود فى ــ حافظ وهبه ــ الأيام العربية ــ لندن: أرثر باركر، ١٩٦٤ ص ١٧٦ ــ ١٨٤.

يستهدف الحفاظ على القيم الرئيسية وهويته فى وسط مناخ حافل بالتغير.

البناء المؤسسى وأدواره المتنوعة :

ساعد وجود هياكل حكومية مختلفة على دعم قدرة النظام السعودى السياسى فى التحكم والسيطرة على ظروفها ووسطها الإقليمى. وبقدر ما واجه النظام حلقة واسعة من المجالات التى تتطلب تدخل الدولة، كانت الضغوط حادة لإدخال وتطوير مؤسسات حكومية معقدة. فلكى تحافظ النخبة السياسية على مكانتها وأوضاعها فى المجتمع كان ينبغى عليها إدخال وتطوير تلك المؤسسات.

فى الفترة السابقة على الخمسينات، عندما أدرك ابن سعود الحاجة لإدخال مؤسسات حكومية حديثة، كانت الحياة السياسية فى المملكة تتمحور حول الملك، وكانت السلطات التنفيذية والتشريعية تمارس من خلاله. ولقد أحاط نفسه بمستشارين تمتعوا بثقته الشخصية ولم يكن مطلوباً منهم تقديم الإقتراحات، إلا عندما يطلبها الملك (١٠).

فى أعقاب غزو الحجاز عام ١٩٢٦، وما تلاه من توحيد المملكة

(١٠) جيمس بيل، براون، ١٩٧٩ ـ ص ١٥٥ ـ ومن المعروف أن معظم مستشارى ابن سعود (الملك عبد العزيز) كانوا غير سعوديين نذكر منهم : د. عبد الله دملوجى (العراق)، الشيخ يوسف ياسين، خالد حكيم، د. محمود حمدى حمودة، د. مدحت شيخ الأرض، د. رشاد فرعون، خير الدين الزركلى (سوريا)، الشيخ فؤاد حمزة (لبنان)، الشيخ حافظ وهبه (مصر)، خالد كيركام (ليبيا).

عام ١٩٣٢ إحتاج إبن سعود لوجود هيكل حكومى إدارى فعال لمواجهة الحاجات الإجتماعية ــ الإقتصادية المتزايدة والتى خلفتها دخول البترول . وبينما حافظ الملك ابن سعود على الطابع العشائرى لحكمه ، أرسى دعائم هياكل حكومية متعددة ، ومؤسسات بيروقراطية معقدة . ورغم تمركز كل السلطات التنفيذية والتشريعية فى شخص الملك ، بإعتباره قائد الدولة ، رئيس الوزراء ، قائد القوات المسلحة ، إمام الجماعة ، إلا أن أوامر ، قرارات وسياسات الملك كانت تمرر وتطبق من خلال قنوات مجلس الوزراء (١١) .

قبل تشكيل مجلس الوزراء الحالى كانت هناك لجان ومؤسسات حكومية تقوم بوظائفه . ففى أعقاب غزو مكة عام ١٩٢٤ ؛ أنشىء المجلس البلدى لمكة وضم فى عضويته ٢٥ نائباً يمثلون جماعات مصالح مختلفة فى المدينة ، بما فيهم العلماء . وترأس المجلس نجل الملك ابن سعود ، الأمير فيصل ، وتضمنت نشاطاته ما يلى : مراجعة النظام القضائى للمدينة ، إصدار التعليمات والقرارات المتعلقة بالحج والأوقاف ؛ الإشراف على التعليم الدينى ، إصدار القوانين التجارية ، تشكيل لجنة قضائية لفض وتسوية النزاعات وفقا للقوانين الإسلامية والقبلية العشائرية (١٢) . وفى أعقاب ضم جدة

---

(١١) يوجد أيضاً محكمة ملكية . مقسمة إلى ٦ إدارات : ادارة عامة ، شخصية ، ترجمة ، طبع ، شئون بدوية ، شئون سياسية . ويقتصر نشاطها على تقديم النصائح للملك .

(١٢) محمود صادق ، تطور النظام السياسى والإدارى فى المملكة العربية السعودية ــ الرياض : معهد الإدارة العامة ١٩٦٥ ، ص ٢٨ .

عام ١٩٢٥، إستبدل المجلس البلدى بلجنة إرشاد وكان يرأسها هذه اللجنة أيضاً الأمير فيصل. وضمت فى عضويتها ثلاث أعضاء يعينهم الملك ابن سعود، وثمانية آخرون يتم إنتخابهم فى إقتراع سرى عن طريق ممثلين لجماعات المصالح الكبرى فى الحجاز، بما فيهم العلماء. وخوّل إبن سعود للجنة سلطة مساعدة الأمير فيصل فى إدارة المنطقة. وبعد عامين، قام إبن سعود بتشكيل لجنة إصلاح وتقص حقائق لمراجعة المؤسسات والمنظمات الحكومية (١٣). ولقد أوصت هذه اللجنة بتوحيد الإدارات الحكومية، الإقليمية، وبالمثل إيجاد مجلس إستشارى وطنى للحفاظ على المصالح الإقليمية. ولقد تم تطبيق هذه التوصية عن طريق إنشاء المجلس الإستشارى الذى يضم ثمانى أعضاء يختارهم الملك، أربعة منهم يعينوا بعد إستشارة قيادات الجماعة، بما فيهم العلماء ولتوسيع دائرة التمثيل الوطنى، يجىء الأعضاء الثمانية من مناطق الحجاز ونجد. ولقد فوض ابن سعود المجلس الاستشارى لصياغة السياسات الإجتماعية والاقتصادية، والإشراف على نفقات الإدارات والهيئات الحكومية، وأن يعمل بإعتباره هيئة تشريعية (١٤).

رغم السلطات الرسمية للمجلس الإستشارى، كانت قراراته خاضعة لموافقة وتصديق الملك. وبالتالى تآكلت سلطته القضائية

---

(١٣) نفس المرجع ص ٣٤.

(١٤) نفس المرجع ص٣٦، أنظر المرسوم الملكى الذى يأمر بإقامة الهيئة فى (أم القرى، الجريدة الرسمية السعودية والتى تنشر الوثائق الحكومية) رقم ١٨٦، ١٢ يوليو ١٩٢٨.

وضعفت نشاطاته نتيجة للتطورات التالية :

الأول : إنشاء مجلس النواب عام ١٩٣٠ لمساعدة الأمير فيصل فى إدارة منطقة الحجارة .

الثانى : إنشاء مجلس الوزراء عام ١٩٥٣ ليعمل كوزارة لإبن سعود .

لقد أنشىء مجلس النواب إعترافا بالتقدم النسبى فى الخلفية الحكومية والإدارية لإقليم الحجاز. وكان يستخدم بإعتباره هيئة مركزية لإدارة النشاطات بين المنظمات الحكومية وفروعها فى منطقة الحجاز، والمجلس الإستشارى وباقى المؤسسات القومية. ونتيجة لتوسع أعمال الحكومة فى البلاد، إكتسب مجلس النواب سلطات تشريعية وتنفيذية إستمدها من الملك. وبعد إنشاء مجلس الوزراء عام ١٩٥٣ ، وما تلاه من التحول إلى مركزية الحكومة ، تم حل مجلس النواب ، وأصبح مجلس الوزراء الهيئة القومية الوحيدة صانعة القرار.

مجلس الوزراء :

أنشأ الملك إبن سعود مجلس الوزراءء عام ١٩٥٣ ليعمل كهيئة مركزية تضم كل الإدارات والأفرع والمؤسسات الموجودة والتى تنشأ مستقبلاً. وتتكون عضويته من الوزراء الحاليين ويرأسه الملك شخصياً ولقد ركز المرسوم الملكى بإنشاء مجلس الوزراء على المجالات التالية :

١ـ تنظيم المجلس .
٢ـ السلطة التشريعية للمجلس .
٣ـ اسلوب عمل المجلس .
٤ـ السلطة القضائية لرئيس المجلس .
٥ـ دورة عمل ، أى اجتماعاته (١٥) . وتبعاً لذلك ، يترأس الملك المجلس ، وفى غيابه ، يرأسه ولى عهد . ويتكون المجلس من وزراء الملك ، مستشاريه ، كل الذين يحضرون إجتماعاته بحسب الرغبة الملكية . وتحددت سلطات مجلس الوزراء فى البند (٧) من المرسوم الملكى . «تصبح سياسات الدولة فى الداخل والخارج تحت إشراف مجلس الوزراء (١٦) . وأن كل قرارات المجلس لن تصبح سارية المفعول إلا بعد موافقة وتصديق الملك عليها » (١٧) .

عدلت وظائف وتكوين مجلس الوزراء بالمرسوم الملكى فى ١٢مايو ١٩٥٨ ، وفصلت سلطة المجلس القضائية ، وإستحدث منصب نائب رئيس الوزراء ، وإشترط المرسوم الملكى مسئولية أعضاء المجلس أمام رئيس الوزراء (أى ولى العهد : فيصل) وهو بدوره مسئول أمام الملك . ومن حق رئيس الوزراء مناشدة الملك خلع أى عضو من المجلس . وكان إضعاف سلطة الملك كما فى المرسوم الملكى لعام ١٩٥٨ ؛ نتيجة لعدم رضا العائلة المالكة

(١٥) انظر ، مرسوم مجلس الوزراء ،، وأقسامه ، أم القرى رقم ١٥٠٨ مارس ١٩٥٤ .
(١٦) نفس المرجع ص ٧ .
(١٧) نفس المرجع .

وتذمرها من حكم الملك سعود. ولذا ليس بمستغرب أن يتولى الملك منصب رئيس الوزراء بعد جلوس فيصل على العرش عام ١٩٦٤.

أدى دمج كل السلطات فى شخص الملك عامن ١٩٦٤ إلى إعادة تأسيس سيادة الملك، وتقييد دور مجلس الوزراء بإعتباره مجرد مجلس لإدارة الشئون الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية للبلاد. وهو الذراع الفاعلة للملك، قراراته خاضعة لموافقة الملك، وسلطته مجرد تمرير القوانين، السياسات، ومراقبة تطبيقها.

يتولى هيكل بيروقراطى (١٨) معقد تطبيق سياسات مجاس الوزراء وقراراته التى يتخذها طيلة سنى عمله. من أصغر وحدات وأقسام إدارية حتى الوزارات والهيئات المستقلة فى النظام الراهن. الذى يحظر تمركز السلطات بعيداً عنه. وينقسم الهيكل البيروقراطى إلى ثلاث أقسام:

(١) الوزارات.
(٢) الأقسام والمكاتب المستقلة.
(٣) الهيئات العامة.

حتى عام ١٩٥١، كانت توجد ثلاث وزارارت فقط، وزارة الخارجية (أنشئت عام ١٩٣٠) وزارة المالية (١٩٣٢) وزارة الدفاع

(١٨) إبراهيم محمود العوجى ـ البيروقراطية والمجتمع فى السعودية ـ رسالة دكتوره ـ جامعة فيرجينيا ١٩٧١. ولدراسة اجراءات وأنشطة وعمل البيروقراطية السعودية أنظر أيضاً، محمد الطويل ـ عمل ونظم التطور الإدارى فى السعودية ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة بتسبرج، ١٩٧٠.

(١٩٤٦). وكان تنظيم ونشاطات هذه الوزارات يتسم بالبدائية. فعلى سبيل المثال، كان يتولى وزارة المالية، أمين خزانة ابن سعود، الشيخ عبدالله السليمان، وكانت وظيفته الأساسية تلبية حاجات وطلبات ابن سعود الشخصية. لكن، الآن، لا يوجد أى تشابه مع تنظيم وعمل المالية القديم. فلقد أصبحت هذه الوزارة، أكثر الوزارات تعقيداً وفعالية من كل المؤسسات الحكومية. حيث يعمل بها مسئولون على درجة عالية من التأهيل العلمى والعملى، ولقراراتهم وعملهم تأثير مباشر على كل الأقسام والإدارات والوزارات (١٩).

انشئت وزارات الداخلية، التعليم، الزراعة، المواصلات التجارة والصناعة، الصحة إبان الفترة من ١٩٥١ حتى ١٩٥٤، وما بين ١٩٦٠، ١٩٦٢، انشئت وزارات البترول والثروة المعدنية، العمل والشئون الإجتماعية، الحج والأوقاف، الإعلام العدل. فى النهاية، أنشئت ٦ وزارات إضافية، وثلاث وزارات دولة بدون حقيبة وزارية، فى عام ١٩٧٥. وهكذا أصبح إجمالى عدد الوزارات ٢٣ وزارة. ضمن تلك التى أنسئت عام ١٩٧٥. وزارة الأعمال العامة والإسكان، الصناعة والطاقة، البرق، البريد، الهاتف، التخطيط، التعليم العالى، الشئون البلدية والقروية.

أنشئت الأقسام المستقلة والمكاتب فى إدارة الدولة، وتشمل مكتب الموظفين العمومين، اللجنة المركزية للتخطيط، هيئة المظالم

---

(١٩) بالنسبة للائحة تنظيم وزارة المالية والإقتصاد القومى أنظر، فؤاد فارس ــ السعودية: دراسة حالة فى التطور ــ لندن، ١٩٧٨ ص ١١٩.

الهيئة العامة للمخابرات، المجلس الاستشارى، الحرس الوطنى هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٢٠]. تمتعت هذه المكاتب والهيئات بإستقلال نسبى، لأنها تتصل مباشرة برئيس الوزراء (الملك) لكن الأحكام والقواعد التى تطبق على هذه الهيئات تطبق عليها وكأنها وزارات.

فى النهاية، لتجنب القواعد والإجراءات الحكومية التى قد تعوق نشاطات وكالات معينة، أنشأ مجلس الوزراء هيئات ووكالات حكومية عامة فى الستينات. ضمت نظم السكك الحديدية، مؤسسة البترول والتعدين، الخطوط الجوية السعودية، مؤسسة الإدارة العامة، جامعة الملك سعود، كلية البترول والمعادن، مؤسسة الأمن الإجتماعى، مركز بحوث التنمية الإقتصادية، الهيئة العربية السعودية للنقد والأوراق المالية، البنك الزراعى، الهلال الأحمر. كانت كل إدارة ترتبط رسميا بوزارة تتبعها؛ ومع ذلك كان يدير كل هيئة مجلس تنفيذى، يرأسه فى حالات كثيرة وزير ويضم فى عضويته نواب الوزراء، والمدير العام للوكالة أو الهيئة ذاتها[٢١].

---

(٢٠) ابراهيم العوجى ــ البيروقراطية والمجتمع ص ١٢٨، ولدراسة بناء ووظيفة هذه الأقسام والإدارات، وهيئات الخدمة العامة أنظر، سليمان المزيد ــ بناء ووظيفة إدارة الشخصيات العامة فى السعودية ــ رسالة دكتوراه، كلية كلارموت كليف، ١٩٧٢.

(٢١) العوجى ــ مرجع سابق.

بيروقراطية جماعة العلماء :

صاحب توسع الهياكل الإدارية الحكومية تزايد سلطاتها على عدد هائل من المجالات الإجتماعية ، بما فيها تلك التى كان تدار بالدين والمؤسسات الدينية . فعلى سبيل المثال ، أثرت نشاطات المجلس البلدى بعمق على مكانة ووضع العلماء من خلال :

(١) كان تمثيل العلماء فى المجلس محدوداً ، بعضوين ؛ مما أضعف تأثيرهم .

(٢) أثرت سلطات المجلس فى مجالات كانت فى السابق تقع ضمن سيطرة العلماء فقط . مثل إدارة الأوقاف ، المدارس الدينية التعليم . ولقد تأثرت مساهمة العلماء ومشاركتهم فى الهياكل الحديثة بحاجات وتوجهات المجال السياسى ــ حيث يمنح العلماء دوراً بارزاً عندما تكون الشرعية الدينية مطلوبة ، ويحتلوا مكانة ثانوية عندما يتعارض موقفهم مع موقف الحاكم أو عندما يستعان بمصادر أخرى للشرعية . وعندما قاربت عملية تشكيل وبناء الإدارات الإقليمية من الإكتمال ؛ فقد العلماء الإستقلالية المحدودة التى تمتعوا من قبل بها ، وأصبحوا مجرد موظفين مدنيين يتقاضون أجوراً من الدولة ، وأصبح وضعهم ، دخلهم ونشاطهم العام محكوماً بنظم وأهداف الدولة .

أدى دمج العلماء فى إدارة الدولة إلى تنظيم إستخدام الدين والمؤسسة الدينية كمصدر للشرعية ، وأصبح دور العلماء ونشاطهم فى الجهاز الادارى للدولة يمر من خلال المجالات والوكالات التالية : هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إدارة البحوث الدينية ،

الإفتاء، الدعوة، الإرشاد، التعليم الديني، وزارة العدل، الوعظ والإرشاد والدعوة للإسلام محلياً وعالميا، مراقبة تعليم البنات، مراقبة المساجد والأوقاف، التوثيق العام في النهاية، نشر الإسلام ودعم المكانة والإعتبار الدولي للمملكة العربية السعودية من خلال أنشطة المنظمات الإسلامية مثل رابطة العالم الإسلامي، الجمعية الدولية للشباب المسلم. والوصف التالي للنشاطات العامة لهذه الهيئات الثلاث، وبالمثل دور العلماء في النظام القضائي الحالي، ستتيح لنا تقدير أهمية دورهم ومكانتهم في النظام الإداري للدولة.

هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أصبحت الحاجة ملحة وضرورية لإنشاء هياكل للسلطة السياسية كلما تقدمت عملية التوسع الإقليمي وبسط نفوذ آل سعود. فلقد ادرك ابن سعود ضرورة الإستعانة بنظام إداري يتيح له مواجهة الحاجات الخاصة بالوهابية، وبالمثل يلائم أهدافه السياسية. وبالتالي، تم تعديل وضع المؤسسات الدينية ليلائم تلك المستحدثة لمواجهة الحاجات الناجمة عن التطور. وهكذا، أنشئت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتفرض تطبيق مبادىء الوهابية، وأدمجت في جهاز الدولة. فضلاً عن ذلك، عندما تعارضت المبادىء الوهابية مع الحاجات السياسية لابن سعود وتصارعت معها، إنتصرت سياسة ابن سعود. ومن الأمثلة على ذلك، إنتصار أهداف ابن سعود لتحقيق التنمية والتطور، إبرام إتفاقية مع البريطانيين، إلغاء الإخوان، إدخال التعليم العلماني؛ تدفق غير المسلمين على المملكة لتطوير صناعة البترول.

يعود الدافع لإنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل الشيخ، الذى قام عام ١٩٠٣ بفرض مراعاة المبادىء الوهابية فى الرياض (٢٢). وعندما توسعت الدولة فى أرجاء نجد والإحساء، حول ابن سعود نشاطات الشيخ إلى بناء رسمى مؤسسى بإقامة هيئات لها وظائف مماثلة. كان يترأسها الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، وضمت رئاستها الشيخ عبدالرحمن بن إسماعيل آل الشيخ، الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، الشيخ عبداللطيف آل الشيخ، وخوّل للهيئة سلطة إعتقال ومحاكمة أولئك الذين يقبض عليهم متلبسين بإرتكاب المعاصى، وذنوب إنتهاك تعاليم الوهابية.

أصبح عدد من المناصب والوظائف متاحاً للمطوعين فى الرياض؛ وباقى المدن السعودية والأقاليم. مثل شغل وظيفة ضابط الشرطة والمراقب. حيث كان المراقب مسئولاً عن المراقبة العامة، وهو المنصب الذى كان يشغله دائماً أحد ابناء عائلة آل الشيخ، وكل القضايا الرئيسية وثيقة الصلة بالهيئة كان يقررها المراقب العام للهيئة، وهو بدوره يتلقى التعليمات من الملك. ورغم وجود هيكل تنظيمى دقيق للعمل، بقيت واجبات ومهام المطوعين غير محدودة، ولم يتم وضع توصيف واضح لتلك السياسات المرغوبة أو المرفوضة. ظل الوضع هكذا، حتى بداية الستينات، عندما وصل

---

(٢٢) جمعت المعلومات عن الهيئة (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) خلال مقابلتين مع نائب المراقب العام للهيئة فى الرياض، ١١، ١٢مارس ١٩٨٠.

تطبق النظم العامة إلى مجال عمل هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

كانت وظيفة المطوع تغطى مساحة واسعة من أقاليم المملكة، لفرض إتباع تعاليم الوهابية، وممارسة السيطرة على المجتمع. حيث يراقب المطوع وينظم حركة الأسواق لمنع الإختلاط بين الرجال والنساء، وللتأكد من عدم إنتهاك الأخلاق العامة، وعدم إحتيال التجار والباعة على المستهلك، وعدم وجود أماكن لهو، وعدم وجود لوحات ورسوم للتصوير البشر أو الحيوانات أو القيام ببيعها؛ وعدم إرتداء الرجال للملابس الحريرية أو الحلى الذهبية، والتأكد من إنتظام أفراد المجتمع فى أداء الصلوات الجماعة، وفرض الإمتناع عن المحظورات مثل التدخين شرب الخمور، والتأكد من إتباع أفراد المجتمع للسنة فى إطالة اللحية وحلق الشارب.

كانت القيود التى يفرضها المطوعون متسقة مع المبادىء الوهابية، وأتاح تطبيقها لإبن سعود التحكم فى كل أنشطة مواطنى مملكته وتثبيت دعائم عرشه. لهذا لن تندهش من توسيع مجال نظام المطوعين ليغطى منطقة الحجاز فى نهاية العشرينات وأسناد مهمة تنظيم أداء هذا العمل فى الحجاز إلى رئيس القضاة عبدالله آل بو لحُيد، والذى بدوره طلب من الشيخ عبدالله آل شيبنى لتنظيم مناصب الهيئة فى المنطقة. ولتبرير توسيع عمل الهيئة ليشمل الحجاز، طلب عبدالله آل بو لحيد من الشيخ محمد بهجت البيطار أحد أبرز فقهاء مكة تأليف كتيبات لشرح مبدأ الأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر، وواجبات المطوع (٢٣). رغم أن الشيخ عبدالله الشيبنى ترأس الهيئة فى الحجاز، إلا أن المسئولية النهائية عن توجيه وتنظيم الهيئة بقيت فى يد الأمير فيصل، حاكم المنطقة. وفى المقابل كان فيصل مسؤولاً أمام والده الملك ابن سعود..

بينما كان ابن سعود مهتما بالمطوعين بإعتبارهم آليات للضبط والسيطرة الإجتماعية، اعتبر بعضهم أنفسهم حراس المبادىء الوهابية، وكأنهم فى خارج مجال نفوذ الحاكم وسيطرته. وفى محاولتهم الجادة لفرض إتباع المبادىء الوهابية، عارض المطوعون بعض سياسات ابن سعود. ولكبح جماع المطوعين، أصدر ابن سعود مرسوماً ملكياً عام ١٩٣٠ بدمج هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المراقبة العامة لقوات الشرطة. وجرد المطوعين من سلطة القاء القبض، التى كانوا يتمتعون بها، وقيد وظائفهم فى الإبلاغ عن ارتكاب المعاصى إلى الشرطة. وفى حالة النزاع بين المراقب العام للهيئة والمراقب العام لقوات الشرطة، منح المرسوم حق التحكيم بينهما للملك.

جسد المرسوم الملكى عام ١٩٣٠ النموذج الذى حدد مكانة المطوعين داخل البناء الحكومى السعودى وطبيعة عملهم. رغم الإجماع على إعتبار الهيئة وكالة مستقلة، ومراقبها العام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ، يتمتع بمكانة وزارية

(٢٣) يستند نص الشيخ البيطار على كتابات تقى الدين أحمد بن تيمية، خصوصاً عمله ــ الحسبة فى الإسلام ــ بيروت دار الكتاب ــ العربى، د. ت.

منذعام ١٩٧٦ ، إلا أن دورهم قد تحول إلى عمل إشرافى مثل بيروقراطية الدولة. ونظرا ، لتعقيد الجهاز الحكومى فى السنوات الأخيرة ، إقتصر عمل المطوعين على إجبار الجمهور على أداء الصلاة ، والآن تؤدى وزارات التجارة ، الداخلية ، الصحة ، المالية ، الإقتصاد الوطنى ، الزراعة العدل ، الشئون البلدية ، كثير من واجبات كان يؤديها تقليديا المطوعون. وربما يرجع التدهور العام لمكانة المطوعين إلى غياب السياسات الخاصة التى تحكم نظام تعيينهم ، ترقياتهم ، فصلهم. فالمطوع الذى يعين فى الهيئة لا يطلب منه إجتياز إختيار قبول أو الحصول على أى تدريب أكاديمى ، وأحقبة أى شخص فى التعين مطوعا مشروطة بـ «حسن التدين ، السلوك الإجتماعى» والترقية يقررها القادة ، والفصل من الهيئة نادر الحدوث.

فى البداية أنشأ ابن سعود هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لفرض مراعاة تطبيق المبادىء الوهابية ، وبالتالى السيطرة على السلوك الإجتماعى لمواطنيه. لكن غطت واجبات الهيئة مساحة واسعة من المجالات الإجتماعية ، وأتاحت لابن سعود آليات لتثبيت عرشه. وعندما أصبحت سلطته راسخة بدرجة كافية ، وتأكد من نجاح عملية إقامة جهاز حكومى حديث ، لم يعد هناك حاجة للمطوعين. وبدلا من إلغاء المطوعين ، الإجراء الذى قد يثير عليه جماعة العلماء وعدائهم ، أدمج ابن سعود هذه الهيئة فى جهاز الخدمة المدنية وجردها من سلطتها الفعالة.

إدارة البحوث الدينية ، الإفتاء ، الدعوة ، الإرشاد :

تعتبر إدارة البحوث الدينية ، الافتاء والدعوة والارشاد مثل هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هيئة مستقلة من هيئات الدولة ، وهى مسئولة مباشرة أمام الملك بإعتباره رئيس الوزراء (٢٤) . وهى تقوم بنشر الكتب الدينية والدعاية للمبادىء الوهابية ، وتوزيعها على من يريدها . وهى ترعى مشروعات البحوث فى الإسلام والوهابية ، وتنظم دورات لتدريب الدعاة والوعاظ ، وترسل الدعاة فى مهمات خارجية . والنتيجة الرمزية لنشر وتوزيع الكتب والأعمال الدينية عمل لإظهار الحكم السعودى بإعتباره الداعية للإسلام ، وإعادة تأكيد هويته وإلتصاقه بالوهابية .

وتشتمل الأعمال التى نشرتها الإدارة ووزعتها على :

●● عدد من الكتب التى ألفها ووضعها الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو تلك التى كتبت عنه .

●● كتاب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العصمى الحنبلى « تحريم حلق اللحى » .

●● كتاب الشيخ سليمان بن محمد الحميدى « الطرق الشرعية لحل المشاكل الزوجية » .

---

(٢٤) المعلومات عن الإدارة مستقاة من مقابلة أجريتها مع المدير المساعد فى الرياض ، ١٠ أكتوبر ١٩٧٩ .

●● كتاب الشيخ حماد بن ناصر بن عثمان بن معمر (إرشاد المسلمين فى الرد على المدافعين عن زيارة القبور).

●● كتاب محمد سلطان المعصومى المكى (هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة ؟).

●● كتاب عبد الرحمن بن ناصر السعدى (حكم شرب الدخان).

بالإضافة لهذه الأعمال المنشورة وتوزيع الأعمال الدينية تصدر الإدارة فتاوى عن المسائل التى يطلب الملك الإفتاء فيها، أو الوكالات الحكومية، والجمهور عموما. ويوجه الملك أعمال الإدارة وعضويتها. ويحدد المرسوم الملكى رقم ١/١٣٧ الصادر عام ١٩٧١، أن أعضاء المجلس الأعلى للإفتاء يعينهم الملك. ووظيفتهم، كما يذكر المرسوم الملكى[٢٥] «تقديم الرأى القائم على الشريعة، فى القضايا التى يطرحها عليهم ولى الأمر أى الملك، إقتراح السياسات فى القضايا الدينية لإرشاد ولى الأمر؛ وإصدار الفتاوى لإرشاده المسلمين فى مجالات العقيدة، العبادات، المعاملات، وذكر المرسوم الملكى أسماء ١٥عالم بارز يشكلون الإدارة[٢٦]. والمثير فى تشكيل الإدارة هو وجود عضو واحد من

(٢٥) مجموعة المراسيم الملكية ــ الرياض، مكتب المطبوعات الحكومية، ١٩٨٠ ــ ٨١.

(٢٦) المجلس الأعلى للإفتاء مكون من: محضر عفيفى، عبد الرازق عفيفى، محمد أمين الشنقيطى، عبد الله الخياط، عبد الله بن حامد، عبد العزيز بن صالح، عبد الماجد حسن، محمد الحركان عبد الله العذيان، محمد بن جبير، عبد الله بن =

عائلة آل الشيخ. وضآلة تمثيل آل الشيخ فى هذه الهيئة الدينية الحيوية، أمر مثير للدهشة، لكن يمكن إعتباره كإستمرار لسياسة ابن سعود بعدم السماح لأى جماعة معينة بالإستحواذ على سلطة أكبر من سلطة العائلة المالكة. ففى الواقع، لقد تدهور تمثيل وتأثير آل الشيخ فى النشاطات الدينية منذ الأربعينات. ورغم أن اعضاء من عائلة آل الشيخ وزراء حالياً للتعليم العالى، العدل، الزراعة والمياه؛ ويتولون المناصب الدينية الكبرى فى الإدارة العامة للبحوث الدينية، الإفتاء، الدعوة والإرشاد، رئاسة رابطة العالم الإسلامى، وأيضاً لم يعد أبناء آل الشيخ يتولون المناصب الدنيا فى المؤسسات الدينية. وخلافا للنمط التقليدى من عائلة الشيخ حيث يركز أفراده على المهن الدينية، يزداد إنخراط بعض أفراد الجيل الجديد فى دراسة علوم علمانية، وتولى مناصب علمانية. ويوضح مسح لـ ٣٣ طالب من عائلة الشيخ مقيدين بجامعة الرياض عام ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠ أن ١٣ منهم فقط يدرسون العلوم الدينية، بينما الـ ٢٠ الباقين يدرسون دراسات علمانية، تتراوح بين إدارة الأعمال وطب الأسنان (٢٧).

الجمعية الدولية للشباب الإسلامى:

بينما إقتصر نشاط إدارة البحوث الدينية والافتاء والدعوة على

=مانع، صالح بن لحيدان، سليمان بن عبيد، ابراهيم بن محمد الشيخ، راشد بن حنين.

(٢٧) جمعت المعلومات من مكتب شئون الطلاب فى جامعة الرياض عامى ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠.

السعودية أنشأت الحكومة السعودية هيئات أخرى لنشر الإسلام وتأكيد مكانته بين مسلمى العالم . وزغم أن الوهابية كانت الركيزة والمرجعية للنشاط الدينى محليا ، أظهرت السعودية إعتقادها بالتضامن الإسلامى كأساس أولى يوجه سياستها الخارجية . ففى عام ١٩٧٩ رفع المعهد الإسلامى بالرياض مذكرة إلى السكرتارية الإسلامية للإحتفال بمطلع القرن الرابع عشر الهجرى ، حددت فيه تعريفها للتضامن الإسلامى :

«حشد الموارد الثقافية والمادية والروحية للأمة لتحقيق الأهداف المشتركة والواضحة المحددة إقتصاديا وثقافيا و إجتماعياً . ويمكن تحقيق التضامن الإسلامى فى إطار عمل يشمل الموافقة الشاملة على الحاجات المنبثقة عن الالتزام بالإسلام ، وإنشاء مؤسسات جديدة .. تؤدى وظائف متخصصة للأمة كلها ، متخطية حواجز القوميات ، العرق ، اللغة وباقى الحدود التى تقسم الجماعة الإسلامية الآن» (٢٨) .

لتحقيق التضامن الإسلامى ، انشئت عدة هيئات ووكالات ومنظمات دائمة . وهناك منظمة هامة غير مشهورة يقتصر نشاطها على تأكيد القيادة والزعامة السعودية للدول الإسلامية وهى الجمعية الدولية للشباب الإسلامى ومقرها الرياض ، وانشئت فى ديسمبر

---

(٢٨) المعهد الإسلامى؛ مذكرة مقدمة للسكرتارية العامة لإحياء الإحتفال بقدوم القرن الرابع عشر الهجرى الرياض : المعهد الإسلامى ، ١٩٧٩ ص ٨ .

١٩٧٢ فى أعقاب إجتماع ممثلى منظمات شباب العالم الإسلامى، تحت رعاية وزير التعليم السعودى. وأهداف المنظمة هى: «خدمة أيديولوجية الإسلام بواسطة دعوة التوحيد؛ وتقوية معنى الإعتزاز والفخر بالإسلام بين الشباب المسلم وتسليحهم بالأسس العقلية والثقة التامة فى سيادة نظامهم الإسلامى على كل النظم، ومساعدتهم على ممارسة وتطبيق تعاليم الإسلام فى كل نشاطاتهم، ودعم الشباب الإسلامى والمنظمات الطلابية فى كل أرجاء العالم، ومساعدتهم على تطبيق وتنفيذ خططهم وبرامجهم كلما أمكن، مساعدة وإرشاد الشباب الإسلامى على إنشاء منظمات مهنية، وتبوأ وإحتلال المواقع القيادية فيها، وفى تلك القائمة. ومساعدتهم على أداء دورهم الإسلامى فى بناء أمة إسلامية ومواجهة التحديات الراهنة» (٢٩).

تقوم الحكومة السعودية بتمويل نشاطات الجمعية والتى تتضمن بناء المساجد والمدارس الدينية فى الخارج، رعاية زيارة الدعاة والوعاظ للجماعات الإسلامية فى الخارج، استضافة المؤتمرات السنوية لممثلى منظمات الشباب الإسلامى، نشر وتوزيع الأعمال الدينية (٣٠) الإتساق مع سياسات الحكومة ذات الوجهين: تأكيد

---

(٢٩) جمعت المعلومات عن الجمعية الدولية للشباب الإسلامى فى الرياض، عام ١٩٧٩.

(٣٠) على سبيل المثال، عقد مؤتمر ١٩٧٩ فى مدينة كوار لمبور وحضرته منظمات الشباب الإسلامى فى: أفغانستان، استراليا، بنجلاديش، فيجى، هونج كونج، الهند، أندونيسيا، ماليزيا، باكستان، سنغافورة، سريلانكا كوريا الجنوبية، تركيا.

الطابع الديني للدولة وفى نفس الوقت عدم السماح للعلماء بتوجيه أو تقييم نشاطات الدولة ، حيث يتم التخطيط لسياسة ونشاط الجمعية الدولية للشباب الإسلامي وإدارة أعمالها عن طريق شباب سعودى علماني التعليم . فعلى سبيل المثال : السكرتير العام للجمعية حاصل على دكتوراه فى العلاقات الدولية من جامعة بنسلفانيا ([٣١]) . ومعظم مسئولى المنظمة علمانى التعليم ويكشف مسح للكتب التى نشرتها ووزعتها الجمعية عن توظيف الدين كوسيلة لكسب الشرعية للحكم . ورغم أن معظم الكتب مقدمات تمهيدية فى الإسلام ، نجد أن بعضها يتعامل مع موضوعات متخصصة مثل الجهاد ، النظام الإقتصادى الإسلامى ، النظام القانونى الإسلامى ، وأكثرها ذيوعاً كتابات سيد قطب ، أبو الأعلى المودودى ، محمد قطب ، عبد القادر عودة ([٣٢]) . وهى تحمل رسالة تتسق مع التفسير الأيديولوجى السعودى للإسلام : «الإسلام أفضل النظم الموجودة . فهو الوسيلة الوحيدة لإستعادة الشرف ، القيادة ، العدل الإجتماعى» (القيادة ، العدل الإجتماعى» ([٣٣]) .

---

(٣١) بالنسبة للرؤية الحاكمة للمفهوم الإسلامى عن العلاقات الدولية ، أنظر ، عبدالحميد أبو سليمان ــ النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية : النشأة ، الماضى ، والحاضر ــ رسالة دكتوراه . جامعة بنسلفانيا ، ١٩٧٣ .

(٣٢) مجموعة منتقاة ، على سبيل المثال ، من الكتب تتضمن : محمد قطب ، شبهات حول الإسلام ، الاتحاد الإسلامى . د . ت عبد القادر عودة ــ الإسلام وأوضاعنا القانونية ــ دمشق : دار نشر القرآن الكريم ، ١٩٧٧ .
سيد قطب ــ المستقبل لهذا الدين ــ دمشق : دار القرآن ، ١٩٧٨

(٣٣) محمد قطب ــ شبهات ، المقدمة .

العلماء والنظام القضائى :

إقتصر تفسير مبادىء الشريعة تقليديا على العلماء . حيث تستمد هذه المهمة أهميتها من حقيقة دور الشريعة فى تنظيم كل النشاطات الإنسانية . كما رسمها القرآن والسنة ، وطورها العلماء من خلال الإجماع والقياس ، فالشريعة هى دستور الله وأوامره التى أنزلها لهداية البشرية . وتغطى مبادىء الشريعة كل مجالات النشاط والسلوك الإنسانى :

كيف وماذا نأكل ، متى نغتسل ، ماذا نرتدى ، كيف ومتى نصلى ، نصوم .. هذه هى وقضايا أخرى مماثلة تعالج على نفس القاعدة وبمزيد من التدقيق والإهتمام بإعتبارها قضايا أكثر تحديداً وقانونية مثل الزواج ، الطلاق أو المعاملات التجارية ، أو الجريمة . وتحكم كل دائرة علاقات المرء بالله والمجتمع ، وفى غياب أى تنظيم هرمى إسلامى ، تصبح الشريعة بلا أى مقارنة مع آخر ، القانون الإسلامى المركزى (٣٤) .

قبيل توحيد النظام القضائى السعودى عام ١٩٢٧ ، كان هناك ثلاث نظم قضائية مستقلة :

الأول : وهو مستخدم فى الحجاز ، وله توجه عثمانى ، ويسوده المذهب الحنفى والشافعى .

والثانى : وهو المتبع فى منطقة نجد ، حيث يعاون القاضى

---

(٣٤) ريتشارد فولت ــ حكم القانون عند عرب الشرق الأوسط ــ مجلة العالم الإسلامى ــ ٤٨ ــ اكتوبر ١٩٥٨ ــ ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦ .

الحاكم لحل النزاعات التى تطرح أمامه أو يحولها إلى القاضى، وساد المذهب الحنبلى المتشدد فى تلك المنطقة (٣٥).

والنظام الثالث: هو القانون القبلى العشائرى، حيث يطرح الأطراف المتنازعة خلافاتهم أمام زعيم القبيلة، والذى يصدر قراره إستناداً إلى التقاليد والعادات (٣٦).

حاول ابن سعود فى البداية الحفاظ والإبقاء على القوانين العثمانية فى الحجاز، بينما إعتبر الإخوان هذه القوانين متناقضة مع الشريعة وطالبوا بإلغائها. وللرد على مطالبهم إستفتى ابن سعود العلماء، راجيا مزيد من التسامح، ومؤملا توجه أكثر علمانية. ومع ذلك أصدر العلماء فى ١١ فبراير ١٩٢٧ فتوى تؤيد موقف الإخوان جاء فيها «... بالنسبة للقوانين، لو أنها كانت قوانين عثمانية يعمل بها فى الحجاز، فينبغى إلغائها فورا ولا يبقى سوى الشريعة الخالصة التى يجب تطبيقها» (٣٧).

لم تحول فتوى العلماء ولا مطالبة الإخوان دون إستمرار ابن سعود فى تنفيذه لقراره؛ بالمحافظة على القوانين العثمانية العلمانية. ففى الواقع، لم يكن ابن سعود ليسمح للعلماء بالسيطرة على أهدافه السياسية لإحداث التغيير فى مملكته. وهكذا، أصدر أمراً ملكيا

(٣٥) صبحى المحمصانى ـ الأوضاع التشريعية والقضائية فى البلاد العربية ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٥ ص ٤٤٣ ـ ٤٦٤.
(٣٦) نفس المرجع.
(٣٧) نص الفتوى موجود فى ـ حافظ وهبه ـ جزيرة العرب القاهرة: د. ن، د. ت ـ ص ٣١٩ ـ ٣٢١.

بالتصديق على القوانين الموجودة فى الحجاز، بعد مرور أربعة أشهر على إعلان الفتوى. وتضمن الأمر الملكى توجيها للأمير فيصل حاكم المنطقة بأن «الأحكام العثمانية القانونية ستبقى سارية المفعول، فنحن لن نستبدلها، ولن نصدر قوانين بدلاً منها.. ونحن نتقبل إقتراحاتكم المتعلقة بالحفاظ على هذه القوانين» (٣٨).

لم يقتصر النظام القانونى السعودى فى تلك الفترة على المذهب الحنبلى بالإضافة لإستبقاء القوانين العثمانية فى منطقة الحجاز. ففى بداية أغسطس ١٩٢٧، أمر ابن سعود قضاته فى الحجاز بأن «فيما يخص المذهب الفقهى الذى ينبغى أن تطبقه (المحكمة) هى غير مقيدة بمذهب معين، بل على المحكمة أن تقرر تبعاً لما يبدو لها قابل للإستخدام من أى مذهب، وليس هناك فرق بين مذهب وآخر» (٣٩). وتكررت نفس الفكرة بعد مضى عامين على توحيد البلاد، عندما ذكر ابن سعود أننا «لسنا مقيدين بمذهب فقهى واحد، واستبعاد الباقى، بل عندما لا يكون هناك دليلا قويا، نتبنى رأى الامام أحمد بن حنبل» (٤٠).

فى الفترة الأولى لإنشاء الدولة السعودية حافظ ابن سعود على القوانين العثمانية التى سادت منطقة الحجاز، وأكد على علمائه

---

(٣٨) مجموعة النظم فى قسم القضاء والشرعى ـ مكة ـ مجلة أم القرى، ١٩٣٨ ـ ص ٨.

(٣٩) أم القرى ٥ أغسطس ١٩٢٧.

(٤٠) أم القرى ٢٤ مارس ١٩٣٤.

بعدم الإقتصار على المذهب الحنبلى . وبقيامه بهذا ، أظهر ابن سعود رغبته فى التخلى عن التفسير الوهابى الجامد المتزمت للشريعة ، حتى يتكيف مع الظروف المتغيرة والحاجات الجديدة .

تعديل النظام القضائى وضياع سلطة العلماء :

أدى تزايد سلطات الدولة وتعقد هياكلها الإدارية إلى التأثير على كل مجالات النشاط الحكومى ، بما فيها العمل القضائى ــ ورغم بساطة النظام القضائى للبلاد ، وافتقاره للتطور ، ورغم سيطرة العلماء على كافة الأعمال القضائية ، أصبح النظام القضائى أكثر تعقيداً مع حلول الخمسينات ، وإقتصر دور العلماء على تفسير الجوانب المدنية والجنائية للقانون الشرعى (الشريعة) .

تحقق تدريجياً تحول النظام القانونى ، وإنتقاله من البساطة إلى التعقيد ، مما أدى إلى فقدان العلماء لمكانتهم التقليدية فى النظام القانونى ولقد بدأ الإندفاع فى نهر هذا التغيير عام ١٩٢٧ ، عندما أصدر ابن سعود مرسوما ملكيا يحث المواطنين على رفع شكواهم له شخصيا «أى مواطن له مظلمة ضد أى شخص آخر ، أيا كان ، ويخفيها عندئذ يذنب فى حق نفسه » (٤١) . وذكر المرسوم أنه يمكن رفع المظلمة إلى الحاكم من خلال «صندوق الشكاوى » الموضوع على باب مقر الحكم فى مكة ، الرياض وأن مفاتيح الصناديق يحتفظ بهما الملك بنفسه » (٤٢) .

(٤١) أم القرى ، ٧ يونيو ١٩٢٦ .
(٤٢) نفس المرجع .

كان نظام صناديق الشكاوى فعالا عام ١٩٢٧ ، لكن فى عام ١٩٣٢ أصبح من الضرورى إجراء تغيير. وصدر أمراً ملكياً فى نفس العام ذكر أن هناك أربع طرق يمكن للمواطنين من خلالها تقديم مظالمهم أو شكواهم ضد الأفراد أو الهيئات الحكومية (٤٣) .

عندما صدر الأمر الملكى بتصنيف نظام المحاكم إلى ثلاث مستويات حدث بعدها بعام تنظيم هيكل النظام القضائى .. ووفقاً للمرسوم الملكى كانت المحاكم كما يلى : المحاكم المستعجلة ، المحاكم الشرعية لجنة الإشراف القضائى (٤٤) . واقتصر وجود هذه المحاكم على مكة ، جدة ، المدنية . وإستمرت الشئون القضائية فى نجد تدار من خلال قاضى واحد يتعامل مع كل القضايا .

وتغطى سلطات المحاكم المستعجلة القضايا المتعلقة بالعقوبات التقديرية ، سوء التصرف ، والعقوبات القانونية . وتغطى المحاكم الشرعية كل القضايا التى لم يتضمنها سلطة المحاكم المستعجلة . وتتكون لجنة الإشراف القضائى من رئيس ، نائب رئيس ، ثلاث أعضاء ، جميعهم يختارهم الملك من بين العلماء . بالإضافة إلى الإشراف والتفتيش على المحاكم ، كان لهذه اللجنة وظيفة المراجعة القضائية من خلال سلطة التصديق أو نقض أحكام المحاكم

(٤٣) النظام المذكور كما يلى : أولاً : يمكن للمواطن ارسال مظلمته للمحكمة الملكية ، ثانياً : يمكنه الاتصال مباشرة بالمحكمة الملكية ، ثالثا : يمكن لصاحب الشكوى طلب مقابلة الملك ــ شفاهة من ممثل الملك .
رابعاً : يمكن للشاكى حضور مجلس الملك وتقديم شكواه له .

(٤٤) مجموعة النظم ص ٩ ــ ١٢ .

الشرعية. ولها أيضاً سلطة تقديم آراء قانونية تتعلق بالقضايا التى لا تندرج ضمن سلطات المحاكم الشرعية [٤٥].

يمكن إعتبار هذا التقيم المبكر وحدود السلطات القانونية فى المملكة السعودية هو الإطار التنظيمى العام للنظام القضائى الراهن. فبرغم التعديلات على المرسوم الملكى الأول بإنشاء النظام القضائى، بقيت مميزاته كما هى. على سبيل المثال، أوصى ابن سعود علمائه بعدم التقيد بالتفسير الحنبلى للشريعة، نجد أنه بعد إكتمال توحيد مملكته واستقرار دعائم العرش السعودى، قد أوصى علمائه بضرورة استناد القرارات القضائية على المذاهب الحنبلية «بسبب سهولة تناول كتبها والتزام مؤلفيها بالإستشهاد بالدليل الفقهى المؤيد لآرائهم». وفى نفس الوقت أبلغ ابن سعود علمائه بالإعتماد على المذاهب السلفية الأخرى، فقط فى تلك الحالات التى يؤدى تطبيق المذهب الحنبلى عليها إلى وضع قيود على المصالح العامة أو بسبب تضاربه مع المصالح المرسلة للمسلمين. والابتداع للصالح العام، كان هاماً وعامل فائق الخطورة لأنه يتيح مجالاً واسعاً للحاكم وهيئة القضاة فى تفسير الشريعة [٤٦].

أعاد المرسوم الملكى تأكيد الالتزام القضائى بالمذهب الحنبلى وقرر أنه يجب على المحاكم تطبيق ما ورد فى النصوص والمؤلفات

---

(٤٥) سليمان السليم ــ التنظيم القضائى والتشريعى فى السعودية ــ رسالة دكتوراه ــ جامعة جونز هوبكنز ١٩٧٠- ص ٩٤.

(٤٦) نفس المرجع.

الحنبلية .. أما القضايا التى تتطلب حلولا فقهية ولم ترد فى الكتب الحنبلية ينبغى إحالتها إلى المحكمة الشرعية العليا أو لجنة الإشراف القضائى (٤٧). ولتنظيم تطبيق المذهب الحنبلى حدد العلماء ست مؤلفات حنبلية للإعتماد عليها (٤٨).

صدرت نظم تفصيلية تحكم العمل القضائى عام ١٩٣٨ وأثرت هذه فى تصنيف وتقسيم القضاة. وفى عام ١٩٥٢ صدر مرسوم ملكى يشرح ويفصل تصنيف القضاة، وضاعف فى تعقيد نظام المحاكم. اكتمل اعادة تنظيم الهيكل القضائى عام ١٩٦٢ عندما أعلن الملك فيصل برنامجه الإصلاحى ذى النقاط العشر الذى اشتمل مع قضايا أخرى، إنشاء وزارة العدل. وطبق هذا البرنامج عام ١٩٧٠، عندما توفى المفتى الأكبر. وصدر مرسوم ملكى بإنشاء وزارة العدل والمجلس الأعلى للقضاء (٤٩). وهكذا، استبدل المفتى الأكبر بوزير العدل.

إنهيار دور العلماء فى القضاء:

برهن إكتشاف البترول، وما تلاه من إتساع الخدمات

---

(٤٧) نفس المرجع ص ٣٢.

(٤٨) النص كما يلى: موسى الحجاوى ـ الإغناء، منصور الحنبلى البوهوتى ـ كشف القناع من متن الإغناء الفتوحى ـ منتهى الإدارات، منصور البوهوتى شرح منتهى الإرادات، شمس الدين قدامه ـ المغنى عبد الرحمن بن قدامه ـ الشرح الكبير.

(٤٩) أنظر ـ سعدون الجاسر ـ الشريعة فى المملكة العربية السعودية ـ الرياض: معهد الدعوة الإسلامية ١٩٧٣.

الحكومية والقضائية على عجز المحاكم الشرعية عن إحتواء قضاياه وتحمله. فلقد تعامل إبن سعود بنفسه مع عدة قضايا تخص التعامل مع الأجانب، لكنه مع حلول الثلاثينات أصبح عاجزاً عن التعامل مع كل المواقف. فالمحاكم الشرعية قادرة على التعامل مع القضايا المدنية والجنائية، لكنها أصبحت بلا حول ولا قوة فى مواجهة العديد من الصراعات الناتجة عن تطور الاقتصاد النفطى. وهكذا، فوض إبن سعود السلطة القضائية لـ اللجان، الهيئات، المجالس، والمحاكم، لكن هذه فى الأصل ذات طبيعة ملائمة لغرضها ومتميزة عن النظام القضائى. ففى الأعوام الأخيرة إكتسبت معظم هذه الهياكل وضعاً دائماً يشكل جانباً من النظام القضائى. وبعضها مثل هيئة المظالم، لجنة فض النزاعات التجارية، اللجنة العامة لقضايا الغش، كلها أدمج فيما يعد فى النظام القضائى. ومعظم المسئولين عن هذه الهيئات علمانى التعليم، لديهم خلفية مشوشة عن قضية الشريعة. وسادت نشاطاتهم النظام القضائى، وأحلوا محل الدور القضائى للعلماء.

فعلى سبيل المثال، أنشئت هيئة المظالم عام ١٩٥٥ وبمقتضى المرسوم الملكى يتمتع الملك بسلطة تدبير سياساتها، حيث يعين رئيسها ونائبه، وتخضع قراراتها لتصديق الملك. وفى حالة النزاع بين أى وزير ورئيس الهيئة ترفع القضية للملك. وعندما لا يكون هناك مبدأ أو قاعدة لتسوية قضية ما، فالملك هو الذى يقوم بتسويتها. ويرفع رئيس هيئة المظالم تقرير نصف سنوى إلى جلالة الملك عن نشاطات الهيئة.

تتضمن سلطات الهيئة نظر المظالم التى يرفعها المواطنون ضد هيئات وإدارات الدولة. وأيضاً من سلطتها متابعة تحرياتها عن المسئولين الحكوميين، والتحكيم فى النزاعات المتعلقة بالمرتبات والأجور، والتعاقد، المعاشات، قرارات مجالس التأديب الحكومية، وتتلقى الهيئة طلبات تنفيذ أحكام القضاء الأجنبى، ولها ممثلين فى المحاكم واللجان. المتعلقة بجرائم الرشوة، الإنضباط العسكرى، إنتهاك سياسة جامعة الدول العربية المتعلقة بمقاطعة إسرائيل.

قد تعتبر هيئة المظالم أهم هيئة فرعية لها وظيفة قضائية. وترجع أهميتها لسلطاتها الواسعة، وهويتها الثابتة المستقرة. ومجلس الهيئة غير محدد التخصص، لكن له طابع قضائى، والمكانة المركزية التى يحتلها فى النظام القضائى محصلة للتوسع فى سلطات الدولة ونشاطاتها، وقصور وعجز المحاكم الشرعية عن التعامل مع كل القضايا فى مجتمع بمثل هذا التعقيد. ويقتصر تمثيل العلماء على وجود مستشارين إثنين فى الشريعة بالمجلس.

بإختصار، فرض إكتشاف البترول فى الثلاثينات وما تلاه من التوسع فى الأنشطة الحكومية، ضرورة تنظيم هذه الأنشطة من خلال قواعد ونظم عمل رسمية. وإنشاء هيئات لتسوية النزاعات حول تفسير وتطبيق هذه القواعد وتلك النظم. ولقد أدى نشر القوانين وإنشاء إدارة حديثة ومؤسسات قضائية؛ إلى تجريد العلماء من دورهم بإعتبارهم كانوا حراس ومفسرى كل ما هو سماوى، وكل ما هو إسلامى، ومفسرى الشريعة وحدهم. بدلاً من التمتع

باحتكار سلطة تفسير الشريعة ، أصبح العلماء الآن يشاركون أولئك علمانى التعليم فى أداء هذا الدور.

وجد العلماء أنفسهم عاجزين عن ممارسة دورهم القضائى نتيجة لفقدان مكانتهم التقليدية وإدخال قوانين لا تستمد من الشريعة الإسلامية . وأفضل وصف لموقف العلماء قدمه رئيس القضاة بنفسه عام ١٩٦٧ ، عندما خاطب أعضاء الهيئة القضائية للمحاكم الشرعية :

«علمنا أن بعض القضاة إعتادوا إعادة قضايا معينة لمكتب العمل أو المكاتب الأخرى بحجة أنها تندرج تحت إختصاص تلك الهيئات . ومن المعترف به أن الشريعة جاهزة لحل كل النزاعات ، وتصفية كافة الدعاوى القضائية ، والفصل فى كل قضية . وإحالة هذه القضايا إلى تلك السلطات يعكس إعترافاً بالقوانين البشرية والنظم المعارضة للشريعة . وذلك يظهر المحاكم وكأنها عاجزة .... ينبغى عليكم نظر كافة القضايا التى تتلقونها وإصدار قراراتكم وفقاً للشريعة الإلهية ... وعندما تواجهكم مصاعب فى أداء ذلك ، إكتبوا لنا عنها (٥٠) .

---

(٥٠) مقتبسة عن عبد الكريم الحقيل ــ لجوء المواطن للدوائر الشرعية ــ بيروت : دار المعارف ، ١٩٦٧ ، ص ١٨٩ ــ ١٩٠ .

خاتمـــــة :

بدأ تطور الإقتصاد النفطى فى السعودية فى نفس فترة تزايد أنشطة الحكومة التى فرضها إتساع سلطات الدولة ونفوذها على المجالات التى تسيطر عليها المؤسسات الدينية رسمياً. وأدى ذلك لخلق هيكل حكومى إدارى معقد لتطبيق هذه السياسات. وفى المقابل، أدى إتساع سلطاته وما إرتبط به من تزايد الإختلاف بين المجال السياسى والدينى إلى تحول العلماء إلى الوقوف فى صفوف بيروقراطى الدولة. فى الواقع، يعتمد علماء الدين فى السعودية المعاصرة على الدولة لضمان بقائهم. حيث أصبح العلماء موظفى دولة يتقاضون رواتبهم، وتقرر السلطة السياسية عملهم. والملك هو الذى يعين قادة العلماء، وتنظم قوانين الدولة نشاطاتهم.

فى أعقاب إدخال قوانين علمانية لتنظيم أنشطة الدولة، أصبح دور العلماء قاصراً على تفسير الجوانب المدنية والجنائية من الشريعة، بينما يصوغ أفراد علمانّى التعليم الجوانب التجارية، العمل، القوانين

« الفصــل الخامس »

إتجاهات وتحولات النخبة السياسية

تمدنا دراسة تكوين وتوجهات النخبة السياسية السعودية بأساس لفهم مدى التغيير الذى لحق بدور ومكانة علماء الدين فى النظام السياسى ونقصد بالنخبة السياسية « أولئك الأفراد ذوى السلطات الواسعة .. الذين يوجهون ويسيطرون على النظام السياسى ، والذين يضعون غاياتهم القصوى فى الفاعلية والنشاط السياسى ... » (١) حتى الخمسينات ، كانت النخبة السياسية السعودية تتكون من العائلة المالكة ، زعماء القبائل ، والعلماء . ولقد أثر إتساع مجال الخدمات الحكومية ، وتعقيد البناء المؤسس الحكومى فى العقود الأخيرة على تكوين وتوجهات النخبة السياسية فى السعودية ، وتمثلت العوامل المؤثرة على تحولات النخبة السياسية فى :

---

(١) جيمس بل ـ أنماط النخب السياسية فى إيران ـ جزء من كتاب النخب السياسية فى الشرق الأوسط ـ جورج لينسوفسكى « محرر » واشنطن : المعهد الأمريكى ، ١٩٧٥ ص ١٧ .

أولاً: رغم استمرار العائلة المالكة فى الحفاظ على وضعها ومكانتها كقوة مسيطرة إلا أنه قد تلاشى النموذج التقليدى للخلفيات التعليمية لأبناء العائلة المالكة لتتلاءم وتتكيف مع الحاجات الجديدة.

ثانياً: توطين البدوى وتبنى الوهابية كأيديولوچية للدولة.

ثالثاً: نتيجة لإتساع سلطات وتعقيد المؤسسات الحكومية، فقد العلماء كثير من سلطاتهم التقليدية، وأدمج كثير منها فى المؤسسات الوليدة.

رابعاً: إنشاء مؤسسات حديثة؛ إستلزم إستقطاب وتوظيف مدراء علمانى التعليم، لا تحمل خلفياتهم التعليمية ومهاراتهم سوى شبه ضئيل للتكوين العلمى والخبرات العلمية لعلماء الدين.

إكتسب تولى السعوديون ذوى التعليم العلمانى المواقع والمناصب العليا فى جهاز الخدمة المدنية أهمية فائقة. بينما كان التعليم السعودى فى الماضى دينياً لحد بعيد، ويسيطر عليه علماء الدين، مع بداية الخمسينات تزايد عدد المدارس العلمانية وبدأ خريجيها تولى المناصب الحكومية الرئيسية. كانت أول جامعة تفتتح عام ١٩٤٩ هى كلية الشريعة الإسلامية والقانون فى مكة. وتضمن منهجها الموضوعات التقليدية (القرآن، الحديث، اللغة العربية، التاريخ العربى، الأدب العربى) وبعدها تم إفتتاح كلية اللغة العربية فى الرياض عام ١٩٥٣، وبدأت عام ١٩٥٤ فى تدريب القضاة والمدرسين. وتم إدخال التعليم العالى العلمانى فقط عام

١٩٥٧ بإفتتاح جامعة الملك سعود فى الرياض. وفى الأعوام التالية إفتتحت كليات، البترول والمعادن، جامعة الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (٢).

إنعكس تزايد أعداد المدراء ذوى التعليم العلمانى فى زيادة أعداد المناصب الوزارية التى تقلدوها. ففى حقبة الخمسينات تقلد أبناء العائلة المالكة المناصب الوزارية الكبرى. فمن عدد الحقائب الوزارية التسعة كان وزير واحد فقط من غير أبناء العائلة المالكة؛ وهو وزير التجارة. وفى الفترة بين ١٩٥٤ــ ١٩٥٨ كان وزير التجارة علمانى التعليم ومن عائلة بارزة فى جدة، وستة من الأمراء؛ والإثنين الباقين، وزير الصحة، والمالية، كانا مستشارين سابقين للملك، فوزير الصحة د. رشاد فرعون السورى المولد، كان الطبيب الخاص للملك إبن سعود حتى وفاته عام ١٩٥٣، ووزير المالية محمد سرور الصبان كان أمين خزانة الملك إبن سعود ومن أبرز ثقاته الشخصيين (٤). ويعكس سيطرة الأمراء والشخصيات المقربة من الملك على المناصب الوزارية فى الخمسينات الطابع العشائرى والقبلى للنظام، حيث كان يتم

---

(٢) المعلومات عن عدد خريجى الجامعات الدينية والعلمانية السعودية فى الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٧٠، انظر، ويليام رف ــ ظهور طبقة وسطى جديدة فى السعودية ــ مجلة الشرق الأوسط ــ ٢٧ ــ رقم ١، شتاء ١٩٧٣.

(٣) نفس المرجع ص ١٢.

(٤) نفس المرجع.

إختيار الوراء والمدراء على أساس إقترابهم من الملك ، وليس تبعاً لقدراتهم وإنجازاتهم .

مع حلول الستينات ؛ تزايد عدد الشخصيات علمانية التعليم من غير العائلة المالكة ، والذين يشغلون مناصب وزارية . ففى عام ١٩٦٠ عين الملك سعود خمس وزراء من خارج آل سعود ؛ كان إثنان من الأمراء دائماً يشغلون بعضها . وأربع من هؤلاء الوزراء الجدد تخرجوا من جامعة القاهرة ، وكانوا فى بداية العقد الرابع من عمرهم ، والخامس كان عمره ٣٥عاماً ، وخريج جامعة تكساس ؛ وتولى وزارة البترول والثروة المعدنية . ولكى يشغلوا مناصبهم ؛ غلف أربعة منهم أصولهم العائلية ودعموها بتكأة جديدة من التعليم العلمانى الحديث . والخامس عبد الله التريكى وزير البترول كان من نجد ، وتولى من قبل إدارة قسم البترول فى وزارة المالية (٥) .

حتى عام ١٩٧٥ ، شغل أعضاء العائلة المالكة خمس مقاعد وزارية من إجمالى ١٤وزارة . هذه الوزارات هى : الداخلية ، الدفاع ، الحرس الوطنى ، المالية ، الخارجية ــ وهى الهيئات السيادية فى الحكومة السعودية ، وبهذه السيطرة ، حافظ الأمراء على إحكام قبضتهم على النظام السياسى . وبعد ١٩٧٥ ، إستمر فى

---

(٥) للإطلاع على مقال رائع عن الخلفية التعليمية والمهنية والعقلية [التركى ، أنظر ، ستيفن دوجيد ــ مدخل شخص لدراسة التغير الإجتماعى فى الشرق الأوسط : عبد الله التريكى نموذج الإنسان السعودى الجديد ــ المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ، مجلد ١ ، رقم ٣ ، ١٩٧٠ .

وزارة الملك خالد أربع أمراء يشغلون هذه المناصب الوزارية ، بينما شغل وزارة المالية «أبا الخيل» النجدى الأصل وعلمانى التعليم. علاوة على ذلك ، أنشئت وزارات للشئون البلدية والريفية ، والأشغال العامة ، الإسكان ، وتولى مسئوليتها وزراء من العائلة المالكة.

واصلت العائلة المالكة دورها فى السيطرة على المناصب الحكومية الرئيسية ، ففى الأعوام الأخيرة ، بدأ أعضاء العائلة فى تولى مناصب أدنى ، تتطلب تعليم علمانى ، وهكذا يؤكدون الطابع العشائرى للنظام وإستمرار الرابطة القبلية.

العائلة المالكة:

ظل الحجم الحقيقى للعائلة المالكة سراً لا يعلمه أحد ؛ ويقدرها البعض بحوالى ٣ آلاف أو ٥ آلاف أمير من الرجال ؛ بينما يفترض آخرون وجود مئات من الأقارب ـ الأبناء ـ الاخوة ، الأعمام ، أولاد الاخوة ؛ أولاد العم ؛ وزوجاتهم وأبنائهم. وكلهم من ذرية الملوك السعوديين (٦). وما هو معروف على وجه اليقين النسبى ؛ هو الحجم الكبير للعائلة المالكة ، الذى يمكن إرجاعه إلى تعدد زوجات الملك عبد العزيز ابن سعود ـ أحد وسائله لتثبيت ودعم

(٦) أنظر ، نورمان والبول وآخرين ـ السعودية ـ واشنطن المطبوعات الحكومية ، ١٩٦٥ ص ١٥٧.
لوصف تسلسل الأنساب لعائلة آل سعود ، أنظر ، فؤاد الفارسى ـ السعودية : دراسة حالة للتطور ـ لندن ستاكى ، ١٩٧٨ ، ص ٦٣ ـ ٦٦.

حكمه من خلال إبرام تحالفات مع القبائل البارزة. وكما لاحظ ديفيد هوارث كان لدى إبن سعود «أكثر من ثلاثمائة زوجة، ومعظم هذه الزيجات كان دافعها الإعتبارات السياسية» (٧). فعلى سبيل المثال، بعد هزيمة ابن الرشيد «أخذ ابن سعود كل أفراد أسرة الرشيد الباقين على قيد الحياة ضيوفاً عليه فى الرياض، حيث عاشوا حياتهم على نفقته وبحرية معقولة، دأخل بلاطه الملكى المزدحم... وتزوج الأرملة الأولى لمنافسه المقتول إبن الرشيد وإعتبر أطفاله الأيتام كأولاده» (٨)، وتزوج ابن سعود من كل القبائل البارزة، واحدة إثر أخرى. وكما هو واضح فى الجدول، كان له زوجات من قبائل: السديرى، المطيرى، عنزه، الدوسرى، على سبيل المثال (٩).

لتقدير أهمية الزواج كوسيلة لإبرام التحالف؛ ينبغى تحديد دور النسب والقرابة كمحدد للمكانة الإجتماعية والدور القيادى فى السعودية. والذى يشكل الوحدة الإجتماعية الأساسية الأسرة وليس الفرد، والرجل هو المسئول عن مصالح أسرته، ويتصرف طبقاً لمكانة أسرته، لحد بعيد (١٠). ورغم أن الطابع العشائرى

---

(٧) ديفيد هوارس ــ ملك الصحراء ــ بيروت، ص ١١٠.

(٨) أرمسترونج ــ ملك الجزيرة ــ لندن، أرثر باركر، ١٩٧٤ ــ ص ١٧٥.

(٩) جمعت المعلومات عن العائلة المالكة خلال مقابلات شخصية إبان فترة إعداد البحث عامى ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠.

(١٠) روجر ديفيز ــ مفهوم القرابة والنسب السورى العربى ــ جريدة انتربولوجى غرب آسيا ــ ٥ ــ خريف ١٩٤٩ ــ ص ٢٤٩.

جدول (٢)
العائلة المالكة ـ الأنساب القبلية

الأسماء	الأنساب
تركي ، سعود	أبنا واضحة إبنة محمد العرير، شيخ قبيلة بني خالد
فيصل	إبن طرفة إبنة الشيخ عبد الله آل الشيخ
محمد ، خالد	أبنا مقصورة إبنة مساعد بن جلوي آل سعود
فهد ، سلطان ، عبد الرحمن	
تركي ، نايف ، سلمان ، أحمد	يعرفوا بـ « السديرية السبعة » ويشكلون أكثر الأفرع تأثيراً داخل العائلة المالكة ، أبناء حصة إبنة أحمد السيديري .
منصور ، مشاعل ، متاعب	لا معلومات
سعد الثاني ، مساعد ، عبد المحسن	أبناء جوهرة إبنة سعد السديري
عبد الله	ابن فهدة إبنة عاصي بن شريم شيخ قبيلة شمر .
بندر ، فواز	لا معلومات
طلال ، تواق	إبنا هيا إبنة سعد السديري (شقيقة جوهرة) .
تامر ، ممدوح ، مشهور	أبناء نوف حفيدة نوري الشعلان شيخ قبيلة الرولة .

جدول (٣)
أبناء الملك عبد العزيز بن سعود

١ ــ تركى (١٩٠٠ ــ ١٩١٩) .

تلقى تعليماً ملكياً فى الدين ، السياسة الفروسية . لم يتولى أى مناصب .

٢ ــ سعود (١٩٠٢ ــ ١٩٦٩) توفى فى المنفى تلقى تعليماً ملكياً ، تولى مناصب : حاكم نجد ولى العهد ، ثم جلس على عرش المملكة .

٣ ــ فيصل (١٩٠٦ ــ ١٩٧٥ ، إغتاله إبن أخيه) .

تولى مناصب حاكم الحجاز، وزير الخارجية ولى العهد ، رئيس مجلس الوزراء ، رئيس مجلس الشورع ؛ رئيس الهيئة العليا للتخطيط ، وصار ملكاً بعد خلع سعود (١٩٦٤ ــ ١٩٧٥) .

٤ ــ الأمير محمد (١٩١٢) .

تلقى تعليماً ملكياً ؛ وأسند إليه منصب حاكم المدينة ولم يباشر مهام منصبه ؛ وكانت تحكم لحسابه .

٥ ــ الملك خالد (١٩١٣ ــ ١٩٨٢) .

تلقى تعليماً ملكياً ، تولى مناصب : نائب أول رئيس الوزراء ، ولى العهد ، صار ملكاً عام ١٩٧٥ حتى ١٩٨٢ ، فضلاً عن منصب رئيس الوزراء .

٦ـ ناصر (١٩١٩) تلقى تعليماً ملكياً، تولى منصب حاكم الرياض لفترة.

٧ـ سعد (١٩١٩) تلقى تعليماً ملكياً، لا توجد معلومات عن مناصبه.

٨ـ فهد (١٩٢٠) تلقى تعليما ملكياً، تولى مناصب: وزير التعليم، رئيس مجلس إدارة اللجنة الإدارية لمجلس الوزراء، رئيس الوفد السعودى فى الجامعة العربية، النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء؛ النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية؛ ولى العهد، صار ملكاً (١٩٨٢ـ)

٩ـ منصور (١٩٢٠ ـ ١٩٥٠ ـ توفى فى باريس)
تلقى تعليماً ملكياً؛ تولى مناصب رئيس الخزانة الملكية؛ وزير الدفاع.

١٠ـ الأمير عبد الله (١٩٢١ـ)
تلقى تعليماً ملكياً، تولى قيادة الحرس الوطنى ونائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء وهو ولى العهد الملكى الحالى.

١١ـ بندر (١٩٢٢ـ)
تلقى تعليماً ملكياً، تولى منصب المراقب العام لوزارة الداخلية. ومن كبار رجال الأعمال.

١٢ـ سلطان (١٩٢٢ـ)
تلقى تعليماً ملكياً؛ أصبح عضواً بالمجلس الأعلى للتعليم وإنضم

لمجلس الوزراء، رئيساً للحرس الملكى، وزيراً للزراعة، وهو الآن وزير الدفاع والطيران.

١٣ ــ مشاعل (١٩٢٥ ــ)

تلقى تعليماً ملكياً؛ خلف أخيه منصور وزيراً للدفاع ثم وزيراً للزراعة، حاكما لمدينة مكة ثم تقاعد عن العمل الحكومى.

١٤ ــ مساعد (١٩٢٦ ــ)

تلقى تعليماً ملكياً، لم يتولى أية مناصب رسمية. رجل أعمال بارز.

١٥ ــ عبد المحسن (١٩٢٧ ــ)

تلقى تعليماً ملكياً، تولى منصب وزير الداخلية؛ إستقال تأييداً للأمراء الأحرار، تولى منصب حاكم المدينة.

١٦ ــ مشارى (١٩٣٠ ــ)

تلقى تعليماً ملكياً، لم يتولى أية مناصب رسمية رجل أعمال بارز.

١٧ ــ متاعب (١٩٣١ ــ)

تلقى تعليماً ملكياً ــ تولى منصب نائب وزير الدفاع ثم حاكم مكة ــ رجل أعمال بارز.

١٨ ــ طلال (١٩٣١ ــ)

تلقى تعليماً ملكياً؛ تولى منصب وزير النقل سفير السعودية فى فرنسا ــ وزير المالية، قاد الأمراء الأحرار للمطالبة بتطبيق

الديمقراطية أصبح رجل أعمال بارز، يقوم بأنشطة إجتماعية وثقافية في مجال رعاية الطفولة.

١٩ــ عبد الرحمن (١٩٣١).

تلقى تعليماً ملكياً، دراسات عسكرية من جامعة كاليفورنيا، دبلوم اكاديمية عسكرية، بكالوريوس إقتصاد وإدارة أعمال من جامعة بركلى، نائب وزير الدفاع والطيران، ورجل أعمال بارز، صاحب ومدير المزارع النموذجية فى السعودية، يمتلك مؤسسة طباعة ونشر فى الدمام ومصانع أسمنت، وشركات كهرباء فى جده والرياض.

٢٠ــ تركى الثانى (١٩٣٢ــ)

تلقى تعليماً ملكياً، نائب وزير الدفاع.

٢١ــ بدر (١٩٣٢ــ)

تلقى تعليماً ملكياً، نائب قائد الحرس الوطنى.

٢٢ــ نواف (١٩٣٣ــ).

تلقى تعليمه فى الولايات المتحدة دون الحصول على شهادة علمية.

تولى منصب رئيس الخزانة الملكية خلف الأمير طلال وزيرا للمالية وأصبح مستشاراً للملك فيصل.

٢٣ــ نايف (١٩٣٣ــ)

تلقى تعليماً ملكياً، تولى منصب حاكم الرياض ثم المدينة، نائب وزير الداخلية، وزير الداخلية.

٢٤ ــ فواز (١٩٣٤) .

تلقى تعليماً ملكياً ، تولى منصب حاكم الرياض نائب حاكم مكة ، حاكم مكة .

٢٥ ــ ماجد (١٩٣٦ ــ) .

تلقى تعليماً ملكياً ؛ تولى منصب وزير الشئون البلدية والريفية .

٢٦ ــ سلمان (١٩٣٦) .

تلقى تعليماً ملكياً ، تولى منصب حاكم الرياض .

٢٧ ــ عبد الإله (١٩٣٨ ــ)

٢٨ ــ أحمد (١٩٣٩ ــ) .

تلقى تعليماً ملكياً ، تولى منصب نائب حاكم مكة ، نائب وزير الداخلية .

٢٩ ــ سطام (١٩٤٠ ــ)

تلقى تعليماً ملكياً ــ نائب حاكم الرياض .

٣٠ ــ سامر (١٩٤٠ ــ)

إنتحر فى الولايات المتحدة الأمريكية

٣١ ــ ممدوح (١٩٤١ ــ)

حاكم تبوك ، رئيس مركز الدراسات السياسية فى جدة ؛ إنضم أثناء حرب الخليج إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ وكان من قبل على علاقة وثيقة بالعناصر الماركسية فى صحيفة عكاظ .

٣٢ ــ مشهور (١٩٤١ ــ)
رجل أعمال بارز.
٣٣ ــ مسلول (١٩٤١ ــ)
رجل أعمال بارز.
٣٤ ــ حمود (١٩٤٢ ــ)
رجل أعمال بارز.
٣٥ ــ عبد الماجد (١٩٤٢ ــ) .
رجل أعمال بارز.
٣٦ ــ مقرن (١٩٤٢ ــ) .
إلتحق بأكاديمية الطيران السعودى ، أكمل دراسته فى الولايات المتحدة ، قائد القوات الجوية .

جدول (٤)

إخوة الملك عبد العزيز

١ ــ فيصل بن عبدالرحمن (توفى ١٨٩٠) لم يتولى مناصب رسمية.

٢ ــ محمد بن عبدالرحمن (توفى فى الرياض ١٩٤٣) لم يتولى مناصب رسمية.

٣ ــ سعود بن عبدالرحمن (توفى ١٩٦٥) رجل أعمال بارز.

٤ ــ عبد الله بن عبد الرحمن. أكبر أفراد العائلة المالكة.

٥ ــ أحمد بن عبدالرحمن وزير مالية، رئيس اللجنة المالية. رئيس مجلس المدراء، مدير معهد الإدارة العامة، نائب رئيس المجلس الأعلى للتخطيط رئيس هيئة المظالم، وزير العدل.

٦ ــ سعد بن عبدالرحمن (قتل فى معركة ١٩١٥).

٧ ــ عبد المحسن بن عبدالرحمن.

الفرع السديرى فى عائلة آل سعود :

جـــدول (٥) :

١ ــ تركى بن أحمد بن محمد السديرى	حاكم جيـــزان .
٢ ــ مساعد بن أحمد بن محمد السديرى	حاكم تبـــوك .
٣ ــ عبد العزيز بن عبد الله بن ناصر السديرى	سكرتير حاكم تبوك .
٤ ــ خالد بن أحمد بن محمد السديرى	لا معلومات .
٥ ــ محمد بن أحمد بن محمد السديرى	لا معلومات .
٦ ــ بندر بن أحمد بن محمد السديرى	لا معلومات .
٧ ــ عبد الرحمن بن أحمد بن محمد السديرى	حاكم جوف ، سكاكا .
٨ ــ عبد الرحمن بن مساعد بن أحمد بن محمد السديرى	نائب رئيس مجلس المدينة .
٩ ــ سليمان بن أحمد بن محمد بن السديرى	لا معلومات .
١٠ ــ عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد السديرى	مفتش ، الجهة الشمالية الغربية ، حاكم قرية الملح .
١١ ــ نايف بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد السديرى	حاكم أملاج .
١٢ ــ مساعد بن خالد بن أحمد بن محمد السديرى	لا معلومات .

١٣ ـــ عبد الله بن سعد بن عبد المحسن السديرى لا معلومات .
١٤ ـــ ناصر بن سعد بن عبد المحسن السديرى حاكم الجـان .
١٥ ـــ أحمد بن عبد المحسن بن سعد السديرى حاكم العـلا .
١٦ ـــ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن
السديرى حاكم جـدة .
١٧ ـــ سعود بن عبد الرحمن بن تركى السديرى حاكم بلجرش .
١٨ ـــ أحمد بن تركى بن محمد السديرى لا معلومات .
١٩ ـــ ناصر بن عبد الله بن ناصر السديرى حاكم الوجـه .

جدول (٦)

أحفاد وأبناء أخوة ابن سعود

عبد الرحمن بن سعود ــ المدير العام ، وزارة المالية ــ بكالوريوس ــ الولايات المتحدة الأمريكية .

.... بندر بن فهد ــ مدير عام ــ وزارة التجارة ــ بكالوريوس ــ الولايات المتحدة الأمريكية .

خالد بن فهد ــ نائب وزير التعليم بكالوريوس ــ الولايات المتحدة الأمريكية

فيصل بن عبد العزيز ــ مدير عام المنح التعليمية والعلاقات الخارجية ــ وزارة التعليم ــ لا معلومات .

محمد عبد الله الفيصل ــ مدير عام ، وزارة التعليم بكالوريوس ــ الولايات المتحدة الأمريكية .

سعود الفيصل نائب وزير البترول والثروة المعدنية ، سكرتير عام المجلس الأعلى للبترول وزارة الخارجية ــ بكالوريوس ــ الولايات المتحدة الأمريكية .

فهد بن سلطان ــ مدير عام الانعاش الاجتماعي ــ وزارة العمل بكالوريوس ــ مصر

فيصل بن فهد ــ مدير رعاية الشباب، رئيس اللجنة الأوليمية السعودية ــ لا معلومات.

محمد الفيصل ــ رئيس جهاز إمداد المياه، نائب مدير وزارة المزراعة بكالوريوس ــ أمريكا.

خالد الفيصل ــ حاكم عسير بكالوريوس ــ بريطانيا.

سعد بن فهد بن عبد الرحمن ــ حاكم حائل ــ لا معلومات

فهد بن محمد بن عبد الرحمن ــ حاكم القصيم ــ لا معلومات.

عبد المحسن بن جلوى ــ حاكم المنطقة الشرقية ــ لا معلومات.

عبد الله بن سعد بن جلوى ــ حاكم المنطقة الشمالية ــ لا معلومات.

محمد بن جلوى ــ حاكم الاحساء ــ لا معلومات.

عبد العزيز آل ثنيان ــ كبير مدينة الرياض بكالوريوس ــ من أمريكا.

مساعد بن عبد الرحمن ــ وزير مالية، هيئة المظالم ــ لا معلومات.

خالد بن سلطان ــ ضابط جيش ــ أكاديمية عسكرية ــ السعودية ــ أمريكا

بدر بن عبد المحسن بن سعود ــ رئيس الجمعية السعودية للفنون بكالوريوس من أمريكا.

بندر بن خالد ــ لا مناصب رسمية ــ رجل أعمال بارز، مالك ورئيس مؤسسة بندر الدولية للإنشاء، تعاقد عام ١٩٧٥ على إنشاء ٣ آلاف وحدة سكنية فى جيزان ــ تعليم ملكى.

سعود بن عبدالمحسن ــ نائب حاكم مكة، مدير صحة، إسكان، منظمة التخطيط المركزى ــ مدير تنسيق وزارة الصحة ــ بكالوريوس إدارة أعمال أمريكا.

جدول (٧)

أولاد الملك فيصل

عبدالله الفيصل ـ تعليم ملكى ـ ساعد والده فى حكم الحجاز، وزير داخلية ، صحة ، رجل أعمال بارز.

محمد بن فيصل ـ بكالوريوس ، ولايات متحدة ـ نائب وزير البترول والمعادن ، سكرتير عام المجلس الأعلى للبترول ، وزير الخارجية .

سعد بن فيصل ـ بكالوريوس ، بريطانيا رجل أعمال بارز.

خالد بن فيصل ـ بكالوريوس ، بريطانيا مدير عام فى الشباب والرياضة ، حاكم عسير.

تركى بن فيصل ـ بكالوريوس ، بريطانيا ـ مستشار قانونى .

عبد الرحمن بن فيصل ـ الاكاديمية العسكرية البريطانية ـ ضابط جيش .

بندر بن فيصل ـ بكالوريوس ، أمريكا ، القوات الجوية الملكية ، بريطانيا ، ضابط قوات جوية .

جدول (٨)

الخلفيات التعليمية للقيادات السعودية (١٩٧٢)

الداخلية ــ آل سعود ــ آل سعود .

الدفاع ــ آل سعود ــ آل سعود .

المالية ــ آل سعود ــ بكالوريوس ــ القاهرة .

الحج والأوقاف ــ آل سعود ــ بكالوريوس ــ القاهرة .

الخارجية ــ تقليدى ــ بكالوريوس من الولايات المتحدة .

التعليم ــ تقليدى ــ بكالوريوس من الولايات المتحدة .

العدل ــ تقليدى ــ تقليدى .

التجارة ــ بكالوريوس ــ القاهرة ــ ماچستير الولايات المتحدة .

الصحة ــ بكالوريوس ــ القاهرة ــ دكتوراه طب أسنان ــ القاهرة .

العمل ــ بكالوريوس ــ القاهرة ــ ماچستير الولايات المتحدة .

المواصلات ــ تقليدى ــ بكالوريوس من الولايات المتحدة .

البترول ــ ماچستير الولايات المتحدة ــ بكالوريوس من الولايات المتحدة .

الزراعة ــ ماچستير الولايات المتحدة ــ ماچستير من الولايات المتحدة .

للمجتمع السعودى قد طُمِّس بشكل جذرى فى العقود الأخيرة كنتيجة لتطور الإقتصاد النفطى وتوطين البدو؛ بقيت الأسـرة، محور الولاء [١١]. وأياً كانت طبيعة تكوينها: جماعة عائلية، الأسرة، العشيرة، القبيلة، فصالح الفرد تتقرر وفقاً لمكانة ووضع الأسـرة.

تكمن الدلالة السياسية للروابط العائلية فى حالة السعودية فى كون تأييد ومساندة أفرادها لبعضهم البعض فى سعيهم للسلطة.

إحتل الأمير عبدالله، على سبيل المثال، مكانته فى هـرم السلطة السعودية بقرابته ونسبه لقبيلة شمر، أحد القبائل القوية فى البلاد، ويدين أفراد هذه القبيلة بالولاء للأمير عبدالله، والذى يعمل كوسيط، وقناة تواصل بينهم والعائلة المالكة، الملك، والبيروقراطية. ويرجع وضع الملك فهد وأشقائه الستة، المعروفين بـ «السديرية السبعة» والذين يعتبروا أقوى أعضاء الأسـرة المالكة؛ ليس فقط بسبب نسبهم لقبيلة السديرى من جهة الأم، بل بسبب كونهم أيضاً أخوة أشقاء يحتلون المناصب الرئيسية.

يلعب أعضاء العائلة المالكة دوراً حيوياً فى العملية السياسية السعودية. مع ذلك، ليس كل أعضاء العائلة منخرطين فى إدارة الدولة، وليس كلهم يتمتعون بنفس المكانة. حيث تتحدد مكانة

---

(١١) لدراسة الطابع المتغير لصلة المجتمع السعودى أنظر، موتوكوكاتاكورا ــ القرية البدوية: دراسة تحول الشعب السعودى ــ طوكيو، جامعة طوكيو، ١٩٧٧.

الفرد داخل العائلة ودوره فى الحكم طبقاً لـ :

١ ــ قرابة الفرد من أسرة الملك الحالى .

٢ ــ الجيل الذى ينتمى إليه الفرد .

منذ وفاة الملك إبن سعود عام ١٩٥٣ إنتقل عرش الملك اولا لإبنة سعود ، حتى عام ١٩٦٤ ، بعدها إنتقل من أخ لآخر. كان سعود هو الأخ الأكبر، ويليه فيصل . وكما هو واضح فى الجدول (٣) . كان ينبغى أن يلى الأمير فيصل ، الأمير محمد ، لكنه تنازل عن حقه فى العرش لصالح أخيه الأصغر خالد . ولقد أجبر محمد على التخلى عن حقه فى الحكم من جانب أعضاء العائلة الكبار، والعلماء بسبب سلوكه الشخصى ، الذى بدا مناقضاً للورع والتقوى والتشدد الوهابى ، وقد يوضح عدم تنصيبه ملكاً دور العلماء البارزين فى النظام السياسى العشائرى دور مبدأ المشاركة وفكرة الإنتقاء والإختيار بين أفراد العائلة ، ويظهر أيضاً الدور القوى لأعضاء العائلة البارزين فى إقرار إنتقال العرش .

كان هناك ثلاثة أخوة للملك إبن سعود الأحياء أنداد للأمير محمد ، وكما هو مشار إليه فى الجدول (٤) كان إثنان منهم قد ساعدوه فى توسيع حكمه وتثبيت دعائمه . وبسبب أعمارهم الطويلة ، وقرابتهم لإبن سعود ، شكل الأخوة الثلاثة جماعة محددة متميزة ، لرأيها قيمة كبيرة .

يتأثر وضع ومكانة دور الفرد داخل العائلة المالكة أيضاً بنسب وقرابة المجموعة للملك . وأحد أقوى هذه المجموعات تأثيراً مجموعة

«السديرية السبعة» بالإضافة لهم، كما هو موضح فى الجدول (٥)، هناك تسع أمراء آخرين من عشيرة السديرى يتولون الآن رئاسة هيئات حكومية هامة فى المملكة، وأحدهم يشغل منصب نائب رئيس مجلس إدارة المدينة.

الفرع الثانى من أقارب العائلة المالكة هو مجموعة «جلوى» وتتكون من أحفاد شقيق جد إبن سعود. وأعضاء هذه المجموعة «عبدالله بن جلوى» أحد الرجال الأربعين الذين إستعادوا مدينة الرياض مع ابن سعود عام ١٩٠٢، وعين لذلك حاكماً للمنطقة الشرقية الغنية بالبترول، بعد وفاته عام ١٩٤١، خلفه إبنه سعود بن عبدالله فى منصبه، وبعد وفاة سعود تولى إبنه الثانى عبدالمحسن المنصب بالإضافة لسيطرتهم على المنطقة الشرقية، يحتل آل جلوى مناصب حكم المناطق الهامشية. ويستمدون أهميتهم من حقيقة أن والدة الملك فيصل من عشيرة آل جلوى.

الفرع الثالث من أقارب العائلة المالكة، هو آل ثنيان، أحفاد ثنيان الأخ الأكبر لمؤسس المملكة السعودية، محمد بن سعود. لهذا الفرع حاكم سعودى واحد، عبدالله آل ثنيان (١٨٤١ــ ١٨٤٣)، إنتقل أحفاده إلى إستانبول بعد إنهيار الدولة السعودية الثانية. ورغم ضآلة عددهم بالمقارنة مع باقى الأفرع، إلا أنهم يستمدون أهميتهم من حقيقة أن زوجة الملك فيصل الملكة عفت منهم، وأن أولادها يحتلون مناصب رئيسية فى إدارة الدولة [١٢].

---

(١٢) جمعت المعلومات عن الملك فيصل وابناءه أثناء البحث من موسوعة «من هو=

تترابط وتتشابك علاقات العائلة مع الأفرع القريبة أحفاد ابن سعود سواء كانوا من آل السديرى، جلوى، ثنيان، ولا تحمل زوجاتهم نفس المزايا أو المكانة مثل زوجات الآباء أو الأمراء الكبار. وهم جميعاً، مع ذلك، يمثلون مجموعة متميزة من أعضاء العائلة المالكة تختلف خلفياتهم التعليمية والمهنية، وأنماطهم، ورؤيتهم الإجتماعية عن باقى الأمراء الكبار. ويعكس هذا الإختلاف إلى أى مدى تغيرت السياسة ونظام الحكم فى العقود الثلاثة الماضية.

معيار التغيير. العائلة المالكة:

إستطاعت العائلة الملكية بحجمها الكبير أن تلعب دور الحزب الحاكم الوحيد الموجود فى عديد من الدول العربية. وبروابطها العائلية وبالمصاهرة والمصالح المشتركة، التى لعبت دور الرابطة الأيديولوچية والتنظيمية بين أبناء العائلة. كما أوضح الجدول (٢) اندماج أعضاء العائلة مع القبائل البارزة فى البلاد من خلال المصاهرة بالزواج. ويشير الجدول (٣)، (٥) إلى المناصب الحكومية التى يشغلونها وهى الوسائل التى إستطاع بها آل سعود دمج المناطق النائية من البلاد فى الإدارة الحكومية المركزية، والسيطرة على المجتمع.

أيضاً ساعد تقبل وإستعداد العائلة المالكة للتكيف مع

= فى السعودية؟» هو إذ هو ــ لندن مطبوعات أوروبا، ١٩٧٨ ــ ومجلة أرامكو الدولية ــ ٣ــ رقم ٣ــ مايو، يونيو ١٩٧٩.

الحاجات الجديدة ومحاولة إشباعها ، على تأكيد استمرار قدرتها فى الحفاظ على سيطرتها على المجتمع . كما يشير الجدول (٣) ، نجد أن ٣٢ من أبناء ابن سعود الـ٣٦ ؛ يحتلون مناصب لها أهمية مباشرة عن أمن وسيادة الدولة . بإستثناء عبد الرحمن ، نواف ، مقـــرن ، تلقوا جميعاً تعليم ملكى يؤكد على التعاليم الدينية . ويشير جدول (٦) إلى التغير العنيف إبان العقود الثلاثة الأخيرة فى الأنماط التعليمية والمهنية لأبناء العائلة المالكة . حيث تلقى عدد من أحفاد إبن سعود ، وأولاد إخوته تعليماً علمانياً ، وشغلوا مناصب تتطلب مهارات وثقافة علمانية .

من الخطأ إفتراض أن الخلفية التعليمية وحدها هى المحدد للرؤية الإجتماعية والسياسية ، وكما توضح حالة الأمير طلال : فلقد تلقى تعليماً ملكياً ، ومع ذلك قاد وتزعم فيما بعد زمرة «الأمراء الأحرار» مطالباً بإلغاء الملكية ، وإعلان قيام حكم جمهورى ، ولجأ إلى مصر الاشتراكية الناصرية عام ١٩٦٤ . ولقد تمكنت العائلة المالكة ، رغم ذلك ، من الحفاظ على إستقرار حكمها وبقاء العرش السعودى ؛ من خلال قدرتها على إشباع حاجات الهياكل البيروقراطية الجديدة .

نجحت العائلة المالكة فى الحفاظ على مكانتها ووضعها من خلال إكتساب التعليم العلمانى ، وبالتالى تدهورت مكانة وأهمية التعليم الدينى ، وتعد حالة وأبناء الملك الأسبق فيصل أفضل نموذج لها . وكما يوضح الجدول (٧) ، فلقد تلقى سبعة من أبنائه الثمانية

الذكور تعليمهم الثانوى فى مدرسة « هن » أو مدرسة « لاور ينسيفيل » فى نيوجرسى. بعد التعليم الثانوى، واصلوا تعليمهم العالى فى الولايات المتحدة وإنجلترا (١٣). حيث درس أول أبناء فيصل الأمير محمد فى مدرستى « هن »، ولاورينسيفيل، وحصل على درجة علمية فى إدارة الأعمال فى الولايات المتحدة، وعمل فى البداية فى إدارة النقد والأوراق المالية السعودية، وبعدئذ مديراً للمؤسسة السعودية لتحلية المياه، وفى النهاية تفرغ لإدارة أعماله الخاصة.

باقى أبناء الملك فيصل وهم: خالد، ويتولى الآن منصب حاكم عسير، وتخرج من مدرسة « هن » ودرس فى برنستون، وإنتقل إلى إكسفورد حيث حصل على درجة البكالوريوس. والأمير سعود الفيصل، ويشغل الآن منصب وزير الخارجية، أكمل دراسته فى مدرسة « هن »، برنستون، وتخرج عام ١٩٦٥ وحصل على بكالوريوس الإقتصاد، وعمل لعشر سنوات نائباً للشيخ أحمد زكى يمانى فى المؤسسة العامة للبترول والمعادن، فى وزارة البترول والثروة المعدنية.

يتولى أعضاء العائلة المالكة أيضاً المناصب العسكرية، فالأمير عبدالرحمن، وهو ضابط عسكرى الآن، تخرج من مدرسة « هن ». والأكاديمية العسكرية الملكية فى ساندهورست. وتلقى الأمير بندر دراساته فى كلية وايتر فى كاليفورنيا؛ وحصل على

(١٣) ويليام راف ـــ ظهورطبقة رسطى جديدة فى الشرق الأوسط ص ١٢.

بكالوريوس من الولايات المتحدة، وأكملها ببرنامج تدريبي على الطيران في القوات الجوية الملكية في «كران ويل» بإنجلترا.

حصل الأمير سعد الإبن السادس للملك فيصل على شهادة جامعية في القانون من جامعة (كبردج) وعين مدير إدارة في مؤسسة (بترومين) وهو الآن رجل أعمال بارز. في النهاية، هناك أيضاً الأمير تركي وتلقى دراسته في مدرسة «هن» وبرنستون، وفي عام ١٩٧٢ تخرج من جامعة كمبردج، وحصل على درجة في القانون الشرعي، ويعمل الآن مستشار قانوني في الوزارة الحالية *.

تشير التغيرات في الخلفيات التعليمية والأنماط المهنية لأعضاء العائلة المالكة إلى إهتمامها بالحفاظ على مكانتها في المجتمع وأيضاً استعدادها للتكيف مع الظروف المتغيرة. لم تقاوم العائلة المالكة التغير لإمتلاكها غريزة البقاء، بل تحكمت في مسار التغيير وحددت توجهاته وفقاً لهدفها الرئيسي ـ إستقرار العرش السعودي. وبسبب حجمها الكبير، إعتمدت على أعضائها لإحتلال مناصب قيادية في المؤسسات الجديدة. حيث حافظ أفراد العائلة المالكة على إحتكارهم للمناصب القيادية بما فيها النواب الأول والثاني؛ وبالمثل وزارات الدفاع، الحرس الوطني، الخارجية، تزايد عدد أعضاء العائلة الذين يشغلون مناصب أدنى. بينما في الفترة الأولى للحكم السعودي عمل أبناء ابن سعود، كحكام ووزراء، فإن أعضاء العائلة الحاليين يسيطرون على المناصب الدنيا في إدارة

* يترأس الأمير تركي الفيصل جهاز المخابرات السعودية الآن.

الدولة. فعلى سبيل المثال، يتولى محمد بن عبد الله نائب مدير فى وزارة الزراعة، وتولى الأمراء عبد الرحمن بن سعود، بندر بن فهد، فهد بن سلطان، مناصب مدراء أو نواب مدراء فى مؤسسات الدولة.

وزارة الملك خالد: الخلفيات التعليمية؛ الإقليمية

جدول (٩):

(١) د. عبد الرحمن عبد العزيز آل الشيخ، وزير الزراعة، دكتوراه من الولايات المتحدة.

(٢) د. سليمان عبد العزيز السليم، وزير التجارة، ولد عام ١٩٣٨. تلقى تعليمه الأولى فى الثانوى فى البصرة بالعراق، حصل على بكالوريوس علوم سياسية من جامعة القاهرة ١٩٦٢، ماچستير علاقات دولية ١٩٦٦، سادثرن كاليفورنيا، دكتوراه، جامعة جوزهو بكنز ١٩٧٠.

إلتحق بوزارة العمل والشئون الإجتماعية كمدير علاقات خارجية ١٩٦٢، فى عام ١٩٦٣، أصبح عضواً فى الوفد السعودى لمؤتمر الأمم المتحدة حول «تطبيق العلم والتكنولوچيا لخدمة البلدان النامية»، عام ١٩٦٨، عين مندوباً فى مؤتمر الولايات المتحدة لوزراء الشئون الإجتماعية، إختاره الملك خالد وزيراً عام ١٩٧٥.

فى إطروحته للدكتوراه: «البناء التنظيمى والقضائى فى المملكة العربية السعودية» أكد السليم أن الشريعة تتفق مع معطيات العالم الحديث. وأن المشكلة تكمن فى «فجوة الاتصال

بين العلماء والتكنوقرواط والمثقفين. حيث يبدو التكنوقراطيون والمثقفون لا يعيرون إهتمامهم لإسهام العلماء فى إستقرار واستمرارية المجتمع التقليدى، ولا يستوعبون ثراء التشريع الإسلامى. والعلماء بدورهم، لم يجدوا الصيغة الصحيحة لإقناع المثقفين بهذه الخصائص التى يتمتع بها الإسلام».

سليمان السليم- البناء التنظيمى والقضائى فى السعودية «رسالة دكتوراه» جامعة جونز هويكنز، ١٩٧٠، ص ١٦٩.

(٣) د. عبد العزيز عبد الله الخويطر- وزير التعليم- ولد فى نجد عام ١٩٢٧- تلقى تعليمه فى التاريخ من بريطانيا. عام ١٩٦٥، ترأس مراقبة الإشراف، ثم عين نائب مدير جامعة الرياض. فى عام ١٩٦٧، إلتحق الخويطر كوزير صحة فى وزارة الملك فيصل، أصبح وزيراً للتعليم عام ١٩٧٥.

(٤) محمد أبا الخيل، وزير المالية والإقتصاد الوطنى، ولد فى نجد، حصل على بكالوريوس تجارة عام ١٩٥٦ من جامعة القاهرة، من ١٩٥٦ حتى ١٩٦٢ عمل كمساعد مدير فى مكتب وزير الاعلام، ثم مدير للمكتب. عام ١٩٦٢، فوضه فيصل ولى العهد لإنشاء معهد الإدارة العامة فى الرياض، ترأس عمادة المعهد حتى ١٩٦٥. عام ١٩٧٠ أصبح نائب وزير الدولة للمالية والإقتصاد الوطنى، إنضم لوزارة الملك خالد عام ١٩٧٥.

(٥) د. حسين عبد القادر الحزائرى- وزير الصحة، - ماچستير- الولايات المتحدة.

(٦) حسن عبد الله آل الشيخ ــ وزير التعليم العالى، ولد فى مكة عام ١٩٣٣. درس على يد والده الشيخ عبد الله وتلقى تعليمه الثانوى فى مكة، حصل على بكالوريوس اللغة العربية والدراسات الإسلامية من كلية الشريعة فى مكة ــ عينه والده عضواً فى رئاسة القضاء لمنطقة الحجاز (١٩٥٦ ــ ١٩٥٨) بعد وفاة والده ١٩٥٨، أصبح رئيساً للقضاء. عام ١٩٦٢ عينه ولى العهد الأمير فيصل وزير للتعليم، فى عام ١٩٧٥ إنضم لوزارة الملك خالد كوزير للتعليم العالى بالإضافة لمناصبه الوزارية، عينه الملك فيصل رئيساً للمجلس الأعلى لمركز بحوث الملك عبد العزيز (إدارة الملك عبد العزيز).

(٧) غازى القصيبى ــ وزير الصناعة والكهرباء، ولد عام ١٩٤٠ فى منطقة الإحساء تلقى تعليمه الإبتدائى والثانوى فى السعودية، ليسانس حقوق من جامعة القاهرة. ماجستير فى العلاقات الدولية من جامعة ساوثرن كاليفورنيا، دكتوراه فى العلاقات الدولية من جامعة لندن. فى عام ١٩٦٥، إنضم القصيبى محاضراً فى العلوم السياسية بجامعة الرياض، أصبح عميداً لكلية العلوم الإدارية للسكك الحديدية عام ١٩٧٣، بدرجة نائب وزير. عام ١٩٧٤ عين رئيساً لهيئة ميناء الدمام. إنضم لوزارة الملك خالد عام ١٩٧٥ (خرج من الوزارة عام ١٩٨٤) (المترجم).

(٨) د. محمد عبده يمانى ــ وزير الإعلام، ولد عام ١٩٣٩

فى مكة ــ تلقى تعليمه الإبتدائى والثانوى فى السعودية ، حصل على بكالوريوس علوم فى الچيولوچيا من جامعة الرياض ، دكتوراه من جامعة كورنيل .

من ۱۹۷۲ حتى ۱۹۷۳ ، عمل محاضراً فى جامعة الرياض ، أصبح نائب وزير التعليم .عام ۱۹۷۳ ، عمل رئيساً لجامعة الملك عبد العزيز عام ۱۹۷٤ ، إنضم لوزارة الملك خالد عام ۱۹۷٥ (*) .

(۹) **إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ** ، وزير العدل ، تعليم تقليدى .

(۱۰) **إبراهيم العنقرى** ، وزير العمل والشئون الإجتماعية : تلقى تعليمه الإبتدائى والثانوى فى السعودية ؛ وبكالوريوس من جامعة القاهرة . فى الفترة من ۱۹٥۰ ــ ۱۹۷٤ عمل مديراً لمكتب وزير التعليم ، ودبلوماسى فى السفارة السعودية فى واشنطن ؛ مديراً عاماً بوزارة الداخلية ، وزير اعلام فى وزارة الملك خالد ۱۹۷٥ .

(۱۱) **أحمد زكى يمانى** ، **وزير البترول والمعادن** ، ولد فى الدمام عام ۱۹۳۸ . تلقى تعليمه الإبتدائى والثانوى فى السعودية . حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة ، الماچستير من جامعة هارڤارد . فى كتابه « القانون الإسلامى والقضايا المعاصرة ــ

* أُقيل يمانى من منصبه الوزارى عام ۱۹۸۳ ، عندما أصدر تكذيبا لخبر نشرته صحيفة لبنانية عن وقوع محاولة إنقلاب ضد العرش السعودى وتم إخادها بتدخل الجيش والحرس الوطنى ومعاونه المخابرات الأمريكية واعتبر الملك فهد نشره التكذيب تعميماً للخبر .

كراتشي، منشورات النخبة، ١٩٥٨» ذكر يمانى عدم وجود تناقض بين الشريعة والمواقف الراهنة فى الواقع، أكد يمانى أن التقدم والتطور يمكن تحقيقه فقط من خلال تطبيق الشريعة. متأثراً بآراء ابن القيم الجوزية، الفقيه الحنبلى الشهير، إفترض يمانى أن الشريعة نظام قائم على سعادة وصالح الفرد والجماعة، وفى حياته اليومية، وفى أعماله واستعداده للآخرة، ويستطرد يمانى «الشريعة هى العدل التام، الصالح التام، الحكمة كلها، الرحمة كلها» ص ٩ــ ١٠.

أقيل من منصبه فى عهد الملك فهد، عام ١٩٨٦ (المترجم).

(١٢) الشيخ عبد الوهاب عبد الواسعــ وزير شئون الحج والأوقاف ــ تعليم تقليدى.

(١٣) هشام ناظرــ **وزير التخطيط**، ولد فى جدة عام ١٩٣٢. تلقى تعليمه الإبتدائى والثانوى فى كلية فيكتوريا فى الإسكندرية. حصل عام ١٩٥٧ على شهادته الجامعية فى العلاقات الدولية من جامعة كاليفورنيا، والماچستير فى العلوم السياسية من جامعة إيــوا عام ١٩٥٨، فى عام ١٩٥٩ إلتحق كمستشار بالإدارة العامة للبترول وشئون المعادن. عام ١٩٦٠ عين مديراً عاماً فى الوزارة، ١٩٦٨ أصبح رئيساً للتخطيط المركزى، عام ١٩٧١ عينه الملك فيصل عفواً فى مجلس الوزراء، إنضم لوزارة الملك خالد ١٩٧٥. كتب «بيتر هويدى» يصف هشام ناظر (إستوعب الولع الأمريكى بعديد من الموضوعات لمعرفة كل شىء.

ما دام الكمبيوتر يمكنه عمل ذلك وما دام الأرقام تدعم ذلك، فهناك مجال ضيق لمحاولة تخيل كل الأسباب لعدم حدوث شيء ما» (بيتر هويدى ــ السعودية اليوم ــ لندن: ماكميلان، ١٩٧٨. ص ٧٩) ورغم ذلك يعتقد هشام ناظر بعدم وجود تناقض بين الإسلام والتحديث بل على العكس، ينبغى تحقيق التنمية الإقتصادية لخدمة الجماعة الإسلامية. علاوة على ذلك، أبدى إستعداده للإستفادة من المستشارين الأجانب. وأشهر فريق مستشارين إستعان به «من معهد ستانفورد للبحوث فى كاليفورنيا» والذى كان مشاركاً جزئياً فى إعداد مشروع خطتى التنمية السعودية الأولى، الثانية.

(١٤) د. علوى درويش خيّال، وزير البرق، الهاتف، البريد:

ولد فى جدة عام ١٩٣٢. تلقى تعليمه الإبتدائى والثانوى فى السعودية حصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية من الولايات المتحدة، من ١٩٥٩ حتى ١٩٧٠ عمل مديراً عاماً فى البريد، وزير بريد برق هاتف فى وزارة الملك فيصل، شغل المنصب مرة ثانية فى وزارة الملك خالد عام ١٩٧٥.

(١٥) محمد إبراهيم مسعود ــ وزير دولة، ولد فى جدة عام ١٩١٩. تلقى تعليمه الإبتدائى والثانوى فى السعودية بكالوريوس تجارة من الجامعة الوطنية اللبنانية. درس فى مدرسة الفلاح فى جدة عامى ١٩٣٦ ــ ١٩٣٧، ١٩٤١ عين رئيس قسم فى إدارة

المعادن والأشغال العامة، ترأس إدارة تدبير الإحتياطى فى وزارة المالية، ٥٨ــ ١٩٥٩، أصبح وزيراً للبعثات والتفتيش الدبلوماسى والقناصل. وزير خارجية من ١٩٥٩ــ ١٩٦١، وزير بعثات دبلوماسية فى السفارة السعودية ببغداد فى العراق، ٦١ــ ١٩٦٨، وعمل سفيراً من ١٩٦٨ــ ١٩٧٥، نائب وزير خارجية، إنضم لوزارة الملك خالد فى ١٩٧٥.

(١٦) د. عبد الله محمد العمرانــ وزير دولة ــ ولد عام ١٩٣٥ــ تعليم إبتدائى وثانوى فى السعودية ــ دكتوراه من أمريكا. مستشار قانونى بمجلس الوزراء ٧٠ــ ١٩٧٥. عين وزيراً بدون وزارة ١٩٧٥.

(١٧) د. محمد عبد اللطيف الملهمــ وزير دولة ــ ولد عام ١٩٣٦، تعلم حتى الثانوية فى السعودية، ماجستير دكتوراه فى إدارة الأعمال من الولايات المتحدة ــ قبل ١٩٧٥ حاضر فى جامعة الرياض، عميد كلية علوم إدارية فى نفس الجامعة.

البيروقراطية العلمانية:

«فرض إنشاء المؤسسات الإدارية الحكومية الحديثة ضرورة إعداد مدراء ذوى تعليم علمانى، ليس بمقدور العلماء تلبية الحاجة لتنمية مهاراتهم التعليمية والفنية. ففى الثلاثينات كان التعليم الدينى شرط لتولى مهام العمل فى الإدارة الحكومية فى منطقة نجد، وفى الخمسينات، حل محله التعليم العلمانى. وحتى الوقت الراهن إستمرت عملية علمنة النظام التعليمى ليفى بحاجات

المؤسسات الحكومية الحديثة. وأيضاً، تزايدت أعداد المدراء علمانى التعليم، ففى مسح لعدد ٤٤ مسئول رسمى فى المستويات العليا عام ١٩٧٢، نجد أن ٦٥٪ تلقوا تعليماً علمانياً. وكما يوضح الجدول (٨) نجد ٤ وزراء تلقوا تعليماً دينياً تقليدياً، بينما نجد أن ٦ وزراء علمانى التعليم.

ظل عدد وتأثير المدراء علمانى التعليم كبيراً حتى فى المناصب الثانوية نسبياً. حيث نجد أن ثلاث نواب وزراء فى وزارة ١٩٧٢، منهم ٢ من العائلة المالكة تلقوا تعليماً دينياً، والباقين (١١) علمانى التعليم، ثمانية منهم درسوا فى الجامعات الأمريكية وباستثناء رئيس الحرس الوطنى؛ والهيئات الدينية، تلقى كل رؤساء الهيئات والمؤسسات والإدارات الحكومية الكبرى تعليماً علمانياً، حيث نجد أن مدراء بترومين، هيئة التخطيط المركزى (عام ١٩٧٢)، حصل أحدهما على الدكتوراه؛ والآخر على الماچستير من الولايات المتحدة.

فى وزارة الملك فهد والتى ضمت (٣٢) وزيراً، نجد أن ثلاثة فقط من غير العائلة المالكة تلقوا تعليماً دينياً. وكما يوضح الجدول (٩)؛ تلقى وزراء العدل، الحج وشئون الأوقاف، التعليم العالى تعليمهم فى مؤسسات دينية، بينما تلقى باقى أعضاء الوزارة تعليمهم العالى فى الولايات المتحدة، بريطانيا، مصر ولبنان.

لكن، ينبغى ألا ننظر لزيادة عدد الوزراء علمانى التعليم بإعتباره تحول درامى فى القيم الرئيسية للنظام السياسى وتوجهاته.

بل على العكس، فما زالت، السمة العشائرية والقبلية للنظام السياسى راسخة. ما زال الملك هو مركز السلطة والولاء، ويعمل الوزراء بإعتبارهم مجرد مستشارين لا أصحاب مبادرات أو صناع قرار، وما زالت الإعتبارات العائلية وقيم النسب والقرابة من آل سعود ذات أهمية قصوى لتحديد الإنضواء تحت مظلة النظام السياسى الحاكم. علاوة على ذلك، ظل توظيف الإسلام والرموز الدينية عنصراً هاماً لتأكيد شرعية النظام، وكإطار مرجعى هام وحيوى حتى بين أولئك الوزراء أصحاب التعليم العلمانى ونوابهم (١٤).

ولقد لجأ عدد من الوزراء لعقلنة وتبرير سياساتهم بمفاهيم إسلامية، وفى إطار دينى، منهم وزراء التجارة، الصناعة والكهرباء، التخطيط، البترول والمعادن، فعلى سبيل المثال، نجد أن هشام ناظر وزير التخطيط، وأقل الوزراء إلماماً بالمعرفة والثقافة الدينية وتعرضاً لتأثير العلماء فى شئون وزارته. ومع ذلك عقلن وبرر نمط وإتجاه التخطيط فى وزارته تبعاً لمفاهيم إسلامية. حيث أكد أن الخطة الخمسية الثانية إستهدفت الحفاظ على إرتفاع معدل النمو الإقتصادى، والإرتفاع بمستوى عوائد النفط، تقليل الإعتماد الإقتصادى على الصادرات النفطية الخام، تنمية الموارد البشرية، إنشاء البنية الأساسية لدعم أهداف الخطة (٩ يوليو ١٩٧٥). وكل هذه الأهداف ستتحقق «بإرادة الله فى إطار عمل إسلامى»

---

(١٤) معلومات شخصية مستمدة « هو إذ هو » ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ـ الدارة ـ الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ومقابلات شخصية.

ولتأكيد «قدرة ورفاهية ونفع المسلمين» [١٥]. ويؤكد وزير التعليم، أحمد زكى يمانى نزعته الدينية بالإشارة إلى ضرورة أن يكون هدف الحكومة تحسين الأحوال المادية للمسلمين، لأن الشريعة هى «نظام قأم على سعادة ورفاهية الفرد فى المجتمع، وفى حياته ومعاشه اليومى وإستعداده للآخرة» [١٦].

رغم إستمرار الرموز الدينية فى تشكيل مرجعية هامة لأعضاء الوزارة، لايمكن تأكيد هذا الادعاء على صغار المسئولين. ففى مسح [١٧] الاتجاهات الإجتماعية والمهنيةلـ ٢٧١ موظف مدنى سعودى، تلقوا تعليماً دينياً وبعضهم تعليماً علمانياً، إحتلت الوظائف الدينية بينهم نسبة محدودة. وصمم لهم إستبيان عام ١٩٧٠ لمعرفة ترتيبهم لـ ١١ وظيفة تبعاً لتقديرهم لعائداتها المادية والإجتماعية. وكما يوضح الجدول (١٠) إحتلت الوظائف الحكومية، والدينية مرتبة أدنى من مرتبة الأطباء، رجال الأعمال. حيث بلغت نسبة الأطباء (٤٢٪)، يليها رجال الأعمال (١٥٪) ويليها علماء الدين (٩٪) ثم الموظف الحكومى (٨٪)، وبينما تحظى مهنة عالم الدين بإحترام إجتماعى هائل، نجد أن (٠,٥٪) فقط يعتقدون أن مهنة الإمام (إمامة المسلمين فى الصلاة) لها إحترام محدود وعائد فردى [١٨].

---

(١٥) الخطة الخمسية الثانية ــ الرياض: وزارة التخطيط، ١٩٧٥ ص ١٠.

(١٦) أحمد زكى يمانى ــ القانون الإسلامى والقضايا المعاصرة ــ كراتش: مطبوعات النخبة، ١٩٥٨ ــ ص ٩ ــ ١٠.

(١٧) وردت نتائج المسح فى، العوجى ــ ضمت مقابلات مع ٢٧١ موظف مسئول.

(١٨) نفس المرجع ص ١٩٢.

كان إنهيار قيمة ومكانة المهن الدينية كما يتضح فى المعدلات المنخفضة لمهن القضاة، الأئمة، العلماء فى الإستبيان السابق، مصحوباً بتراجع القيم التقليدية والدينية. وللإعتبارات الموضوعية أهمية ضئيلة فى تحديد إختيار الموظفين المدنيين، وتأكيد التعاون الضرورى داخل المنظمات أو المؤسسات والهيئات الحكومية. ومن الشائع، على سبيل المثال، أن أصدقاء وأقارب المسئولين الكبار فى الحكومة يتم تعيينهم فى الحكومة. وإلتصاق المسمات الخاصة للمسئول بمؤسسته الحكومية التى يتولى قيادتها، يعد مسوغاً لتعيين من يريد بها. فلقد كشفت نتائج الإستبيان أن ٤٥٪ من العينة لهم أصدقاء، أقارب عملوا فى هيئاتهم قبيل توليهم المناصب. وعلاوة على ذلك، ٣١٪ من العينة إعترفوا بوجود أصدقاء مقربين يعملوا فى نفس هيئاتهم الحكومية (١٩).

هناك ظاهرة دينية تسود نظم الإدارة والعمل الحكومى السعودى تعكس الطابع العشائرى للنظام السياسى، وهى أن وجود شخص أو أكثر على قمة أى مؤسسة يتيح إجتذاب أقاربهم فى نفس الهيئة. وقد تتسع نشاطات «عصبية» الأقارب إلى التفاعل والترابط الشخصى والتعاون داخل الإدارة الحكومية وفى التجمعات الإجتماعية والنشاط الإجتماعى. حيث ذكر ٦٦٪ من أفراد العينة أن العلاقات الشخصية القائمة على إعتبارات إجتماعية وإقليمية تقوم بدور الدافع على حركيتها العصبية القوية ووحدتها بين موظفى

---

(١٩) نفس المرجع ٢٢٨ــ ٢٢٩.

الحكومة ([20]). وعلى النقيض، نجد أن ٣٢٪ أن الإعتبارات المهنية والموضوعية لهم هى الباعث الأساسى على تحقيق مستوى عال من التعاون ([21]).

لقد أظهرت دراسة الإتجاه والسلوك الإجتماعى لموظفى الحكومة الصغار، إستمرار هيمنة الإتجاهات العشائرية والقبلية رغم وجود هيكل حكومى حديث ([22]). ورغم وجود القيم التقليدية تدهورت أنشطة المهن الدينية وإنهارت مكانتها الإجتماعية. ربما يرجع هذا الإنهيار والتدهور إلى عاملين:

الأول: إنعكاس سياسة تهميش دور المؤسسات الدينية كأداة حشد إجتماعى.

الثانى: يعكس الإنهيار التام للوضع الإجتماعى للعلماء والمهن الدينية

(٢٠) نفس المرجع ص ١٨٨.
(٢١) نفس المرجع.
(٢٢) أنظر على سبيل المثال، فريدريجز ــ الإدارة فى البلدان النامية: نظرية المجتمع المنشورى ــ بوسطن: ميلفين، ١٩٦٤.

خاتمـــــة :

إستمر الطابع العشائرى للنظام السياسى السعودى رغم إتساع سلطات الحكومة وتزايد وتنوع أدوارها . فالملك ما زال محور السلطة . فهو الذى يقرر شخصياً إتجاه النشاط السياسى ، بمساعدة أعضاء العائلة المالكة ، وبناء بيروقراطى معقد . وأكدت العائلة المالكة بقدرتها وإستعدادها للتكيف والتلاءم مع الحاجات المتغيرة ، ونظراً لحجمها الكبير ، أنها قادرة على الإحتفاظ بدورها التقليدى فى الحكم . فلقد شغل شباب العائلة المقاعد الوزارية ، ومناصب الصف الثانى . وإحتلت أعداد كبيرة من أبناء وأحفاد ابن سعود المناصب التى تؤكد إستمرارية سيطرة العائلة . وإعترافاً بالحاجات الجديدة الناجمة عن وجود هيكل حكومى حديث ، حرص جيل الشباب من آل سعود ممثلاً فى أبناء الملك فيصل على تحصيل ودراسة علوم علمانية حديثة وكسب مهارات فنية . ولم يعد الدين والتعليم الدينى يشكل خلفية تعليمية يسعى إليها أعضاء العائلة بهدف الحفاظ على سيادة مكانة العائلة ودورها .

لا ينبغى إعتبار إدخال التعليم العلمانى على أنه إستعجال التغيير الجذرى فى القيم السياسية والإجتماعية للنظام. بل على العكس هناك إتباط ضئيل بين التعليم العلمانى وتوجهات النظام. فلقد إستمر الدين يشكل مصدراً هاماً لشرعية النظام، ولقد تم عقلنة وتبرير التغيير فى إطار مفاهيم الدين.

لقد كشف المسح السابق لصغار مسئولى الحكومة أنه رغم وجود مؤسسات حكومية حديثة، بقيت قيم العصبية العشائرية سائدة. وإستمرار وجود هذه القيم وسط الموظفين المدنيين إنعكاس للحكم العشائرى الذى يسود المجتمع. فالمجتمع ما هو إلا منزل عائلى كبير، والروابط العائلية التى تسيطر على نشاطات العائلة المالكة هى النموذج للعلاقة بين باقى الوحدات الإجتماعية.

الفصـــل السادس

« عمليـة البنـاء الوطنـى »

كان لعملية البناء الوطنى وميل آل سعود للمبادرة بالتغيير والتحكم فى مساره تأثيراً عميقاً على دور ومكانة الدين فى المجتمع. مارست هذه المؤثرات عملها إيجاباً وسلباً على عملية تأسيس شرعية النظام وقدرته للمحافظة على طابعه العشائرى. فلقد أعلنت عملية التغيير عن نفسها فى ارتفاع معدل خطى التحديث، محو الأمية، إنتشار التعليم، إرتفاع مستوى المعيشة. والجوانب الثلاث لعملية التغيير هى:

الأول: أصبحت الحكومة أكثر قدرة على إشباع الحاجات الجديدة، حيث أنشئت المؤسسات الحكومية، وإنتشار النظام التعليمى، وتزايد الخدمات الصحية والإجتماعية، وأصبحت فى متناول المواطنين.

الثانى: تحدى القيم التقليدية بقيم أخرى، إجتماعية وسياسية

قائمة على علاقات القرابة العائلية. حيث ظهر فى الواقع تعارض التشدد والتقشف والورع الوهابى مع تيار العنف والتطرف فى المجتمع السعودى المعاصر.

الثالث: ظهور جماعات جديدة، مثل العمال والمثقفين، وظهور نشاطات ومطالب جديدة بالمشاركة السياسية. ورغم أن العمال والمثقفين السعوديين كانوا محدودى العدد، إلا أن مطالبهم ونشاطاتهم كانت منبه دائم وشاهد على إشكالية التحديث التى تواجه نظم الحكم الملكية.

إفترض صمويل ب. هينتنجتون فيما يتعلق بإشكالية نظم الحكم الملكية، وهو ما يصدق على إشكالية آل سعود، أن مركزية السلطة أمر ضرورى لبقاء النظام بقدر ما يقوم به من إصلاحات إجتماعية وإقتصادية. ولقد أدى هذا التمركز للسلطة إلى صعوبة توسيع إطار النظام السياسى ليستوعب الجماعات الجديدة، حتى لا تؤدى مشاركتها إلى الإطاحة بالعرش الملكى ذاته. «إشكالية أى ملك ــ هل قدره أن يكون ضحية إنجازاته؟ ــ وما هى الإستراتيجيات المتاحة له لتجنب إهتزاز عرشه أو إنهيار نظام حكمه؟» (١).

بصراحة، تتكون عملية البناء الوطنى من عنصرين هامين:

التسلل عبرالتوحيد والدمج السياسى، الذى يعتبر مؤشراً على

---

(١) صمويل ب ــ هنتجنتون ــ النظام السياسى فى المجتمعات المتغيرة ــ نيوهافن، جامعة بيل، ١٩٦٨، ص ١٧٧.

تلاشى قيم قديمة أو إجتثاث وتدمير قيم وهياكل وسلوك تعتبره النخبة تهديد وتحدى خطير لوجودها، وبالتالى ينبغى محاصرتها بفعالية أو إلغائها. وعلى الجانب الآخر، إستلزم التوحيد السياسى إيجاد صيغة سياسية جديدة، ومؤسسات وأنماط جديدة للعمل السياسى– جماعة إجتماعية جديدة قائمة على معايير التبادل، المشاعر المشتركة، إعتراف متبادل– حيث يحصل كل أفراد المجتمع على قدر من التعبير فى ظل البناء المؤسس. وتحدد الإستراتيچية التى توظفها القيادة السياسية طبيعة الإختراق للمجتمع التقليدى وطابع بناء عملية التوحيد السياسى (أى نمط الجماعة السياسية التى تبلورت).

يمكن تصنيف إستراتيچيات بناء الأمم التى توظفها القيادات السياسية دائماً إلى: الإستراتيچية الإصلاحية، الإستراتيچية الثورية. وتؤكد كل منها على إجراءات مختلفة للقيام بعملية التغيير الفعال. وتركز الرؤية الإصلاحية على قيم التوفيقية ومنهج التفاوض والمساومة؛ فهى إستراتيچية المزج بين تحالفات مؤقتة متغيرة، بواسطتها تتبدى أهداف النظام السياسى على شاكلة قيم السوق، لتعلو على الصراعات بين جماعات مختلفة وأهدافها المتباينة. وعندما تتبنى النخبة السياسية الإستراتيچية الإصلاحية، فهى تتقبل المجتمع كما هو وتطرح إطاراً عاماً لعملية التطور والتنمية. حيث يمكن إجراء عملية التنمية الإجتماعية الإقتصادية فقط بالمعدل الذى يلائم الجماعات الكبيرة فى المجتمع.

تواجه الإستراتيچية الثورية البديلة العقبات والعوائق التى تعترض طريق التنمية والتغيير، وتدخل معها فى تحدى وصراع مباشر. ومناخ الرؤية الثورية مناخ أزمة، وصراع. وعندما تطرح الرؤية الثورية نفسها لقيادة الحركة الإجتماعية وتقلد قمة السلطة فى المجتمع، لا تسمح بوجود أى آراء معارضة لها، حيث يسيطر تنظيم عسكرى على درجة عالية من الإنضباط على مجمل آلة الدولة، ويحتكر السلطة. وتكتسب التنيمة الإقتصادية أهمية كبرى فى ظل هذا النظام الثورى، بالتأكيد على الإلتزام، الانضباط، التضحية، التقشف.

تعتمد الإستراتيچية الإصلاحية على تحالفات مؤقتة والتفاوض والمساومات، وهذا يقلل من قدرة القيادة على إنجاز أهدافها. فالحاجة لإبرام صفقات ومساومات إجتماعية يخلق مناخاً يفتقر للحسم فى التعامل مع القرارات السياسية. فضلاً عن إعتماد الرؤية الإصلاحية على التوفيقية مما يؤدى إلى عدم وجود قيادة فاعلة بسبب ما تتعهد وتلتزم به لكل جماعة من الجماعات المختلفة فى المجتمع، والتى تحد من قدرة النخبة السياسية الحاكمة على حشد وتعبئة موارد المجتمع. وعندما تحاول بإشباع مطالب الجماعات الإجتماعية الكبرى تعوقها تلك القيود عن الحركة. ولذا، تصبح أقل مرونة وقدرة على صياغة سياساتها. ويؤدى تبنى الإستراتيچية الإصلاحية أيضاً إلى تقييد حركة الآداء الحكومى وإتساع قاعدة التململ والسخط الإجتماعى. حيث يسعى دعاة التغيير للقيام بتغيير وتحول أكثر جذرية للمجتمع، ويصر المدافعون عن الوضع الراهن

للحفاظ على النظام والموقف الحالى. ومع ذلك؛ يشكل كل منهما تهديداً وخطراً محتملاً على بقاء وإستمرار النظام السياسى.

مبادرة التغيير:

نتيجة لسياسية الحكام السعوديين المزدوجة، فمن ناحية يرتبطون بالوهابية كأيديولوچية للدولة، ومن ناحية أخرى يسعون لإقامة أداة حكومية حديثة، والقيام بتغير إجتماعى، أظهر نظام الحكم السعودى التوتر والصراع بين جماعتين:

(١) جماعة السعوديين علمانى التعليم الذين يؤيدون القيام بمزيد من الإصلاحات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية.

(٢) السلفيون الدينيون الذين يريدون العودة لتأكيد الطابع الدينى للنظام.

كان الملك هو محور ونقطة الإرتكاز للحفاظ على التوازن وضبط الصراع بينهما، وهو أداة تحويل الصراع إلى توازن المجتمع وتماسكه عملاً بمبدأ «الحفاظ على التعاون طيلة مسار الصراع» (٢).

فلقد أراد إبن سعود وخلفاؤه الحفاظ على نظام إجتماعى إقتصادى مرن وقائم على الوهابية، ويسمح بالتكيف مع الظروف المتغيرة ــ وقاموا بعملية التغيير للتلاءم مع المواقف والأوضاع الجديدة، وإستمروا فى توظيف الإسلام كوسيلة لعقلنة وتبرير هذا

(٢) مانفريد هالبرن ــ سياسة التغيير الإجتماعى فى الشرق الأوسط وشمال افريقيا ــ برنستون: مطبعة جامعة برنستون، ١٩٦٣، ص ١٠.

التغيير، وأكثر برامج الإصلاح تفصيلاً وأولها بدأ تنفيذه عام ١٩٦٢ كنتيجة لضغوط وتحديات داخلية وخارجية. فعندما إرتفعت عوائد الدخل من مبيعات وإنتاج البترول، لم يدخل الملك سعود أى تغييرات ملحوظة على ظروف معيشة السعوديين. وفى ظل هذه الأجواء، وجدت الدعوة الناصرية للفكرة القومية العربية والإشتراكية أرضاً خصبة وسط السعوديين علمانى التعليم المؤيدين لعلمنة النظام السياسى والتنمية الإقتصادية، وليبرالية النظام. وتزعم الأمير طلال هذه المجموعة، ولجأ إلى القاهرة عام ١٩٦٢، وهناك طالب بإقامة الجمهورية السعودية.

بينما كان مؤيدو التغيير يطالبون بالحكم الجمهورى، وإصلاحات إقتصادية وإجتماعية، أعلن التجار وعلماء الدين وزعماء القبائل تأييدهم للوضع الراهن. فبالنسبة لهم، كان التغيير يعنى فقدانهم لأوضاعهم وإزاحتهم عن مواقع المسئولية لصالح العناصر العلمانية. كانت النتيجة الفورية المباشرة للصراع بين المجموعتين، خلع الملك سعود وتولى فيصل الجلوس على العرش عام ١٩٦٤ (٣).

---

(٣) لمزيد من المعلومات عن الحوادث المؤدية لإستيلاء الملك فيصل على العرش، أنظر، ريتشارد هـ. نولت ـ فيصل يتولى مقاليد السلطة فى السعودية ـ التقرير فى ١٨ مايو ١٩٥٨، ثورة سعودية فى مجلة إيكونوميست ٣٠ ابريل ١٩٦٠، التطور فى عهد الملك فيصل، البلاد ٢٣ ابريل ١٩٧١. فلقد عكس خلع الملك سعود إهتمام العائلة المالكة ببقائها ورغبتها وإستعدادها للتكيف مع الظروف المتغيرة. ولقد أظهر أحد أعضاء العائلة هذا الفهم للصحفيين اللبنانين:

بمجرد جلوسه على العرش ؛ أدمج الملك فيصل منصبى الملك ورئيس الوزراء معاً ، وأضاف لنفسه سلطة الإنفراد بتعيين وإقالة الوزراء وقبول إستقالتهم . بدا تركيز السلطة بأيدى الملك وكأنه إنعكاس لرغبة الملك فيصل فى المبادرة بإجراء تغيير بدون الإضطرار للتكيف والمواءمة مع المطالب المتصارعة . حيث استهل الملك فيصل عملية التغيير الموجه عام ١٩٦٢ ببرنامج النقاط العشر ، الذى عقلن وبرر بمفاهيم إسلامية :

« الإصلاح يهدف تحقيق نظام موحد للحكم قائم على مبادىء الشريعة . فالقانون الأساسى سيتم نشره ، ومستمد من القرآن ، السنة النبوية ، إجتهادات الخلفاء الراشدين ، وأهل السنة من السلف الصالح . وسيتم إعلان المبادىء الأساسية للحكم والعلاقة بين الحاكم والمحكومين (٤) .

بمزيد من التفصيل ، تعهد برنامج الملك فيصل بما يلى :

(١) إعادة تأكيد التزام الدولة بالقانون الإسلامى ، ويعد بإصدار دستور وإقامة مجلس شورى .

= « لقد واجهت العائلة المالكة خيارا : إما أن تترك العرش الملكى يتحطم أو تضع نهاية للصراع بين سعود وفيصل . ولقد فضلنا بالتضحية بسعود لصالح البلاد » . وردت العبارة السابقة فى ــ جيرالد دى جورى ــ فيصل ملك السعودية ــ نيويورك : برايجر ، ١٩٦٦ ص ١٣٤ .

(٤) وردت فى ــ نورمان والبول وآخرين ــ دليل مناطق السعودية ــ واشنطن : مكتب المطبوعات الحكومية ، ١٩٦٦ ، ص ١٥٦ ــ ١٥٧ .

(٢) يتعهد بتنفيذ النظم التى يتم على أساسها تشكيل حكومات إقليمية فى كافة مناطق المملكة.

(٣) إعلان إستقلال النظام القضائى، ويعد بإقامة مجلس أعلى للقضاء ووزارة للعدل.

(٤) إعلان تشكيل مجلس القضاة من عشرين عضواً يختارون من بين القضاة علمانى التعليم، وعلماء الدين والقضاة الشرعيين.

(٥) فرض تطبيق الإعلام الإسلامى والدعوة.

(٦) إعلان إصلاح لجنة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

(٧) إعلان عزم الحكومة على تبنى سياسية تنمية إجتماعية وتحقيق رفاهية المواطنين، والسيطرة على الأسعار، وتخصيص دعم حكومى لطلاب المدارس، وتقديم نظم رعاية وأمن إجتماعى، وسن قانون لحماية العمال من أصحاب العمل، والإستعداد لإعادة تنشئة وتدريب وتشغيل العاطلين.

(٨) إعلان تقديم تشريعات ملائمة لتنظيم الأنشطة الإقتصادية والتجارية والتأكيد على تحقيق التقدم، التنمية الإقتصادية، تشجيع الاستثمار المالى.

(٩) التعهد بدعم ومساندة جهود تطوير موارد البلاد والبنى الأساسية.

(١٠) إلغاء العبودية والرق في المملكة (٥).

رغم أن برنامج النقاط العشر قد إفتتح حقبة التغيير، إلا أنه كان قاصراً على المجالات التعليمية والإقتصادية، وإصلاحات إجتماعية محدودة. وعلى الجبهة السياسية، لم يتم تقديم الدستور المقترح ولا إقامة مجلس شورى، ولا تشكيل حكومات محلية وإقليمية.

التوسع فى النظام التعليمى:

يرجع تاريخ المنشآت التعليمية الموجودة فى مناطق عديدة من السعودية حتى الآن إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، وهذه المنشآت الباقية تعكس الظروف الإقتصادية والإجتماعية والإدارية آنـذاك. بالإضافة إلى (الكتاب أى مدارس الحضانة القرآنية) والتى تخصصت فى حلقات التعليم فى منازل العلماء المشهورين وفى المساجد الكبيرة، وبالمثل كان أهل الخير والمحسنون يرعون المدارس الخاصة مثل مدارس الفتح فى مكة وجدة.

أنشىء التعليم العلمانى رسمياً فى المملكة العربية السعودية عام ١٩٢٥؛ عندما أمر ابن سعود بإنشاء الإدارة العامة للتعليم. ولقد عارض العلماء إدخال التعليم الحديث خشية تدميره بنسج المجتمع الوهابى. وتحت إصرار إبن سعود حدث تقدم ملموس فى الفترة

---

(٥) أنظر، جورج لينزوفسكى ـ السعودية : التقليد والإصلاح ـ فى كتابه ـ اليقظة السياسية فى الشرق الأوسط ـ انجلوود كليفيز: برنتيس هول، ١٩٧٠. ص ١٧١، وفؤاد الفارسى ـ مفهوم الملك فيصل لتطور السعودية ـ مجلة الطالب ـ ١ ـ رقم ٢ ـ جامعة الرياض.

من ١٩٢٥ حتى ١٩٥٣ حيث إستبدلت الإدارة العامة للتعليم بوزارة التعليم وترأسها الأمير فهد. وتضمنت هذه التطورات إنشاء أقسام للتعليم الإبتدائى، الثانوى، تدريب المعلمين، التعليم الفنى، البرنامج المدرسى لدراسة الطلاب السعوديين فى الخارج، وانشاء أول مؤسستين للتعليم العالى: كلية الشريعة، كلية المعلمين، وكليهما فى مكة.

فى عام ١٩٤٨، كان عدد المدارس الإبتدائية ١٨٢ مدرسة تسع ٢١,٤٠٩ تلميذ. وفى عام ١٩٥٢ وصل عدد المدارس إلى ٣٠١ مدرسة تسع ٣٩,٩٢٠ طالب(٦). وفى عام ١٩٦٠ــ ١٩٦٢، بدأ النظام التعليمى السعودى إتباع تغيرات أسرع. كانت هذه التغيرات دليلاً على تزايد النفقات العامة، وتزايد أعداد المدارس والمعلمين، الطلاب، الخريجين، وتأكيد جديد على التدريب الفنى والتعليم العالى، وتعليم البنات. بالمقارنة مع الإنفاق العام، خصص ١٦٨,٨ مليون ريال سعودى للتعليم (٤٥ مليون دولار) فى عام ١٩٦٠ــ ١٩٦١، بينما وصل الإجمالى المخصص له عام ١٩٧٤ــ ١٩٧٥ إلى ٥٢٣,٩ مليون ريال سعودى (٣٦١,٩ مليون دولار)(٧).

---

(٦) مكتب إحصائيات اليونسكو ــ الدراسات التعليمية والتوثيقية ٤ــ رقم ٥٣ (١٩٦٥) ص ١٦.

(٧) أنظر الكتاب الإحصائى، ١٩٦٨ ــ الرياض: قسم الإحصاء المركزى، ١٩٦٩، ص ١١٧، والشرق الأوسط وشمال افريقيا ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ ــ لندن: مطبوعات أوروبا، ١٩٧٥ ص ٦٠٥.

هناك دليل آخر على تنامى التأكيد على التعليم يتجسد فى تزايد حجم المدارس وقدرتها على إستيعاب الطلاب. ففى عام ١٩٦٠، على سبيل المثال، تم تسجيل ١١٥,٠٠٠ طالب فى المرحلة الإبتدائية، ٩,٥٠٠ فى التعليم الأساسى العام المتوسط [٨]، ٢,٠٠٠ فى المتوسط المهنى، ٣,٥٠٠ فى المرحلة الثانوية لإعداد المعلمين، ١,٣٠٠ فى الكليات والجامعات بالإضافة إلى ٢٠٠ مدرسة تم بناؤها لإستيعاب هذه الزيادة الهائلة [٩].

إستناداً إلى الطابع الدينى للمجتمع، وإتساقاً مع التبرير السعودى للتغيير فى إطار مفاهيم الدين، أشار صناع السياسة التعليمية السعودية إلى:

يستهدف التعليم السعودى تعريف الطلاب بالإسلام معرفة صحيحة وبإسلوب واضح، وغرس ونشر العقيدة الإسلامية، تزويد الطلاب بالقيم التعاليم، المثل الإسلامية وتزويدهم بالمهارات المختلفة، والمعارف لتطوير سلوكهم فى إتجاه بناء وإيجابى. وتطوير المجتمع إقتصادياً وإجتماعياً وثقافياً [١٠].

تكرر ذكر نفس الهدف فى الخطة الخمسية الثانية(١٩٧٥ــ

(٨) الكتاب الإحصائى، ١٩٨٠ ــ الرياض: وزارة التخطيط، ١٩٨٠ ص ٨٨ ــ ٨٩.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) الحكومة السعودية ــ السياسة التعليمية فى السعودية ــ المقال ١٥٣ ــ الرياض: وزارة التعليم د. ت.

١٩٨٠) التى ركزت على «الحفاظ على التمسك بالقيم الإخلاقية والدينية الإسلامية لتطوير وتنمية الموارد البشرية » [١١] .

فى المرحلة الأولية يمكن التأثير الدينى على التعليم بسهولة نسبية حتى المرحلة الثانوية ، أما فى المراحل الجامعية والعليا يصبح من الصعب الحفاظ على هذا التأثير. فلا يمكن أن تسود الموضوعات الدينية المناهج الدراسية فى الكليات العلمانية ؛ ولا يمكن مراقبة الطلاب طيلة الوقت عند وجودهم للدراسة فى الخارج . ويوضح أى فحص للجامعات السعودية أن تنمية الموارد البشرية أهم أهداف الحكومة وأن عدد الطلاب المقيدين للدراسة فى الموضوعات الدينية أقل من أولئك المقيدين فى المؤسسات العلمانية [١٢] . فالكليات العلمانية الرئيسية هى جامعة الرياض (١٩٥٧) جامعة الملك عبدالعزيز وكلياتها فى جدة ومكة (١٩٦٧) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى الرياض (١٩٧٤) جامعة الملك فيصل فى الدمام والهفوف (١٩٧٥) جامعة البترول والمعادن فى الظهران (١٩٧٥) . رغم أن هذه الجامعات ، بإستثناء جامعة البترول والمعادن ، تمنح درجات علمية فى الشريعة والدراسات الإسلامية ، إلا أن تركيزها الأساسى على تنمية الموارد البشرية . وتضم أكثر من ٢٤ ألف طالب مقيد للدراسة بها ابان العام

(١١) الإطار العام للخطة الخمسية الثانية ـــ الرياض : وزارة الإعلام ، ١٩٨٠ ص ١ .

(١٢) جمعت المعلومات خلال مقابلات شخصية مع المعلمين السعوديين اثناء البحث عامى ١٩٧٩ ـــ ١٩٨٠ .

الجامعي ١٩٧٩ــ ١٩٨٠. والجامعة الإسلامية الرئيسية في السعودية (١٣) هي الجامعة الإسلامية في المدينة والتي تضم حوالى ٣٨٠ طالب في العام نفسه. وهناك مؤسسات أخرى للدراسات الدينية تقدم دورات في الدعوة، الشريعة، الدراسات الدينية والقرآنية، لكن يتبقى عدد الطلاب بها منخفضاً. بالإضافة إلى ٢٤ ألف طالب سعودى يدرسون فى السعودية، هناك أكثر من ١٣ ألف طالب ترعاهم الحكومة يدرسون فى الجامعات الأمريكية فى الوقت الحاضر. وتتراوح الموضوعات التى يدرسونها من علوم الكمبيوتر، الهندسة، التغذية، تكنولوچيا البوليس. وعدد محدود منهم فقط يدرسون الموضوعات الإسلامية على سبيل المثال، من وسط ٢٨٠ طالب سعودى فى الولايات المتحدة إبان العام الجامعى ١٩٧٩ــ ١٩٨٠، نجد فقط ٧ طلاب قيدوا لدراسة الموضوعات الدينية (١٤).

رغم معارضة العلماء السعوديين لتعليم المرأة، أدخل صناع التعليم السعودى هذا النوع من التعليم عام ١٩٦٠. حيث كان تعليم المرأة قبل ذلك متاحاً فقط فى المدن الكبرى مثل، جدة، المدينة، مكة، الرياض. حيث تتلقى البنات تعليمهن من معلمات خصوصيات أو فى المدارس القرآنية (الكُتّاب)، حيث تنتظم عدد صغير من

---

(١٣) جريدة الجزيرة ٧ يونيو ١٩٨٠ ــ لمزيد من المعلومات عن عدد الطلاب السعوديين الدارسين بالخارج وتخصصاتهم، أنظر، «الإتبعات الخارجى» فى المرجع نفسه.

(١٤) أخبار المتنعث رقم ١٢.

البنات فى فصول ، حيث تتعهدهن معلمات يقمن على تحفيظهن القرآن وحل مسائل حسابية بسيطة . وتقوم العائلات الغنية بتوظيف معلمات خصوصيات يعيشن معهن ويعملن كمعلمات ومستشارات وممرضات وجليسات أطفال .

كان يوجد أيضاً عدد محدود من المدارس الخاصة العلمانية للبنات فى منطقة الحجاز، بعضها يتبع منهج وزارة التعليم ، بينما طورت مدارس أخرى مناهج خاصة . وبوجه عام ، كان هناك كثيرون لم يتقبلوا فكرة تعليم البنات وإعتبروها طريقاً لإنحلالهن وفسادهن الأخلاقى وتمردهن على تقاليد المجتمع .

لقد مُنح الإعتراف الرسمى بحق المرأة فى التعليم الرسمى ، عام ١٩٥٩ عندما أُذيع خطاب ملكى يشير لإتخاذ القرار بفتح مدارس حكومية لتعليم البنات تحت رقابة لجنة مسؤولة أمام المفتى الأكبر(١٥) . ووضع تعليم البنات تحت رقابة العلماء كان إجراء ضرورى لتأمين وضمان موافقتهم . فى العام التالى ، أنشئت الرئاسة العامة لمدارس البنات . وهذه الهيئة كانت فى الواقع بمثابة وزارة ، يديرها شيخ له نفس سلطات ، إمتيازات ، مكانة الوزراء .

فى النهاية ، أدى التوسع فى التعليم الإبتدائى والثانوى للبنات إلى إنشاء مؤسسات جامعية للمرأة . ففى عام ١٩٦٠ــ ١٩٦١ إنتظمت فقط أربع فتيات فى فصول نسائية بجامعة الرياض ، وبعد

---

(١٥) أم القرى ، ٢٣ إكتوبر ١٩٥٩ .

مرور خمس سنوات، تزايد عددهن إلى ١٨ طالبة. وغير ذلك، يمكن للطالبات أن يدرسن فى المنزل ويحصلن على درجاتهن الجامعية فى العلوم أو الآداب. وتقدم جامعة الملك عبد العزيز فى جدة دورات فى الآداب والعلوم، وللجامعة فرع فى مكة يقدم دورات فى الشريعة والآداب. وعندما *لا يكن متاحاً وجود معلمات، كما هو الحال فى معظم الجامعات وبسبب حظر إختلاط النساء بالرجال، تستخدم الدوائر التليفزيونية المغلقة لإذاعة المحاضرات التى تلقيها محاضرات من النسوة.

رغم التوسع فى تعليم المرأة، ظل هدف التعليم هو تربيتها «تربية إسلامية صحيحة تمكنها من الوفاء بدورها فى الحياة كزوجة ناجحة، وزوجة مثالية، وأم صالحة، وإعدادها لنشاطات أخرى تلائم طبيعتها مثل التدريس، التمريض، والمهن الطبية» (١٦). فضلاً عن ذلك، التزمت السياسة التعليمية السعودية بمنع التعليم المختلط فى كل المراحل فيما عدا مستوى الحضانة.

وتعكس السياسة التعليمية السعودية رغبة الحكومة فى التطور المادى، ومع ذلك الحفاظ على الوهابية كأيديولوچية موجهة لخلق وتنشئة جيل جديد شاب من الوهابيين متمكن من الإسلام والأصولية الوهابية وبالمثل مهندسين أكفاء وخبراء كمبيوتر. ولكن حقيقة الوضع تشير إلى ذبول التعليم الدينى، وتزايد أعداد المدارس

(١٦) الحكومة السعودية ـــ السياسة التعليمية فى المملكة ص ٣٣.

العلمانية. وجاءت المضامين السياسية لتزايد أعداد السعوديين علماني التعليم كما يلى:

أولاً: ستؤثر رغبة جماعة المتعلمين فى مشاركة سياسية أوسع على النظام وقد تؤدى فى النهاية إلى إزالة الطابع العشائرى له.

ثانياً: تعنى زيادة أعداد السعوديين علمانى التعليم ظهور «رؤية شاملة» تختلف عن رؤى الكبار وعلماء الدين. وبالتالى توسيع دورهم فى الحكومة وفى المجتمع مما يؤدى إلى تكثيف التوتر وزيادة حدة الصراع مع السلفيين.

التقدم الإجتماعى الإقتصادى:

بدأت عوائد البترول فى الخمسينات تلعب دورها فى تحويل السعودية من بلد فقير نسبياً، ومجتمع منعزل ومغلق إلى مجتمع متطور يتخذ طريقه نحو التنمية والإتصال بالعالم الخارجى. وبحلول النصف الثانى من السبعينات تزايدت بإستمرار دخول النفط: حيث بلغت (٠,٦ بليون) دولار عام ١٩٦٩، ثم (١,٢) بليون دولار عام ١٩٧٠، ووصلت إلى (٤,٣) بليون عام ١٩٧٣. وفى عام ١٩٧٤ فى أعقاب حرب إكتوبر وصلت (٢٢,٥) بليون دولار. ونتيجة لزيادة أسعار البترول بنسبة أربعة أضعاف السعر السابق، وصلت فى عام ١٩٧٧ إلى (٣٧) بليون دولار، وتضاعفت تقريباً مرة ثانية عام ١٩٧٩ لتصل إلى (٧٠) بليون

دولار فى أعقاب ثورة الخومينى ، لتصل إلى (٩٠) بليون دولار عام ١٩٨٠ (١٧).

بإعتبارها أولى الدول المنتجة للبترول ، وصاحبة أعلى عوائده ، وبسبب رغبة العائلة المالكة لإدخال عملية تغيير إقتصادى وإجتماعى والتحكم فى إتجاهه ، إنخرطت المملكة العربية السعودية فى تنفيذ أكثر خطط التنمية طموحاً ، وتطبيق أضخم برنامج للإنفاق العام فى الوطن العربى ــ فخطة التنمية الخمسية الثانية قدر لها (١٤٥) بليون دولار (١٩٧٥ ــ ١٩٨٠). والخطة الخمسية (١٩٨٠ ــ ١٩٨٥) كانت ميزانيتها (٢٥٠ ــ ٣٠٠ بليون دولار) (١٨). أثر التخطيط والإنفاق الحكومى تأثيراً عميقاً على المجتمع السعودى ، فلقد كان الإقتصاد السعودى حتى الأربعينات إقتصاداً رعوياً يقوم على تربية الماعز، الأغنام ، والإبل . وكان أغلبية السكان فى الحضر يعيشون فى قرى صغيرة فى منازل طينية ، ويتكسبون معاشهم من الزراعة . بإستثناء قطاع البترول لا يوجد أى نشاط صناعى ، لكن التجارة نشاط هام فى المراكز الحضرية ــ وفى مدن مكة ، المدينة ، جدة كان الحج مصدراً رئيسياً للدخل .

تفذت السعودية عدد من مشروعات التنمية لتحسين ظروف معيشة السعوديين ، نتيجة للزيادة المستمرة فى دخل البترول منذ

---

(١٧) سعد الدين ابراهيم ــ النظام الإجتماعى العربى الجديد بولدر، كولو: ويستفيو، ١٩٨٢ ص ٩٥.

(١٨) الجزيرة رقم ٢٨٨٠ ، ١٨ يونيو ١٩٨٠ .

بداية الستينات. ففي العقد الأخير وحده، تم توصيل التيار الكهربائى إلى ألفين قرية، ورصف أكثر من ١٥ ألف كم من الطرق الممهدة، وتركيب (٧٠٠) ألف هاتف، وبناء (٣٠٠) ألف مسكن (١٩). وإزداد عدد الأطباء من أقل من ألف طبيب إلى ٤ آلاف خلال ثلاثة أعوام. وحديثاً، أنشأ مؤسستين صناعيتين من المنشآت العملاقة فى ينبع والجبيل. وبوجه خاص، ستتسع أطراف مدينة الجبيل مع التنمية الصناعية ــ فلقد خطط لإنشاء ١٠٠ ألف وحدة سكنية لتلائم نموها.

حددت خطة التنمية الخمسية الحالية هدفها الأولى فيما يعد إنعكاساً لدور الدين فى عقلنة التغيير وتبريره: «الحفاظ على القيم الدينية والتقاليد» ويلى هذا أهداف «تحسين مستويات المعيشة للسعوديين، وتحقيق رخائهم، الحفاظ على الأمن القومى، والإستقرار الإقتصادى» (٢٠). ومع ذلك، رغم تحقيق التنمية المادية والإقتصادية، كانت نتائج عملية التغيير:

(١) ذبول القيم التقليدية.

(٢) تهديد الطابع العشائرى للنظام.

---

(١٩) سعد الدين ابراهيم ــ النظام الاجتماعى العربى الجديد ص ١٠٥. ولمزيد من المعلومات عن الزيادة المستمرة فى صناعة التشييد فى السعودية، انظر، آرامكو ــ دليل مقاولى البناء فى المملكة السعودية ــ الظهران ــ الادارة المحلية للتطوير الصناعى، ١٩٨٠، آرامكو ــ صناعة التشييد فى المنطقة الوسطى ــ الظهران ــ ١٩٧٨ آرامكو ــ السوق السعودى لمواد البناء الظهران، ١٩٧٩.

(٢٠) هذه الأهداف طرحتها إستراتيجية تطالب ب: (١) الإسراع بزيادة معدل النمو فى الانتاج المحلى، (٢) تطوير القوى العاملة البشرية، (٣) تنويع مصادر=

ذبول الثقافة التقليدية :

لم تتعرض المملكة العربية السعودية لأية تجربة إستعمارية، في الحقيقة بقى معظم سكانها في عزلة عن المؤثرات الثقافية الخارجية حتى بداية الأربعينات. وحقيقة إضطرار إبن سعود لمحاربة العلماء في الثلاثينات لإدخال نظام تعليمي علماني، والوسائل الحديثة مثل السيارة، المذياع، الهاتف يظهر مدى هذه العزلة الثقافية البدائية. لكن، رغم ذلك، تغلغلت المؤثرات الثقافية الخارجية الراهنة في أحشاء المجتمع السعودي من خلال : الإغتراب والنزعة الإستهلاكية [21]. فلقد أدى التزايد المستمر في أعداد الأجانب

= الدخل لتخفيض الإعتماد الاقتصادي على البترول بزيادة إسهام المنتجات المحلية غير النفطية. وإستندت سياسة التنمية على أهداف : (١) إحتياطي عملة أجنبية تكفي للحفاظ على واردات البلد لمدة عامين. ولتحقيق هذه الأهداف، خصصت نفقات الحكومة في ثلاث إتجاهات : (١) تمويل البنى الأساسية الإجتماعية والمادية (٢) مد التمويل لمساعدة المؤسسات الخاصة والمستهلك الخاص. (٣) بناء وتجميع مدخرات البلد من العملة الأجنبية وإعتماداتها. لمزيد من المعلومات عن الأهداف الاقتصادية للحكومة ــ انظر، الإطار العام للخطة الخمسية الثانية، الرياض : وزارة الإعلام، ١٩٨٠، وأ.م. شرشر البترول، الدين، التجارة : دراسة حالة للنظام الاقتصادي السعودي ــ دراسات مقارنة للتنمية الدولية ــ ١٢ ــ رقم ٣ ــ خريف ١٩٧٧. وينبغي ذكر أن البترول هو المساهم الأعظم في دخل الحكومة. وهذا القطاع يساهم بنسبة ٦٠٪ من تمويل خطة التنمية، ٩٠٪ من دخل الحكومة عام ١٩٧٢. والمعلومات عن التنمية الإقتصادية السعودية مستمدة من مقابلة مع ويليام هوستكر في آرامكو، ٢٠ فبراير ١٩٨٠.

(٢١) ارتفعت الواردات أكثر من ٣ بليون دولار عام ١٩٧٤ إلى ١٧ بليون دولار عامي ١٩٧٨ ــ ١٩٧٩.

الذين يزورون البلاد، أو يعملون بها، وأعداد السعوديين المسافرين للخارج إلى ذبول وتآكل الثقافة التقليدية. ففى عام ١٩٧٩ وحده، كان مايقرب من ٢,٥ مليون يعملون أو فى زيارة للسعودية. ويوازى هذا العدد حوالى نصف عدد السكان بها. وسافر مايقرب من ٩٠٠ ألف سعودى للخارج فى نفس العام [٢٢]، وهو مايمثل خمس عدد السكان. ولإيضاح تأثير السفر للخارج على الثقافة التقليدية، يمكننا ملاحظة أن ١٥٪ ممن يقومون بتلك الرحلات عام ١٩٧٩ كن من النساء. وهذه النسبة من النساء السعوديات اللاتى يسافرن للخارج لن يكن لها دلالة ملحوظة؛ مالم نضع فى إعتبارنا حقيقة أن المرأة السعودية لايمكنها الإختلاط بالرجل، وتبقى فى الغالب حبيسة المنزل. ومع ذلك لايمكن مراقبة تنفيذها ومراعاتها لهذه التقاليد فى الخارج [٢٣].

حتى يتضح مدى تأثير العمال الأجانب على المجتمع السعودى، ينبغى ملاحظة أن حجم العمالة الوافدة بلغت ٤٣٪ من إجمالى قوة العمل فى منتصف السبعينات [٢٤]. وكما هو واضح فى

---

(٢٢) سعد الدين ابراهيم ـ النظام العربى ص١٠٧.

(٢٣) لمزيد من المعلومات عن دور ووضع المرأة السعودية أنظر، كاترين بارسين ـ الدور المتغير للمرأة فى كتاب ـ الملك فيصل وتحديث السعودية لـ ويلارد. بلنج (محرر) ـ بولدر: ويستفيو، ١٩٨٠ ـ فاتنة شاكر ـ وضع المرأة فى الإسلام ودورها المتغير فى السعودية ـ رسالة ماجستير ـ جامعة تكساس للبنات، ١٩٦٦.

(٢٤) فى بعض أقطار الخليج (مثل قطر ـ الكويت ـ والإمارات العربية المتحدة يزيد عدد الأجانب عن السكان المحليين ـ أنظر ـ هجرة العمل فى السرق =

جدول (١١) نجد أن نصيب العمالة الأجنبية فى بعض القطاعات: أكثر من ٥٠٪ فى قطاع الصناعة، الكهرباء، التشييد والبناء والتجارة والمالية. وأضخم قطاع يجتذب العمالة الأجنبية هو البناء، حيث يوظف حوالى ٢٥٠ ألف عام ١٩٧٥، ٨٥٪ منهم أجانب. ويعكس إرتفاع نسبة الأجانب المغتربين دخول ثقافة غريبة وافدة على المجتمع. حيث لا يراعى هؤلاء الأجانب تجنب كثير من المحظورات الوهابية. وبالتالى، تصدر تعليمات وزارة الداخلية بإنتظام لتذكير هؤلاء الأجانب بمراعاة الثقافة السعودية والإلتزام بها.

إنعكس مدى هذا التغيير فى المجتمع السعودى بالزيادة الهائلة فى معدلات الجريمة، الطلاق، شرب الخمور، وباقى المؤشرات على المشاكل الإجتماعية. فى الفترة من ١٩٧١ حتى ١٩٧٥ تضاعفت حجم القوة البشرية الحكومية المسئولة عن السجون السعودية. حيث إرتفعت من (٢,٢٥٥) رجل بوليس وموظف مدنى إلى (٥,٥٤١) بمعدل زيادة (١٤٦٪) فى خمس سنوات. وفى الفترة من ١٩٧٥ـ ١٩٧٩) حسب الإحصاء الرسمى لمعدلات الجريمة، إرتفعت الجرائم بنسبة (١٦٩٪). وكانت الزيادة الرئيسية فى جرائم القتل المرتبطة بالشرف والثأر (٩٤٪) وجرائم إقتصادية ومالية (١٥٤٪) وجرائم النصب والإحتيال (٣١٨٪).

ـ الأوسط ــ تقرير ميريب رقم ٥٩، ١٩٧٧ وسعد الدين ابراهيم ــ النظام العربى الجديد.

معدلات أفضلية المهن المختلفة:

جدول (١٠):

المهنة	العدد	النسبة المئوية
طبيب	١١٣	٤٢
رجل أعمال	٤١	١٥
عالم دين	٢٦	٩
موظف حكومى كبير	٢٢	٨
مالك أراضى	٢٠	٧
مهندس	١٩	٧
مزارع	١٩	٧
قاضى	٥	٢
تاجر صغير	٣	١,٥
عامل		,٥
إمام	١	,٥
مهن غير محددة	١	,
إجمالى	٢٧١	١٠٠

العمالة فى القطاع الإقتصادى وجنسيتها

جـــدول رقـم (١١)

القطـــاع	السعوديون		الأجـــانـب			
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	الأجمالى	نصيب السعودين
الزراعة والصيد	٥٣٠,٧٠٠	٥١,٧	٥٤,٩٠٠	٧,١	٥٨٥,٦٠٠	٩٠,٦٪
البترول والتعدين	١٥,٤٠٠	١,٥	١١,٦٠٠	١,٥	٢٧,٠٠٠	٥٧,٠٪
التصـــنيع	٢١,٥٥٠	٢,١	٩٤,٣٥٠	١٢,٢	١١٥,٩٠٠	١٨,٦٪
الكهرباء، الغاز، المياه	٧,٢٠٠	,٧	١٣,١٥٠	١,٧	٢٠,٣٥٠	٣٥,٤٪
التشييد، والبناء	٣٥,٩٠٠	٣,٥	٢٠٣,٤٠٠	٢٦,٣	٢٣٩,٣٠٠	١٥٪
تجارة الجملة والتجزئة	٣٠,٦٠٠	٥,٩	١٣١,٤٠٠	١٧,-	١٦٢,١٠٠	٣١٪
النقل ، التخزين ، المواصلات	٧٢,٩٠٠	٧,١	٣٠,٩٥٠	٤,-	١٠٣,٨٥٠	٧,٢٪
المالية والتأمين	٥,١٥٠	,٥	٦,٩٥٠	٩	١٢,١٠٠	٤٢,٦٪
الخدمات الاجتماعية والشخصية	٢٧٧,١٠٠	٢٧-	٢٢٦,٦٠٠	٢٩,٣	٥٠٣,٧٠٠	٥٥,-٪
الإجـــالى	١,٠٢٦,٥٠٠	١٠٠-	٧٧٣,٤٠٠	١٠-	١,٧٩٩,٩٠٠	٥٧,-٪

المصـــدر: احصاء سكان المملكة السعودية ١٩٧٤، مجلد ١ــ١٤،

وشهدت جرائم شرب الخمر وتعاطى المخدرات زيادة كبيرة، بنسبة ٤٠٠,١٪) عام ١٩٧٩. وتشير الإحصائيات الرسمية لزيادة الجرائم الأخلاقية (أى الزنا ــ الإغتصاب ..) بنسبة (١٥٠,٥٪) إبان نفس الفترة(٢٥).

رغم أن معظم هؤلاء المجرمين سعوديين، تصل نسبة الأجانب أكثر من (٤٠٪) من مرتكبى هذه الجرائم، وتحتل جرائمهم المالية والنصب والإحتيال نسبة (٤٥٪) من إجمالى قضاياهم. وهناك مؤشر آخر على ذبول القيم التقليدية يتمثل فى تزايد التعارض بين الأعراف والعادات المتفق عليها والسلوك والممارسات الخاصة. رغم أن المسارح العامة ما زالت ممنوعة قانوناً، ودور السينما الخاصة وأندية الڤيديو شائعة ومنتشرة، ورغم أن الوهابية تمنع تدخين السجائر، يخضع التبغ والدخان للضرائب الحكومية، ورغم أن الوهابية تمنع التصوير، نجد أن معامل التصوير ذائعة الانتشار.

المعارضة العلمانية والدينية للتغيير:

بسبب سياسة آل سعود الإصلاحية وتأييدهم للتغيير المادى وتأكيدهم فى نفس الوقت على التمسك بالوهابية، جاء رد الفعل على قيام الحكومة بحركة التغيير من إتجاهين:

العلمانيين، والسلفيين الإسلاميين، وكل منهما له برنامج متميز يطالب بإلغاء الحكم الملكى.

---

(٢٥) سعد الدين ابراهيم النظام العربى.

المعارضة العلمانية :

جاء أول تحدى سياسى يواجه حكم آل سعود فى أعقاب توحيد المملكة عام ١٩٣٢ من عمال آرامكو الذين قاموا بإضرابات عن العمل عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٦ . ويجب أن تنظر لهما في ضوء الظروف والنظم الحكومية الخاصة بالعمل والعمال ، خصوصاً قانون تنظيم العمل والعمال « الصادرة فى إكتوبر ١٩٤٧ . ويتضمن هذا القانون ٦٠ مادة تنظم نشاطات العمال ، وأهم أقسامه هى حظر إنشاء نقابات عمالية ، أو جمعيات للعمال ، ونظام تصاريح العمل (٢٦) .

ظهرت العلامة الأولى على معارضة العمال فى صيف ١٩٥٣ ، عندما نظمت لجنة عمالية فى الظهران ، وزعمت أنها تمثل (٦,٥٠٠) من عمال آرامكو، الذين يطالبون بزيادة الخدمات الإجتماعية وزيادة الأجور. وطالب أعضاء اللجنة بحق تشكيل نقابة عمالية ، من ولى العهد الأمير سعود عام ١٩٥٣ ولكنه رفض طلبهم . واعتقل ممثلى العمال ، وشكلت لجنة تحريات ملكية لتقصى أسباب مطالبة العمال بتشكيل نقابة عمالية .

أدى إعتقال قيادات العمال إلى تحويل مطلبهم بتكوين نقابات إلى خلق حركة معارضة لها قضيتها الخاصة ، وعلى إستعداد للاستشهاد فى سبيلها . وعجلّ سجن القيادات العمالية بحدوث

---

(٢٦) لوصف القانون ، انظر ، جورج لينزفسكى البترول والدولة فى الشرق الأوسط ـ اساكا ، نيويورك : مطبعة جامعة كورنيل ، ١٩٦٠ ص ٢٥٨ .

إضراب ١٣ ألف عامل فى آرامكو فى كل مناطق إنتاج البترول الحيوية (الظهران ـ رأس تنورة) ولمواجهة الاضراب، أرسلت قوات مسلحة إلى المنطقة الشرقية، وأمر ولى العهد الأمير سعود العمال بالعودة إلى العمل تحت التهديد بالطرد والفصل. وأدى إستمرار رفض العمال العودة إلى العمل إلى تزايد أعداد المعتقلين. فى النهاية أذعن العمال للأمر الملكى، وعادوا إلى العمل.

فما الذى كسبه عمال آرامكو؟ وما هى دلالة الإضراب؟ رغم عدم تحقيق أى تنازلات رسمية لصالح العمال، حقق أول إضراب عمالى فى تاريخ المملكة هذه المضامين:

(١) قامت آرامكو بإدخال إصلاحات إقتصادية إجتماعية فورية: برنامج إسكان عمالى، زيادة الحد الأدنى للأجر اليومى، تحسين سياسات الإدارة، إعادة دعم وإعانة الغذاء والكساء، إنشاء أول مدرسة لأطفال العمال، تخفيض ساعات العمل، تشكيل لجنة الإتصال بين العمال والإدارة.

(٢) أصبح الإضراب تحدى وخطر يهدد النظام السياسى القائم بعد أن كان نزاعاً صناعياً خالصاً، قبل إعتقال قيادات العمال.

رغم أن إضراب آرامكو عام ١٩٥٣ حركته أساساً عوامل إقتصادية، وقع إضراب عام ١٩٥٦ بسبب تزايد نزعة القومية العربية. فلقد وقع الإضراب أثناء زيارة الملك سعود للظهران. ففى يوم ٩ يونيو ١٩٥٦، بدأ الإضراب ولم يقدم المعارضون أى مطالب

إقتصادية، ولم يعلنوا أى إنتقاد للحكومة. بل «أعلنوا عن مشاعرهم القومية المعادية للإستعمار» (٢٧). وكان رد فعل الحكومة السعودية فورياً وقمعياً. بإعتقال قيادات العمال، وصدور إنذار يطالب بالعودة الفورية للعمل. وصدر مرسوم ملكى بملحق لقانون تنظيم العمل لعام ١٩٤٧، فى ١١ يونيو ١٩٥٦ يجرم الإضراب، ويعاقب القائمين به بالسجن.

بإعتقال قيادات العمال عام ١٩٥٦، وفرض قيود على إجتماعات العمال، ولأن معظم القوى العاملة أجنبية ومغتربة، خمدت نشاطات وفعاليات الحركة العمالية.

الأحرار فى العائلة المالكة:

طالبت زمرة الأمراء الأحرار التى ترأسها الأمير طلال الأخ الأصغر للملك سعود والتى ضمت أربع أمراء بتقديم مشروع للدستور وتشكيل مجلس تشريعى فى عام ١٩٦٢. وبصلاحياته كرئيس وزراء رفض الأمير فيصل طلبهم. حتى ظهر رفضه وكأنه يخلق الظروف لنشوء تحالف مؤقت بين الملك سعود والأمير طلال. وبإستقالة فيصل شكّل سعود فوراً مجلس وزراء جديد، وعين نفسه رئيساً للوزراء، وأسند منصبى وزير المالية والاقتصاد الوطنى للأمير طلال، ووزارة البترول والثروة المعدنية لعبدالله الترِيكى أحد القوميين العرب. وعلى الفور ظهرت سياسية الملك سعود التى ترمى لإستغلال الأمراء الأحرار، وعندما وجد نفسه على خلاف مع

---

(٢٧) لينزفسكى ـ البترول والدولة ص ٢٧٢.

مطالبهم بإقامة مجلس وطنى منتخب لإعداد الدستور. وزادت حدة التوتر بين الملك سعود والأمير طلال الذى بدأ ينتقد حكم سعود علناً، الأمر الذى أدى إلى طرده من مجلس الوزراء. وعلى الفور تنازل الأمير طلال عن لقبه الملكى عام ١٩٦٢ ولجأ إلى القاهرة، حيث شكل لجنة لـ «تحرير السعودية العربية». وكانت هذه اللجنة شديدة الضعف، ولم تجسد أى تهديد خطير على بقاء النظام. فلقد إفتقدت التأييد الجماهيرى ولأيديولوچية واضحة المعالم. وبعد إنهيار الناصرية فى نهاية الستينات، وتبنى الملك فيصل لسياسات إصلاحية، عاد طلال إلى السعودية، وإستعاد لقبه الملكى وإنغمس فى إدارة أعمال خاصة تجارية.

التأييد العسكرى للنظام الملكى:

كان العسكريون السعوديون عاملاً هاماً فى تأييد ودعم العائلة المالكة. ولكى نفهم دورهم، ينبغى الإلمام بطبيعة العلاقة بين الجيش والمجتمع. فالبناء والتنظيم الداخلى للمؤسسة العسكرية والظروف والبيئة المحيطة لها أهمية خاصة فى نسيج تلك العلاقة — لأن مؤسسة مثل الجيش لها قوة دفع خاص، وفى نفس الوقت تقف على أهبة الإستعداد للإستجابة للدفاع عن المجتمع ككل. وبكلمات أخرى، ورغم أى مستوى لإستقلال المؤسسة العسكرية السعودية، فإنها تعكس النشاطات الإقتصادية السياسية، الإجتماعية فى المجتمع.

على النقيض من معظم الجيوش العربية، لم يلعب الجيش

السعودى أى دور ملحوظ فى السياسة. ففى أعقاب المواجهة اليمنية السعودية (الخاطفة) عام ١٩٣٤، عندما ضم إبن سعود نجد ان، تم تخفيض حجم القوات السعودية للحد الأدنى. وفى عام ١٩٤٨، سمح إبن سعود للولايات المتحدة بإستخدام القواعد والمنشآت العسكرية السعودية فى الظهران، حيث تقع آرامكو، فى مقابل القيام بتدريب القوات الجوية السعودية الوليدة. وفى عام ١٩٥١، تم إنشاء بعثة التدريب الأمريكية لتحل محل البعثة البريطانية.

تأثرت رغبة آل سعود فى تحديث الجيش والسيطرة على نشاطه بعاملين:

(١) وعى العائلة المالكة الحاد بالدور الذى لعبته المؤسسات العسكرية فى الوطن العربى كقوة لزعزعة الإستقرار.

(٢) حماية مصادرها النفطية المترامية، بإنشاء وتنظيم وتدريب مؤسسة عسكرية حديثة مدربة [٢٨]. ولقد تحققت الحاجة لإنشائها لأول مرة أثناء الحرب اليمنية (١٩٦٢ـ ١٩٧٠)، وللمرة الثانية كنتيجة للحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٦٧. حيث أظهرت الحرب اليمنية عجز الجيش السعودى فى مواجهة الجيش الجمهورى اليمنى المدعوم من مصر الناصرية، وفرضت الحرب العربية الإسرائيلية على آل سعود أن المشاركة فى أى مواجهة عربية إسرائيلية مقبلة ضرورة حتمية لإعتبارات داخلية وعربية. بالإضافة

---

(٢٨) جون أ. شاو، ديفيد لونج ـ تحديث السعودية ـ واشنطن: جامعة جورج تاون، مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية ـ ١٩٨٢ ص ٦٦ ـ ٦٧.

إلى أن الإنسحاب البريطانى عام ١٩٦٨ من منطقة الخليج خلق فراغاً أدرك السعوديون أنهم مطالبون بملئه.

هكذا، بدأت النخبة السياسية السعودية الحاكمة زيادة حجم الجيش وتحديثه. وتبلغ القوة الحالية للقوات المسلحة السعودية (٥٣ ألف) جندى، منهم (٣٤,٥٠٠) فى الجيش، (١٧ ألف) فى القوات الجوية، (١,٥٠٠) فى البحرية [٢٩]. وتضاعفت نفقات الدفاع الفعلية أربع مرات فى الفترة من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٤، من (١,٤٣٨) مليون دولار لتصل إلى (٦,٧٧١) مليون دولار، وتصبح تكلفة الإنفاق للفرد ١,٩٦٢ دولار أمريكى (وتبعاً لعدد السكان المقدر بأربعة مليون). وليس هناك أى إشارة على تخفيض الإنفاق العسكرى فى الثمانينات. وإذا كانت الصفقات العسكرية دليلاً على الانفاق العسكرى فهى تشير إلى ارتفاعه فى أعوام ١٩٨٠ — ١٩٨٢. على سبيل المثال، وقعت السعودية عام ١٩٨٠، عقد شراء صفقة عسكرية من فرنسا قيمتها (٣,٥) بليون دولار لشراء سفن إمداد عسكرى، سفن حربية، معدات قتال ساحلية، طائرات هليوكبتر للمعارك البحرية [٣٠].

رغم أن القوات المسلحة السعودية مؤيدة عموماً لآل سعود فلقد وقعت بعض محاولات إنقلابية ضد الحكم السعودى. ففى ١٩٤٥، حاول طيار عسكرى سعودى (عبد الله المنادلى) قذف خيمة إبن

---

(٢٩) المرجع السابق.

(٣٠) الجازيت، ١٥ إكتوبر، ١٩٨٠.

سعود على جبل عرفات. لكنه أخطأ التصويب على الخيمة، وإعتقل وتم إعدامه. وتم إعتقال عدد من الضباط وطيارى القوات الجوية بشبهة الإشتراك فى مؤامرة إغتيال الملك سعود فى أعقاب الثورة العراقية فى ١٤ يوليو ١٩٥٨. وفى عام ١٩٦٢ تم إعتقال (٦) ضباط لإتصالهم بزمرة الأمراء الأحرار فى القاهرة، وفى عام ١٩٦٩ إكتشفت محاولة إنقلابية أخرى، واعتقلت مائة شخصية عسكرية [٣١]. وفى عام ١٩٧٧، حوكم عدد من ضباط الجيش أمام محكمة عسكرية لدورهم فى محاولة إنقلابية أخرى [٣٢].

لتجنب التهديد المحتمل ومخاطر المؤسسة العسكرية تبنى آل سعود سياسة مزدوجة:

أولاً: فصل الحرس الوطنى عن القوات المسلحة ووضعه تحت رئاسة الأمير عبد الله، أخ الملك فهد، وولى عهده. ويعمل الحرس كقوة مضادة للقوات المسلحة النظامية. فهو يتكون أساساً من (٢٠) ألف جندى نظامى ومتطوع، مزودين بأسلحة خفيفة وثقيلة معقدة والسمة الرئيسية للحرس هى تركيبه العشائرى القبلى، فكل أفراد الحرس الوطنى لهم أصول قبلية عشائرية، ويقوم بنائه وتنظيم كافة كتائبه ووحداته على قاعدة وأساس عشائرى. بالإضافة إلى دوره فى مواجهة القوات المسلحة، للحرس الوطنى وظيفة فى حماية

---

(٣١) المعلومات عن المعارضة داخل الجيش مستمدة من صوت الطليعة، ٢، رقم ٦، يونيو ١٩٧٤، والمعارضة السياسية فى السعودية ــ سان فرانسيسكو: صوت الطليعة، ١٩٨٠.

(٣٢) الشئون الأفرو أسيوية، ٩ نوفبر ١٩٧٧.

الأمن الداخلى، خصوصاً، فى مناطق إنتاج البترول. حيث يستخدم كرادع أمن داخلى ضد أى إنتفاضة أو تمرد محتمل.

السياسة الثانية التى تبناها آل سعود لتحييد التهديد المحتمل والمتوقع من القوات المسلحة، هى تقديم منح مالية وعطايا. فلقد وضع الحكام السعوديون قوائم تضم الشخصيات التى تتلقى تشجيعاً ودعماً مالياً، وتم إلحاقهم بالقوات المسلحة. ويمنحوا أراضى ومساعدات مالية لبناء مساكن لهم، ويمنح الضباط أراضى إضافية وقروض بدون فوائد لأغراض استثمارية. وفوق ذلك، تضاعفت معدلات أجور أفراد القوات المسلحة عام ١٩٨٠ حيث يتقاضى الضابط ملازم أول (٢,٤٤٥) دولار أمريكى شهرياً، واللواء (٦,٤٢٠) دولار شهرياً.

نظراً لحداثة تاريخ المؤسسة العسكرية السعودية لم تصنع لها تقاليد خاصة، ولا تستطيع المباهاة بسجل إنتصارات أو معارك تحرير وطنى. فلقد حشد إبن سعود البدو وقادهم للنصر فضلاً عن حداثة تكوينها، لم يتم تسييس القوات المسلحة السعودية. فلقد تحددت هويتها بالإلتصاق بآل سعود، وأدت سياسية الحكومة فى إختيار وإنتقاء أفرادها إلى جعل المؤسسة العسكرية مستفيد بارز من النظام الملكى. ورغم وقوع بعض المحاولات الإنقلابية المعروفة، إلا أنها كانت حوادث معزولة. فالمؤسسة العسكرية مؤيدة ومساندة لحكم آل سعود، وليس متوقعاً أن تشكل تهديداً لإستقرار النظام.

المثقفــون :

يستمد المثقفون مكانتهم البارزة فى النظم السياسية للبلدان النامية من دورهم فى صياغة المشاعر القومية والوعى بتوجهات وأهداف شعوبهم. «هم صناع الحياة السياسية فى البلدان النامية، هم المحرضون على العمل السياسى وزعمائه ومنظريه» (٣٣). وتتضمن جماعة المثقفين «كل الأشخاص الحاصلون على تعليم عالى حديث، وأصحاب الإهتمامات الفكرية والثقافية، وأصحاب المهارات الخاصة، وكلهم يندرجون فى إطارها» (٣٤). والمثقفون جماعة على درجة عالية من التسييس، ويلعبون دوراً حيوياً فى صياغة السياسات القومية.

نظراً لعدم وقوع السعودية تحت سيطرة أى شكل من أشكال الاستعمار وبسبب الطابع الحالى لنظامها التعليمى، لعب المثقفون السعوديون دوراً ضعيفاً وهامشياً فى السياسات القومية. ورغم وجود عدد من حركات المعارضة السرية، فهى ما زالت ضعيفة وبدائية ومتخلفة، ويقطع كثيرون من أعضائها روابطهم ولا يعودون للملكة. وربما يعزى ذلك إلى قدرة النظام السياسى على توحيد هذه الجماعة ودمجها داخله، وإشباع رغباتها وحاجاتها المادية. وأيضاً يعود إلى فعالية قوات الأمن الداخلى السعودية.

---

(٣٣) إدوارد شيلز ـ المثقفون وتنمية الدول الجديدة ـ فى كتاب التنمية السياسية والتغيير الإجتماعى لـ: جاسون فنكل، ريتشارد جابل «محرر» نيويورك: جون ديلى، ١٩٧١، ص ٢٥٠.

(٣٤) نفس المرجع ص ٢٥١.

في عام ١٩٥٦ شكل بعض الشيوعيون السعوديون وأعضاء سابقون في لجنة العمال (جبهة الإصلاح الوطنى) وبعد عامين إنسحب الشيوعيون من الجبهة وشكلوا جبهة التحرير الوطنى، وكانت أهدافها :

«التغيير الشامل لكل ملامح الحياة فى السعودية، العمل على إقامة نظام دولة تعبر عن مصالح الشعب. النضال ضد الامبريالية الصهيونية الرجعية. المطالبة بدستور ديمقراطى يكفل الحقوق الأساسية للإنسان، بما فيها حق تكوين الأحزاب السياسية، النقابات العمالية، وباقى المنظمات الجماهيرية، حق الاضراب، التظاهر، الإجتماع ... المطالبة بإلغاء القواعد الأجنبية فى بلادنا، وإلغاء كافة المعاهدات العسكرية التى تقيدنا بها. وتريد الجبهة أيضاً مراجعة عقود الإمتيازات الحالية مع الشركات النفطية الإحتكارية الأجنبية، وإتاحة الفرصة لمزيد من المشاركة للدولة فى مجمل العملية من التنقيب حتى التسويق ... والدولة فى حاجة ملحة لانشاء قطاع عام إقتصادى وتؤيد الجبهة إقامة علاقات سياسية شاملة وتعاون اقتصادى وثقافى وثيق مع الإتحاد السوفيتى وكل دول الكتلة الإشتراكية[٣٥].

في نهاية عام ١٩٧٥ غيرت جبهة التحرير الوطنى إسمها ليصبح «الحزب الشيوعى السعودى العربى» وهو حزب محدود العضوية، لايزيد عدد العضوية عن ثلاثين، وبدون فاعلية تذكر. وهناك

---

(٣٥) وردت فى هيلين لاكر ــ بيت من رمال : الاقتصاد السياسى للسعودية ــ لندن : إيساكا، ١٩٧٨ ص ١٠٤.

جماعة معارضة أخرى ، وهى منظمة نشطة مؤثرة ظهرت فى الستينات ولم يعد لها تأثير على المسرح السياسى الآن وهى « إتحاد شعب شبه الجزيرة العربية » وهى منظمة ناصرية كان يقودها (ناصر سعيد) واعلنت عن نفسها بإصدار بيانات تدين الحكم السعودى (٣٦) .

من أكثر جماعات المعارضة فعالية وتنظيما الفرع السعودى لحزب البعث . وقد أنشىء عام ١٩٥٨ ، وأصبح فى عام ١٩٦٣ أكبر جماعة معارضة . وفى أعاقب الإنفصال بين البعث السورى والعراقى فى منتصف الستينات استقال عدد كبير من أعضاء الحزب استقالة جماعية ، بينما إتبع الباقون الخط السياسى للبعث العراقى . وأصبح الجناح البعثى السعودى الموالى للعراق أكثر فعالية وتأثيراً فى أوساط الطلاب الدارسين فى الخارج فى الولايات المتحدة الأمريكية . وأصدرت هذه الجماعة جريدة « صوت الطليعة » عام ١٩٧٨ ، ونشرت كتيبات ودراسات تنتقد آل سعود . وتوضح مراجعة أدبيات هذه الجماعة ، عجزها عن تجسيد أيديولوچية متماسكة . ليس هناك أى دليل على وجود برنامج أيديولوچى ، سواء فى الكتيبات أو فى المقابلات التى أجريت مع ثلاثة من أعضاء « صوت الطليعة » فى الولايات المتحدة (٣٧) .

---

(٣٦) تقرير ميريب رقم ٩١ إكتوبر ١٩٨٠ .

(٣٧) يمكن أن نلاحظ ضمن أدبياتهم : دعائم العرش السعودى العدل السعودى ، إعدام المعارضة السياسية للأمراء فى السعودية ، إستيلاء الإخوان الجدد على المسجد الحرام فى مكة .

يعد الحزب الديمقراطى الشعبى أكثر جماعات المعارضة السعودية راديكالية، انشىء عام ١٩٧٠ ويضم فى عضويته ماركسيين وقوميين عرب. ودافع الحزب عن السياسة الإقتصادية الماركسية، والنضال المسلح «لتحرير» الجزيرة العربية والوطن العربى ككل. وفى عام ١٩٧١، إنفصلت جبهة النضال الشعبى عن الحزب الديمقراطى الشعبى. وأصدرت مجلتها «النضال» وأصبحت نشاطاتها محدودة وقاصرة على المنشورات[٣٨].

كانت التنظيمات السرية السابقة ضعيفة ودورها محدود ومعظم عضويتها طلابية، من الدارسين فى الولايات المتحدة الأمريكية أو فى البلدان العربية، وإنسحب بعضهم بمجرد عودتهم إلى المملكة. ورغم الخلافات الأيديولوچية بينها، إتفقت جميعاً على المطالبة بإسقاط الحكم الملكى وإدخال شكل من أشكال النظام الإشتراكى. وأفضل تعبير عن هذه الآراء ورد فى خطاب نشره المجلس السعودى للسلم والتضامن فى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٧ فى جريدة المجلس «طريق الشعب» مقدماً بعض النقاط التى تدين الحكم السعودى:

«فشل فهد فى إنجاز الوعد الذى تعهد به فى أعقاب إغتيال الملك فيصل عام ١٩٧٥، بإقامة مجلس شورى وحكومة ديمقراطية ذات سياسة ليبرالية، والافراج عن بعض السجناء فى أعقاب إغتيال فيصل، لكن استمرت حملة الإعتقالات وبدأت تصفية

---

(٣٨) طريق الشعب ٢٦ سبتمبر ١٩٧٧ — أنظر أيضاً، المعارضة السياسية فى السعودية — سان فرانسيكو: صوت الطليعة، ١٩٨٠.

سياسية للمعارضين عام ١٩٧٧. ونحن نطالب بإعلان دستور وتكوين أحزاب سياسية، نقابات عمالية ومنظمات إجتماعية وثقافية ونطالب أيضاً بتأميم النفط السعودى [٣٩].

المعارضة الإسلامية:

رغم أن الدين هو أداة كسب الشرعية لحكم آل سعود بدأت المعارضة الدينية فى الظهور فى الأعوام الأخيرة، مطالبة بالإطاحة بالحكم السعودى وإقامة «جمهورية إسلامية حقيقية» وهناك جماعتان لهما أهمية خاصة: منظمة الثورة الإسلامية ومنظمة الإخوان الجدد.

الأولى: تأسست فى نهاية السبعينات، وحصلت على دعم مالى من إيران، وعضويتها قاصرة على شيعة السعودية. وتتبنى رؤية الخومينى فى الحكم الإسلامى ولقد حددت الجماعة أهدافها فى المنشور الذى وزعه أعضائه إبان موسم الحج عام ١٩٨١ فى مكة بعنوان **«كلمة الشعب»**: «باسم اللـه».

فى الوقت الذى إتجهت فيه الأمة الإسلامية إلى الإسلام الحقيقى بإعتباره الأمل الوحيد فى التقدم، الحرية، الإستقلال التام، واجهت الأمة عدو خطير يتمثل فى نظم حكم ما يسمى بالدول الإسلامية. والعائلة السعودية واحدة من هذه الأنظمة... ونظام حكمهم أخطر عدو للإسلام لأنهم يستخدمون مظلة الإسلام

---

(٣٩) منظمة الثورة الإسلامية ـ كلمة الشعب ـ (د.ن د.ت).

لتبرير حكم غير إسلامي... أسألوا أنفسكم : هل يسمح الإسلام للعائلة المالكة بإمتلاك القصور الفخمة والمشاركة فى المؤسسات الإقتصادية ؟

نحن نطالب :

(١) بالإيقاف الفورى لموجة الإعتقالات العشوائية فى القطيف والإحساء (كلاهما منطقتان للشيعة) والإفراج عن كل السجناء السياسيين ــ خصوصاً. أولئك المعتقلين من المنطقة الشرقية أثناء أدائهم للشعائر الدينية يوم عاشوراء.

(٢) ندين ديكتاتورية آل سعود ونطالب بدستور إسلامى لتأمين الديمقراطية وتقدم الشعب.

(٣) يدين شعبنا الإسلامى فى شبه الجزيرة العربية الشعب واحد ــ بصرف النظر عن المذهب الدينى ــ ويستنكر سياسية النظام الطائفية بإثارة السنة ضد الشيعة.

(٤) نطالب بتخفيض معدل إنتاج البترول.

(٥) نطالب بالعدل الإجتماعى للقضاء على بؤس الجماهير.

(٦) نطالب بإلغاء كل المعاهدات المبرمة مع الولايات المتحدة الأمريكية» (٤٠).

لإرتباط الحركة بإيران وتعبيرها عن مصالح الشيعة فى السعودية، بقيت أنشطتها بدائية ومحدودة.

---

(٤٠) جمعت المعلومات عن التمرد المسلح من برامج إذاعة الرياض، التى آذيعت أثناء الحادث، ومن الصحافة السعودية، ومقابلات شخصية مع شخصين سعوديين زعما معرفتها بجهيمان.

الإخوان الجدد: إقتحام الحرم المكى:

إقتحمت مجموعة من الأصوليين الإسلاميين الحرم المكى وإستولت عليه يوم ٢٠ نوفبر ١٩٧٩، وأعلنت إدانتها للنظام السعودى، وظهور المهدى المنتظر. وكان كل من ولى العهد الأمير فهد، وقائد الحرس الوطنى الأمير عبدالله خارج البلاد فى هذا الوقت. ولم تكن الحكومة السعودية جاهزة أو لديها الخبرة لمواجهة هذا النوع من العصيان المسلح. فالأمر ليس هجوماً على مقار الحكومة، أو معسكرات الجيش، أو محطات الإذاعة والتليفزيون، أو ذلك النوع من الحوادث الذى يمكنها سحقه بسهولة. وهو ليس هجوماً قامت به حركة متآمرة بتحريض من عناصر أجنبية بحيث يمكن القضاء عليها بسهولة. بل كان الإقتحام إنتفاضة إسلامية معارضة لما وصفه أعضائها بفساد الحكم السعودى وإنحلاله الدينى والأخلاقى، وطالبت الحركة بإحياء المجتمع الإسلامى الأول (القرن السابع الميلادى).

أكد حادث إقتحام الحرم المكى وجود ثلاث مشاكل عميقة الجذور فى العلاقة بين الدين والدولة فى السعودية:

(١) كيفية التوفيق بين الثراء السريع المفاجىء والتحديث المتلاحق الخطى من جانب، والإلتزام بالوهابية وليدة القرن الثامن عشر من جانب آخر.

(٢) حقيقة أن الأصولية الإسلامية لاتتوافق دائماً مع نظم الحكم الملكية.

(٣) وضع العائلة المالكة وتعرضها لهجمات العناصر العلمانية والأصولية الإسلامية.

ستظهر لنا دراسة هوية المتمردين وأيديولوچيتهم وأهدافهم إشكالية آل سعود فيما يتعلق بالحفاظ على الدين كايديولوچية للدولة بينما يشجعون التطور المادى.

الخليفـــــة:

كان جهيمان العتيبى منظم وقائد ومنظِّر حركة الإخوان الجدد، عضواً سابقاً فى الحرس الوطنى، وطالب بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية فى مكة[٤١]. أما المهدى المنتظر المزعوم ــ محمد بن عبدالله القحطانى؛ كان طالباً سابقاً يتعلم أصول الدين على يد الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس المجلس الأعلى للإفتاء والبحوث والدعوة، وقبيل إلتحاقه بحلقة الشيخ إبن باز فى بداية السبعينات، كان القحطانى يعمل فى مستشفى الشميسى المركزى بالرياض، وأتهم فى قضية سرقة، وعوقب بالسجن لفترة

(٤١) أول إشارة لعدد المتمردين قدمها سعود الفيصل الذى ذكر أن «من المعلومات التى حصلنا عليها، أن عدد الرجال داخل المسجد لا تتجاوز (٢٠٠) وهم من جنسيات مختلفة، ومزودين بأسلحة خفيفة» الجزيرة ٢٢ نوفبر ١٩٧٩. الشيخ محمد بن سبيل إمام المسجد، حدد العدد تقريباً ما بين (٣٠٠ ــ ٤٠٠) البلاد ٢٤ نوفبر ١٩٧٩. الضابط محمد النفيع المتحدث الرسمى لوزارة الدفاع حدد العدد ما بين (٣٠٠ ــ ٥٠٠) الجزيرة ٢٨ نوفبر ١٩٧٩. ولقد عارض الأمير نايف هذا التقدير الأخير وذكر أن: (من المعلومات التى لدينا.. عددهم (٢٠٠) أو ربما أقل كثيراً) الجزيرة ٢٨ نوفبر ١٩٧٩.

قصيرة. بعد الإفراج عنه، أصبح متطرفاً دينياً والتحق بالجامعة الإسلامية، حيث إلتقى بجهيمان، وفى عام ١٩٧٩، تزوج بشقيقة جهيمان.

ظل عدد المتمردين الحقيقى مجهولاً. ومع ذلك يقدره البعض بحوالى ٤٠٠ شخص (٤٢). والـ٣٦ فرد الذين تم إعدامهم علناً، معظمهم سعوديين من منطقة نجد، فى بداية وأواسط الثلاثينات. ومن غير السعوديين، هناك ١٠ مصريين، ٦ من اليمن الجنوبى، واحد من اليمن الشمالى، ٣ من الكويت، واحد من السودان، آخر من العراق (٤٣).

بالنسبة للخلفيات الإجتماعية للمتمردين، فالمتاح معلومات ضئيلة. إعتماداً على الخلفية الإجتماعية لقادة الحركة، ومن خلال مقابلات مع إثنين من أئمة المسجد الحرام بمكة، زعما معرفتهما بجهيمان. يلاحظ أن بعض المتمردين كانوا عاطلين، وآخرون يعملون باعة فى المحلات التجارية، وطلاب متفرغين بجامعة مكة (٤٤).

---

(٤٢) نشرت النهار أن عشرة مصريين كانوا أعضاء فى جماعة التكفير والهجرة ـ النهار ـ ١٠ يناير ١٩٨٠. تم إعدام ٣٦ متمردفى ثمانى مدن سعودية فى ٩ يناير ١٩٨٠ ـ لمعرفة الأسماء والجنسيات أنظر الجزيرة ـ ٩ يناير ١٩٨٠.

(٤٣) هذه المعلومات مستمدة من مقابلة شخصية مع اثنين ـ من الأئمة فى المسجد الحرام يوم ١٠ فبراير ١٩٨٠.

(٤٤) مرجع سابق.

الدعم المالى والتدريب العسكرى:

من الواضح أن المتمردين حصلوا على دعم مالى من داخل المملكة. وهناك إفتراض بوجود مصادر ثلاثة للتمويل:

المصدر الأول: جمع المعونات عن طريق بيع الكتب الدينية وإستجداء الهبات، لأنهم كانوا طلاب علوم الدين، ومسلمون أتقياء، منتظمون فى أداء صلاة الجماعة وحضور الدروس الدينية (٤٥). وأتاح لهم وضع سهولة مهمة جمع المال لتمويل الحركة.

المصدر الثانى: إفترضته مجلة «صوت الطليعة» تحديداً، حيث زعمت أن المتمردين حصلوا على مساعدات مالية من المنشقين فى الجيش، فى المؤسسات الدينية، وحتى من بعض أفراد العائلة المالكة (٤٦). وهذا يظل مجرد إدعاء يفتقر للمصداقية.

المصدر الثالث: كما ذكره ديفيد هولدن، ريتشارد جونز حول قيام ابن أحد كبار تجار جدة الأثرياء «يوسف باجنيد» ببيع أحد ممتلكاته الخاصة لتغطية نفقات شراء الأسلحة (٤٧).

---

(٤٥) ديفيد هولدن، ريتشارد جونز ـ البيت السعودى ـ نيويورك: هولت رينهارت، ١٩٨١ ص ٥٢١.

(٤٦) مرجع سابق.

(٤٧) ذكر الأمير نايف فى مؤتمر صحفى أنه تمت مصادرة الأعداد التالية من السلاح من المهربين فيما بين ١٩٧٧، ١٩٧٩:
- ٧,٢٥٨ بنادق يدوية، ٧٢٠,٥٧٥ طلقة نارية.
- ١,١٢٧ رشاش، ١٢٦,٤٨٩ طلقة. =

بالإضافة للمساعدات المالية، لم يواجه المتمردون أية عقبات فى الحصول على الأسلحة. وكان لديهم ثلاث مصادر متاحة:

الأول: أعضاء المجتمع القبلى العشائرى الذين يفخرون بإمتلاك السلاح، ممارسة هواية الصيد، ومعظم السعوديون يمتلكون السلاح وقبل وقوع التمرد المسلح لم يكن هناك إلا قيود ضئيلة على إمتلاك السلاح أو نقل السلاح وتجارته المزدهرة فى المملكة.

الثاني: تهريب السلاح من سوريا، الأردن، العراق والتى سهلت لهم الحصول على الأسلحة (٤٨).

الثالث: هاجم المتمردون ثكنة تابعة للحرس الوطنى بالقرب من جدة، وسرقوا منها أسلحة خفيفة (٤٩).

الأهداف والأيديولوچية:

حدد المتمردون أهدافهم فى كتابات جهيمان، وفى البيان المطول الذى أذاعوه أثناء إقتحامهم المسجد الحرام. وتكشف

= ـــ ١,٠٦٠ بندقية صيد، ١٣٧,١٢٠ طلقة.

ـــــــ ٣٦٣ أسلحة صيد خفيفة، ٦٠٠ طلقة.

ـــ ٤٨١ بنادق آلية، ٣٣٧,٠٣٤ طلقة.

ولمزيد من التفاصيل، انظر الجزيرة، ١٠ يناير ١٩٨٠.

(٤٨) ثورة فى رحاب مكة ـــ سان فرانسيسكو: صوت الطليعة، ١٩٨٠، ص ١٠٥ ـــ ١٢٣.

(٤٩) وقع حادث الإقتحام بينما كان المسلمون يحتفلون بمطلع القرن الهجرى الجديد. حيث يشاع أن المهدى سيظهر فى الكعبة.

كتابات جهيمان، وهذا البيان المطول عن الملامح الأيديولوچية للحركة، ويمكننا عن طريقها معرفة الوسائل التى برر بها المتمردون إقتحامهم للمسجد، وتوقيت الإقتحام، وإختيارهم محمد بن عبدالله القحطانى ليكون المهدى المنتظر.

هناك سبع كتيبات من تأليف جهيمان. تتناول القضايا الدينية وتقدم تلخيصاً لبعض أعمال ابن تيمية الفقيه الحنبلى البارز، وتدين علماء الدولة لتعاونهم مع آل سعود. والسمة الرئيسية لأيديولوچية المتمردين هى إعادة بناء مجتمع إسلامى على غرار ما كان معروفاً فى الجزيرة العربية إبان القرن السابع الميلادى (القرن الهجرى الأول). بكلمات أخرى، إحياء وبعث مجتمع يمكن تحقيقه بأيدى المهدى المنتظر. وإستشهد جهيمان بحديث منسوب للرسول محمد ـ ﷺ ـ يعتبر المجتمع الإسلامى يسير فى منحنى هابط، وتتابع عليه مراحل إنحطاط السلطة السياسية من عصر النبوة، ثم الخلفاء، الملكيات الشرعية، الملكيات الإستبدادية وفى النهاية يعود المجتمع الإسلامى للخلافة. والإنتقال من مرحلة لأخرى قدره الله. والمهدى المنتظر سيظهر فى نهاية عصر الملوك المستبدين ويحكم بالعدل والرحمة.

(يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً).

لم يقتحم المتمردون المسجد الحرام بإسلوب حركات التمرد المسلح الحديثة. بل إقتحموه مدفوعين بحلم وحماس متوهج لإستعادة نظام حكم متطهر نظيف، وإعادة الجزيرة العربية لفجر الإسلام.

وعقلنوا وبرروا إقتحامهم بالإستشهاد بأحاديث الرسول ـ ﷺ ـ التى تبشر بعودة المهدى المنتظر وظهوره داخل الكعبة فى نهاية القرن الهجرى، فى عصر ملك مستبد(٥٠). وإعتقدوا أيضاً أنه بمجرد ظهور المهدى، سيبايعه كل المسلمون، بينما يزول جيش الكفار. وإعتمدوا أيضاً على الحديث الذى نسبه جهيمان إلى النبى محمد ـ ﷺ ـ، وأذاعوه مرات عديدة أثناء إستيلائهم. على الحرم المكى: «.... ستنشق الأرض وتبتلع جيش الكفار الذى سيجىء لطرد المهدى».

فيما يتعلق بإختيارهم للمهدى المنتظر، زعم المتمردون أن محمد بن عبد الله القحطانى، توفر فيه الإسم المطلوب فى من سيكون المهدى، والصفات الجسمانية التى نسب الرسول وصفه للمهدى بها إزعم آخرون أن القريشى توفرت فيه هذه الأوصاف). فلقد ذكر الرسول أن «المهدى منى، له جبهة عريضة، أنف معقوف،

(٥٠) دعوة الإخوان ـ كيف بدأت وإلى أين تسير (د.ن ـ د.ت). وتنسب هذه الكتيبات إلى جهيمان:

١ـ الإمارة والبيعة وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلم والعوام ـ ٣٧ صفحة.

٢ـ دعوة الإخوان ـ كيف بدأت وإلى أين تسير ٣٦ص.

٣ـ الميزان لحياة الإنسان، ٢٧ص.

٤ـ مختصر الحسنة لإبن تيمية ٢٩ص.

٥ـ رفع الإلتباس عن ملة من جعله الله إمام الناس، ٢٠ص.

٦ـ مختصر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ٢٤ص.

٧ـ الفتن وأخبار المهدى الدجال، ٣٠ص.

٨ـ الفطرة السليمة، ١٠ص.

وسيملأ الأرض عدلاً ومساواة بعد أن ملئت جوراً وطغياناً» . ويذكر حديث آخر أنه «حتى لو بقى يوم واحد على قيام القيامة، سيطيل الله هذا اليوم حتى يبعث رجلاً من آلى اسمه يطابق إسمى وإسم أبيه يطابق إسم أبى» . لذا لن تندهش من تبنى جهيمان العتيبى لمحمد بن عبد الله القحطانى (أو القريشى) حيث يتطابق إسمه ومواصفاته الجسمية مع النبى .

عكست كتابات جهيمان وأعمال أتباعه الإضطراب والتشوش والسخط الذى إجتاح كثير من السعوديين نتيجة للتغير السريع الذى وقع بعد إكتشاف البترول : يتساءل جهيمان فى كتيبه «الإخوان» :

«نحن من نكون ؟ إنهم يشوهوننا من كل جانب ويفترون علينا بالكذب ... نحن مسلمون أرادوا تعلم الشريعة، وأدركوا سريعاً إستحالة تعلمها فى مؤسسات تسيطر عليها الحكومة .. نحن فى خصام مع الإنتهازيين والبيروقراطيين . نحن نتبع السنة الصحيحة والتفسير والحديث بدون التزام أعمى بمذهب معين» (٥١) .

فى كتيب آخر بعنوان «الحاكمية، وتقديم البيعة، الطاعة، وكشف خداع الحاكم للعامة ولطلاب العلم»، رفض جهيمان إدارة الدولة للدين وأدان العلماء الذين باعوا أنفسهم للنظام الفاسد مقابل المال والمناصب والترقيات المنتظرة .

---

(٥١) الجزيرة، ٢٢ نوفمبر ١٩٧٩ .

أكدت أيديولوچية جهيمان على الإشكالية التى تواجه الحكام السعوديين بتمسكهم بوهابية القرن الثامن عشر بإعتبارها أيديولوچية الدولة فى نفس الوقت الذى يجرون فيه تغييراً ويحققون تطوراً مادياً. وكثير من آراء جهيمان حول المهدى المنتظر وتطور التاريخ الإسلامى مشابهة إن لم تكن مطابقة لنظرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ولقد وصف الأمير نايف المتمردين بأنهم منحرفون عن عقيدة الإسلام الصحيح، وأنهم مهووسين ومعتوهين (٥٢). وكتب سليم اللوزى فى مجلة «الحوادث» مشيراً لأوجه الشبه بين المتمردين الإسلاميين مقتحمى المسجد الحرام، والمتطرفين الدينيين فى جونزتاون بمدينة جوانا (٥٣). وفى مقابلة صحفية مع جريدة «السفير» أنكر الأمير فهد ولى العهد وجود أى مطالب أو أهداف سياسية للمتمردين: «ليس لهم أى أهداف سياسية سوى إعلان ظهور المهدى المنتظر والقضية برمتها لا تتجاوز كونها حلم فارغ وكلمات جوفاء» (٥٤). ومع ذلك توضح كتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبوله للحديث الذى إستشهد به المتمردون، والمتعلق بمسار تطور التاريخ الإسلامى وظهور المهدى المنتظر، وزوال جيش الكفار. حيث كرس الشيخ محمد بن عبد الوهاب فصلاً كاملاً فى

---

(٥٢) الحوادث، ١٨ يناير، ١٩٨٠.

(٥٣) السفير، ٩ يناير، ١٩٨٠.

(٥٤) انظر، محمد بن عبد الوهاب ــ مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، مجلده، الرياض: جامعة محمد بن سعود الإسلامية د. ت، ص ٢٣٤ ــ ٢٤٥.

« المؤلفات » للمهدى وظهوره المرتقب (٥٥). وكانت إشكالية الملك السعودى ومازالت. هى كيف تتكيف الوهابية التى تنتمى للماضى وتتلاءم مع وقائع القرن العشرين.

نتائج التمرد المسلح:

حشد الملك خالد إمكانات الدولة وإستنفر دعم وتأييد علماء الدين لمواجهة العصيان المسلح. وعقد إجتماعاً للمجلس الأعلى للإفتاء برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وطالبهم بإصدار فتوى تؤيد آل سعود وتخول لهم حق التدل المسلح فى الأماكن المقدسة. أذعن العلماء لطلب الملك وأشاروا إلى حقيقة وجود مهدى منتظر، لكنه سيظهر بعلامات واضحة وفى معارضة لحاكم فاسد. وأكدوا أن الحكومة السعودية تفرض إتباع تعاليم الشريعة، وعصيانها خيانة (٥٦).

بعد ضمان تأييد العلماء، نظمت القوات السعودية لطرد المتمردين فى ٣ ديسمبر ١٩٧٩، وقتلوا المهدى المزعوم، أثناء عملية إعتقال جهيمان العتيبى القائد العسكرى وزعيم المتمردين ومعه ١٧٠ شخص آخرين، بما فيهم النساء والأطفال (٥٧).

---

(٥٥) النص الكامل للفتوى، فى « الشرق الأوسط » ٢٦ نوفمبر ١٩٧٩. وقع الفتوى ٣٠ عالم شهير ـ أنظر أيضاً « جريدة رابطة العالم الإسلامى رقم ٧، يناير ١٩٨٠.

(٥٦) رضع الأطفال والنساء تحت رعاية الدولة « ليتعلموا عقيدة الإسلام » أنظر السياسة ١٣ ديسمبر ١٩٧٩.

(٥٧) جرت هذه المقابلة فى الرياض يوم ٥ مارس ١٩٨٠.

أكدت عملية إقتحام المسجد الحرام إمكانية تعرض الحكومة لهجمات من جانب العناصر الدينية. وأكدت إستمرار إشكالية آل سعود فى كيفية التوفيق بين الوهابية السلفية ووقائع العصر الحديث. وللرد على إتهامات المتمردين بأن آل سعود إنحرفوا عن الإسلام الصحيح ولتهدئة الوهابية المتزمتة، ولتحقيق التوازن بين مصالح العناصر العلمانية والدينية فى البلاد، تبنى آل سعود سياسة مزدوجة:

أولاً ــ صدرت تعليمات لعلماء الدولة بالتركيز على الطابع الهدام للتمرد، وإسلامية الحكام السعوديين وأن تركز خطب صلاة الجمعة على حقيقة أن الإسلام دين الوسط والإعتدال. وفى مقابلة مع الأئمة فى مدينة الرياض، ركزوا على الأفكار التالية:

١ ــ بفضل آل سعود إنتصر الإسلام (نصر الله الإسلام بهم).

٢ ــ عصيان الحكام غير مسموح به طالما يفرض الحاكم ويطبق الشريعة وأن آل سعود حكام مسلمين، حماة الأماكن المقدسة. وبفضلهم إزدهرت البلاد.

٣ ــ الإسلام دين الوسط والإعتدال. ويرفض التعصب من أى نوع.

٤ ــ وهب الله السعوديون البترول والثروة، وعليهم أن يتمتعوا بعطايا الله فى إعتدال.

٥ــ الذين يحرمون أنفسهم من التمتع بالحياة فى إعتدال مذنبون (٥٨).

تكررت نفس الأفكار على لسان علماء سعوديين آخرين ففى مسح لخطب الجمعة فى خمس مساجد بالرياض خلال إسبوعين أثناء التمرد، واسبوعين بعد وقوع الإقتحام. كانت الأفكار الرئيسية فى الخطب هى إسلامية آل سعود، وإعتدال الإسلام. وظهر علماء مشهورون فى برامج الإذاعة والتليفزيون يؤكدون على الإتساق بين الإسلام والحياة المادية الميسرة. ففى برنامجه الإسبوعى التليفزيونى سخر الشيخ على الطنطاوى من:

«المتعصبين أصحاب الذقون واللحى الطويلة، ويرفضون الوظائف، ويكرسون وقتهم للصلاة والصيام ويريدون أن يكونوا مسلمين أتقياء. وهذا ليس إسلاماً (كما ذكر الطنطاوى) هذا تقليد للرهبانية. أنا نفسى أتمتع بالحياة والراحة المادية بوسائلى. تزوجت، عملت بجد، سافرت للخارج. أصلى، أصوم، أقرأ القرآن بإنتظام، أعيش طبقاً لمبادىء الشريعة. هذه هى سنة النبى ــ ﷺ ــ أن تعيش حياتك كأنك تحيا أبداً، وتعيش لآخرتك كأنك تموت غداً» (٥٩).

---

(٥٨) تليفزيون الرياض، ١٩ مايو ١٩٨٠، الشيخ على الطنطاوى وهو سورى الأصل، هاجر إلى السعودية عام ١٩٦٣ بعد إستيلاء حزب البعث على السلطة فى سوريا.

(٥٩) فى محاولة لإحباط الهجوم على العمال الأجانب فى المملكة نشرت الصحافة السعودية موضوعات تظهر احترام العمال الأجانب للإسلام. على سبيل المثال

لإظهار إلتزامها بالشريعة أعادت الحكومة السعودية فرض قيود على إلتحاق المرأة بالعمل، وأصدرت تعليماتها للأجانب بمراعاة تقاليد المجتمع والقيم الإسلامية، وأغلقت نوادى الفيديو المهتمة بتأجير أو بيع أفلام تتعارض مع القيم الأخلاقية والإسلامية.

رفعت الحكومة مرتبات العلماء لكسب تأييدهم وخصصت مزيد من الدعم لبناء المساجد والدعوة للإسلام فى الداخل والخارج (٦٠). خصصت الأموال لبناء ٢٤١ مسجد، وترميم ٣٧ آخرين (٦١).

ثانياً ـ تبنى آل سعود فى أعقاب العصيان المسلح سياسة واضحة لتهدئة العلمانيين، ووعدتهم بتقديم دستور وتشكيل مجلس شورى، وفى ١٨ مارس ١٩٨٠، أمر الملك خالد بتشكيل لجنة يترأسها الأمير نايف وزير الداخلية «لإستكمال إعداد مشروع الدستور؛ وإعداد برنامج مجلس الشورى» وسمح للصحافة السعودية بمناقشة الموضوع. بالتالى، ظهرت عدة مقالات تحدد مزايا القانون الأساسى ومجلس الشورى، وتوضح أنهما ميراث إسلامى

ذكرت الجزيرة فى عددها يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧٩. أن العمال الكوريين يحترمون الإسلام: «يشاهد بعضهم يتوقفون عن العمل أثناء الآذان للصلاة تبعاً للإسلام».

(٦٠) اليوم، ١٢ ابريل ١٩٨٠.

(٦١) الجزيرة ٢٢ مارس ١٩٨٠.

سياسى(٦٢). ورغم أن مثل هذا الدستور، ومجلس الشورى وردا أيضاً فى برنامج النقاط العشر الإصلاحى الذى طرحه الملك فيصل عام ١٩٦٢، إلا أنهما لم يتحققا حتى الآن.

ينبغى وضع إحجام الحكومة السعودية عن توسيع نطاق المشاركة السياسية فى إطار إشكالية العرش السعودى:

سيؤدى توسيع نطاق المشاركة السياسية إلى فقدان آل سعود إنفرادهم بالحكم. وعدم توسيعه سيؤدى إلى تفاقم ظهور جماعات ساخطة، وربما يؤدى إلى فقدان الشرعية، والإطاحة بالعرش.

---

(٦٢) ويليام ايدى ـ الملك بن سعود: إيماننا وحديدكم ـ مجلة الشرق الأوسط ١٧، رقم ٣ صيف ١٩٦٣ ـ ص ٢٥٧.

خاتمـــــة :

كانت عملية البناء الوطنى التى قام بها آل سعود ذات طابع إصلاحى، فلقد حاولت إشباع حاجات كل من العناصر الدينية والعلمانية داخل المملكة. وإتساقاً مع الطابع العشائرى للنظام، حاول آل سعود تحقيق التوازن بين مصالح ونشاطات كلا الجماعتين، لكن بدون إحداث تغيير ملحوظ على خشبة المسرح السياسى.

على سبيل المثال، رغم إدخال تعليم المرأة، بقيت الرقابة عليها بأيدى علماء الدين.

أعاد آل سعود تأكيد الوهابية كأيديولوچية للدولة بينما يقومون بالتطوير والتنمية المادية والإجتماعية. بتعبير ابن سعود، وكلماته التى وجهها إلى «ويليام إيدى» السفير السابق للولايات المتحدة الأمريكية فى السعودية :

« نحن المسلمون لدينا الإيمان الحقيقى بالإله الواحد الذى يرزقك بالحديد ، والجماد ، الذى لا أخلاق له ، وهو ليس ممنوعاً طالما لا يحرمه القرآن ، سنستخدم حديدكم ، لكن إتركوا إيماننا بحاله » (٦٣) .

هل يمكن إستخدام « حديد الغرب » بدون التأثير على الملامح الإجتماعية السياسية للمجتمع التقليدى ؟ لقد أظهرت تجربة السعودية أن عملية البناء الوطنى أدت إلى نتائج بعيدة المدى ؛ وليست فى متناول سيطرة الحكومة ولا ضمن أهدافها الأولية ، وبدأت الجماعات الوليدة فى المطالبة بمشاركة سياسية ، رغم إدخال آل سعود هيكل حكومى وبيروقراطى معقد والتوسع فى النظام التعليمى ، وبدء تنفيذ برامج التنمية ظل النظام السياسى والحكم قاصراً على العائلة المالكة ومع إحتكار النشاط السياسى والإنخراط فى عملية بناء الأمة أصبح آل سعود سجناء زنزانة من صنع أيديهم : البناء الوطنى ضرورى لإستمرار العرش داخلياً وخارجياً ، لكن عملية البناء ستخلق مجموعات تطالب بمشاركة سياسية فى الحكم ، وهكذا يعنى إقتسام السلطة السياسية مع

---

(٦٣) أنتونى والاسى ـ حركات الإحياء الدينى ـ الانتريولوجى الأمريكى ـ ٥٧ ، رقم ٥٨ ، ابريل ١٩٥٦ . ص ٢٦٥ ، وللدراسة البيوجرافية المدققة لتلك الحركات أنظر ، ويستون لابرى ـ مواد لدراسة وتاريخ الأزمات الدينية ، مقال بيليوجرافى ، الانتوبولوجى المعاصر ١٢ ، رقم ١ فبراير ١٩٧١ ـ جوهانز فابيان ـ انثروبولوجى الحركات الدينية : من الوصف إلى التفسير ـ البحث الاجتماعى ، ٤٦ ، ١٩٧٩ .

الجماعات الوليدة ذبول الحكم العشائرى وفنائه ، وعدم المشاركة فى السلطة سيؤدى إلى تفاقم المعارضة والإحتجاج وفقدان الشرعية. ولحسن حظ آل سعود ، كانت الطبقة العاملة السعودية صغيرة العدد غير حسيسة ، وكان المثقفون ظاهرة جديدة تعانى الهزال وضعف التأثير، والمؤسسة العسكرية مؤيدة للعرش.

النتيجة الثانية لعملية البناء الوطنى ، كانت ذبول الثقافة والعلاقات التقليدية. زيادة حركة التحضر والتحديث العمرانى ، محو الأمية ، تدفق العمال الأجانب ، زيادة عدد السعوديين المسافرين للخارج كلها عوامل ساهمت فى ذبول الثقافة التقليدية. وظهرت وهابية القرن الثامن عشر متعارضة مع واقع القرن العشرين بحيث وجد كثير من العلماء أنفسهم عاجزين عن تفسير التغيير أو التأثير فى وجهته.

ساهم فى إضعاف شرعية العرش السعودى ، إستمرار إستخدام الوهابية كايديولوچية دولة بدون تعديل حاسم على مضمونها ليلاءم الواقع. فلقد اتهم المتمردون من العناصر الدينية الذين إقتحموا المسجد الحرام فى مكة آل سعود بالإنحلال الأخلاقى والدينى ، وطالبوا بإحياء وإقامة الحكومة الإسلامية كما كانت فى القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى). وغالباً ماتظهر الحركات الإحصائية للدين تعبيراً عن سخط وإحتجاج أعضائها على الظروف القائمة ، وإعلان رغبتهم فى التجديد الثقافى. وهم: «يفكرون ، وينظمون الجهد الواعى لأعضاء الجماعة لبناء ثقافة

أكثر إشباعاً لوجودهم» (٦٤). ويعتبر أعضاء هذه الحركات الإحتجاجية التجديدية الثقافة السائدة أو بعض قطاعاتها الرئيسية غير مشبعة، ولذا يبذلون المحاولة لإبتداع أو إحياء نظام ثقافى جديد أو قديم يعتقدون بقدرته وملائمته لظروفهم.

المحصلة النهائية لسياسة آل سعود فى البناء الوطنى والتفاعل بين الدين والدولة فى المملكة تشكل تجربة تنموية فريدة ــ نمط شبه رأسمالى للتطور ــ فى مجتمع تقليدى شبه عشائرى، مصادر مالية وفيرة، وتدفق ثروة هائلة فى مجتمع تسيطر عليه أيديولوچية متزمتة متقشفة، نظام سياسى شبه علمانى يواصل العلماء فيه دورهم للتأثير على السياسة الوطنية.

ربما تكن كلمات الإمام أبى حامد الغزالى (١١٠٥ ميلادية) هى الملائمة لتضبح عبرة وذكرى لآل سعود:

«لا أمل هناك فى إعادة الإيمان التقليدى بعد غيابه، طالما أن الشرط الرئيسى للمتمسك بالإيمان التقليدى هو ألا يعلم أنه تقليدى. وعندما يعرف ذلك، تتحطم نظارة إيمانه التقليدى، وتنكسر ولا يمكن إصلاحها. وهذا الكسر لا يمكن إصلاحه إلا بصهره فى النار ليعطى شكلاً جديداً.

---

(٦٤) وردفى مانفريد هالبرن ــ سياسة التغيير الاجتماعى فى الشرق الأوسط وشمال افريقيا ــ برنستون: جامعة برنستون، ١٩٦٣ ص ٣١.

« الفصــل السابع »

« خاتمـــــــة »

تتمسك النظرية السياسية الإسلامية التقليدية بعدم فصل الدين عن الدولة . وهكذا ، يصبح هدف الدولة الحفاظ على الشريعة وفرض تطبيق أحكامها . والله هو الحاكم وحده ومصدر السلطة . وبالتالى ، يصبح أفراد الأمة عبيد الله ، وقانون الجماعة قانون سماوى مقدس ، وكل ممتلكاتها ملك الله ، جيشها جيش الرحمن ، أعدائها أعداء الله . مع الوعى بهذه المقدمات ناقشنا :

(١) التطور التاريخى والنظرى للعلاقة بين الدين والدولة فى الإسلام .

(٢) العلاقة بين الدين والدولة فى المملكة السعودية . وكان هنا الأساسى البحث عن إجابات عن الأسئلة الحية التى ما زالت تحلق فى الأفق حتى الآن :

ــ ما هى الدولة الإسلامية ؟ وأى نوع من العلاقة بين الدين والسياسة فى تلك الدولة ؟

توصف المملكة العربية السعودية بكونها دولة إسلامية . بالإضافة إلى تميزها بوجود مكةـ المدينة ، قبلة المسلمين ومحط رجالهم للحج ، أعيد تأكيد الطابع الإسلامى للمملكة عام ١٧٤٥م عندما تحالف الشيخ محمد بن عبدالوهاب مع آل سعود ، حكام الدرعيــة فى أواسط نجد . وإستمر هذا التحالف حتى الآن . فالإسلام دين الدولة ومصدر شرعيتها السياسية ، وهو الذى يصوغ نشاطها التعليمى والقضائى ، ويستخدم كقانون أخلاقى للمجتمع . وإتباع الأشكال والصيغ التقليدية للإسلام ، كما حددتها وهابية القرن الثامن عشر فى الجزيرة العربية ، ظل جانباً أساسياً للحياة . حيث تغلق المحلات العامة والمكاتب الحكومية لأداء الصلاة ، ويتأكد المطوع من حضور المسلمين صلاة الجماعة ، ومراقبة إتباع التعاليم الأخلاقية الإسلامية .

يعتبر المسلمون المملكة العربية السعودية دولة أصولية وفقاً لأيديولوجيتها الوهابية ، ولحقيقة ما تقدمه السعودية من دعم لعدد هائل من المنظمات الإسلامية ، وإستضافة أكثر من ٢ مليون حاج سنوياً فى مكة والمدينة .

ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيما يتعلق بالعلماء أنه بسبب معرفتهم بالقوانين الإسلامية ، يعتبر نصحهم وتعاونهم مع السلطة السياسية فرض دينى ملزم . والحاكم مسؤول عن فرض الواجبات الدينية على المسلمين (الصيامـ الحجـ تطبيق الحدودـ جمع الزكاة ، الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر) وينبغى على العلماء نصح الحاكم ومساندته طالما يطبق فروض الله .

كانت العلاقة بين آل سعود والقيادات الدينية فى شبه الجزيرة العربية إبان القرن الثامن عشر، علاقة توافق وإرتباط وثيق بالنظرية السياسية الإسلامية التقليدية، والمبادىء التى وضعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهذه العلاقة المتناغمة مثيرة للدهشة إذا وضعنا فى إعتبارنا أى دراسة للتفاعل بين الدين والدولة فى التاريخ الإسلامى، قد أظهرت وجود صراع دائم بينهما. وربما يرجع هذا الإنسجام فى العلاقة إبان الدولة السعودية الأولى إلى حقيقة إشتراك كل من الدين والسياسة فى أهداف مشتركة. حيث يعتمد وجود المؤسسة الدينية على بقاء وإستمرار دعم الدولة لها. وأتاح هذا التحالف للشيخ محمد إمتلاك ذراع سياسى لتنفيذ تعاليمه، وإضفاء الشرعية على حكم آل سعود من جانب علماء دين موثوق بهم، وجهاز دعوة قادر على توسيع نطاق سلطته السياسية وحكم الجزيرة العربية. برر التوسع فى الاستيلاء على المناطق والأقاليم بمفاهيم دينية وإستخدمت الأيديولوچية الوهابية كأساس لترسيخ دعائم الحكم السعودى. حيث ركز على طاعة الحاكم كواجب دينى. طالما أن مهمته هى الحفاظ على الشريعة وفرض الإلتزام بتعاليمها، ويصبح عصيان الحاكم خيانة.

تشير نتائج هذه الدراسة إلى أن الدولة بسبب إحتكارها للسلطة والموارد وبسبب حاجتها للحفاظ على إستقلالها الذاتى، لايمكنها السماح بوجود مجال دينى مستقل، يمكنه منافستها ومزاحمتها على الانفراد بولاء الشعب. وتوسيع الدولة لمجال سلطتها ليشمل الدين، وتوظيف القيادات الدينية والمؤسسات لإطالة عمر سياستها.

وتستخدم القيم الدينية لتقوية سلطتها ودعم شرعيتها. ولن تتردد الدولة فى قمع المؤسسات الدينية عندما تتحدى سلطتها.

أظهر إبن سعود نظام حكمه بإعتباره إمتداد للدولة السعودية الأولى بحفاظه على التحالف التقليدى بين عائلته وآل الشيخ. وقد دمغ ابن سعود إتساع نطاق حكمه بنشر الوهابية. ورغم أن العلماء عموماً كان موالين ومؤيدين لعرشه ويتطلعون للاتحاد معه من خلال أيديولوچية مشتركة، ولكن هدف ابن سعود وسياسته قد بددت آمالهم. فلقد إحتاج للوهابية لإضفاء الشرعية على سلطته، لكنه إحتاج أيضاً للإبتداع للحفاظ على بقاء وإستمرار حكمه، وهكذا، إستمر الدين كأيديولوچية للدولة، لكن أصبح العلماء أعضاء فى جهاز الدولة البيروقراطى. وبدأت مسيرة التطور المادى.

كما أظهرت تجربة إبن سعود مع الإخوان، لم تتردد السلطة السياسية فى قمع المؤسسات الدينية عندما تتحدى سلطتها. ولقد طالب الإخوان بإذعان القيادات السياسية لمبادىء الوهابية. وأظهر عصيانهم وتمردهم، وسحق السلطة السياسية له عام ١٩٢٩، عزم إصرار السلطة السياسية على الحفاظ على مصالحها وبقائها.

فى أعقاب هزيمة الإخوان، وإدماج العلماء فى جهاز الدولة، واصل الدين كونه المصدر الرئيسى للشرعية. وفى محاولتهم لتأكيد فاعلية العمل الحكومى كوسيلة مكملة للأساس العشائرى للنظام، وللسيطرة على إتجاه عملية التغيير التى بدأت مع إكتشاف البترول، أقام آل سعود مؤسسات حكومية حديثة، وطبقوا برنامج

بناء وطنى وإقامة دولة قومية تعمل على زيادة حركة العمران والتحديث ، ومحو الأمية ، وتقديم الخدمات الإجتماعية ورفع مستوى المعيشة .

أدت عملية البناء الوطنى إلى وقوع بعض المتغيرات التى أثرت فى العلاقة بين الدين والدولة :

الأول: زيادة دور التباين والإختلاف بين الدين والسياسة وخلق روتين النظام ، عمل لآلة الدولة وسيطرتها على مجال واسع ، كان الدين يسيطر عليه فى السابق . وجاءت المحصلة النهائية لهذا المتغير فى علمنة نسبية للنظام السياسى .

الثانى: أدت عملية البناء الوطنى إلى حدوث بعض الأحداث التى جاءت بعيدة عن متناول السيطرة الحكومية ، وبدورها أثرت فى الطابع العشائرى للنظام .

بسبب التراث الدينى للدولة السعودية ، وسياسة آل سعود المزدوجة المتمثلة فى الإستعانة بالشرعية الدينية للحكم وتبرير عملية التغيير وفى نفس الوقت عدم السماح للمؤسسات الدينية بأى نوع من الاستقلالية والعلمنة ، التى أعلنت عن وجودها من خلال إتساع مجال النظام السياسى . فسلطة الدولة تنظم الآن عمل المجالات الإجتماعية ، التى كان الدين يسيطر عليها فى السابق . وأصبح العلماء موظفى الدولة ، وتوجهت نشاطاتهم لدعم ومساندة القيادة السياسية .

أدت عملية البناء الوطنى إلى نتائج تجاوزت أهداف الحكومة :

الأولى: ظهور جماعات جديدة تتحدى الطابع العشائرى للنظام.

الثانية: ذبول الثقافة التقليدية. حيث أثرت التجربة التاريخية والثقافية ووجهت إستراتيجية البناء الوطنى، وأيضاً التفاعل بين الواقع وطموحات القيادة السياسية. وتبنى آل سعود إستراتيجية إصلاحية تسعى للحفاظ على نظام إجتماعى إقتصادى قائم على الوهابية، ويتسم بالمرونة الكافية ليواءم الحاجات الوليدة، وتم الإستعانة بالوهابية لعقلنة وتبرير عملية التغيير. وخلقت إستراتيجية آل سعود الإصلاحية التوتر والنزاع الإجتماعى الذى هدد إستقرار النظام. حيث يوجد من يدافعون عن التغير السريع الخطى، وأولئك الأصوليون المطالبون بالحفاظ على النظام التقليدى والأيديولوجية السلفية. فى داخل كل جماعة، ظهرت توترات أعمق بين مؤيدى آل سعود والذين يطالبون بالإطاحة بهم وإسقاط عرشهم.

كان الجانب الأعظم من مؤيدى آل سعود يتشكل من الشباب علمانى التعليم، حيث يتلقى كثير منهم الدعم والتوجيه من الأمراء الشباب ليبرالى النزعة. وأبدت هذه الجماعة القيام بالتغيير المادى مع الحفاظ على القيم التقليدية. ومع إستمرار تزايد أعداد هذه الجماعة، ودورها فى صنع السياسة السعودية الراهنة. وعلى النقيض، ظهل جيل سعودى شاب أكثر راديكالية فى الأعوام الأخيرة يطالب بإلغاء الحكم الملكى وإقامة نظام إشتراكى. وتفتقر هذه الزمرة الأخيرة للقيادة والوعى بالإتجاه.

بفضل ظهور جماعة المثقفين السعوديين حديثاً، وحجمهم الصغير، وسياسة الحكومة الإنتقائية، لم تشكل هذه الجماعة أى تهديد مباشر على إستمرار حكم آل سعود.

جاء التهديد المباشر على إستقرار النظام من الجماعات الأصولية الإسلامية التى ضمت علماء الدولة، والأصوليون الذين عارضوا علماء الدولة وآل سعود. ورغم إستفادة العلماء من آل سعود، وتأييدهم لحكمهم، إلا أنهم حاولوا السيطرة على تقبل العلماء للبدع. وإعتبروا التوسع فى التعليم العلمانى وإنتشاره تهديداً للطابع الإسلامى للدولة. وتطلعوا إلى الحفاظ على المبادىء الوهابية وفرض الإلتزام بها.

كان هناك أيضاً جماعة أصولية أكثر راديكالية، وهى التى رفضت مجمل عملية التغيير وعارضت حكم آل سعود وجاء إقتحامهم للمسجد الحرام والإستيلاء عليه عام ١٩٧٩، أكثر المظاهر الجذرية لرفضهم عملية التغيير، وسلطة آل سعود. لكن تم سحق هذا التمرد المسلح، ومع ذلك بقيت الإشكالية التى واجهت آل سعود كما هى بلا حل، وظلت محلقة فى الأفق.

كيف يمكن التوفيق بين الثراء المفاجىء والتحديث السريع، والإلتزام بالوهابية. وبإستبعاد العامل الخارجى يعتمد بقاء العائلة المالكة على قدرتها لتحويل النزاع والشقاق إلى توازن، والتمسك بالسيطرة على العناصر الدينية والعلمانية، وفى نفس الوقت تحديث المجتمع لمواجهة تحديات المستقبل.

وثـــائـــق

١ ـ المرسوم الملكى *

٢٦٣٩ / ١٢ ـ ٢ ـ ٢٣ / ٣ ذى القعدة

١٩٥٦/٦/١١

بعون الله وتوفيقه .

نحن سعود ابن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية ، تحقيقاً لما تقتضيه المصلحة العامة ورغبة فى كفالة إستمرار المرافق الإقتصادية التى يعود نفعها على المجتمع سيراً منظماً بعيداً عن المؤثمرات الضارة وضماناً للنظام العامة أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى :

يحظر على مستخدمى وعمال الشركات ذوات الإمتياز وكذلك مستخدمى وعمال المؤسسات الخاصة التى تباشر نشاطاً ذا منفعة أو تقوم بتنفيذ مشروع لحساب الحكومة أن يتركوا العمل أو يتوقفوا عنه إذا كان نتيجة إتفاق بين ثلاثة أو أكثر، ويجازى المخالف بالسجن لمدة لاتقل عن إسبوع ويجازى بالسجن لمدة لاتقل عن سنة كل

* وصفه ناصر سعيد الزعيم العمالى لاتحاد أبناء الجزيرة العربية بـ«المرسوم المشئوم» وهذا المرسوم مازال ساريا حتى الآن .

من حرض المستخدمين أو العمال المشار إليهم على ترك عملهم أو التوقف عنه سواء كان ذلك التحريض بقول أو فعل، وبالإشارة أم بالكتابة أم بأية وسيلة أخرى حتى ولو لم يؤد إلى ترك المذكورين للعمل أو التوقف عنه بالفعل.

المادة الثانية:

لا يجوز لمستخدمي وعمال الشركات والمؤسسات المشار إليها في المادة الأولى أن يشتركوا في تظاهر أو إعتصام بقصد تقديم أية مطالب أو تأييد مطالب مقدمة من قبل وان لم يكن الإشتراك المذكور نتيجة إتفاق سابق فيجازى المخالف بالسجن مدة لا تقل عن سنتين كل من حرض المستخدمين أو العمال المشار إليهم على تظاهر أو إعتصام سواء كان التحريض بقول أو فعل، وبالإشارة أم بالكتابة أم بالرسم أو بأية وسيلة أخرى ولو لم يؤد التحريض إلى وقوع التظاهر أو الإعتصام بالفعل.

المادة الثالثة:

يجازى بالسجن لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات كل من إستعمل القوة أو الضرب أو الإرهاب أو التهديد أو الإتلاف أو غير ذلك من وسائل العنف غير المشروعة سواء أكان ذلك بقصد منع المستخدمين والعمال المشار إليهم في المادتين المذكورتين من الإستمرار في العمل أو إكراههم على التوقف عنه؛ أم كان بقصد إجبار القائمين على إدارة الشركات والمؤسسات المشار إليها في المادتين السابقتين؛ على إستخدام أو الإمتناع عن إستخدام أحد

من المستخدمين أو العمل أو على توقيف العمل. ويجازى بالسجن لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات كل من حرض غيره بقول أو فعل وبالإشارة أم بالكتابة أم بأية وسيلة أخرى على إرتكاب أحد الجرائم المشار إليها فى الفقرة الأولى من هذه المادة ولو لم يترتب على التحريض وقوع الجريمة بالفعل.

المادة الرابعة :

يجوز للآجر أن يفصل المستخدم أو العامل الذى جوزى على ارتكاب احدى الجرائم المشار إليها فى المواد الثلاث السابقة.

المادة الخامسة :

لأمير المنطقة المختصة أن يقرر عند اللزوم إلزام الآجر بفصل أى مستخدم أو عامل جوزى على إرتكاب إحدى الجرائم المشار إليها، وكذلك للأمير أن يقرر إبعاد كل شخص حكم عليه فى إحدى الجرائم المذكورة عن المنطقة التى ارتكب فيها الجريمة أو التى يعمل بها وكذلك للمدة التى يراها وإلى المكان الذى يحدده.

المادة السادسة :

على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ أمرنا هذا، ويعمل به من تاريخه •

(سعود)

• كتب ناصر سعيد تعليقا على هذا المرسوم :
«ذلك هو المرسوم ـ الأمريكى الملكى ـ ولا يزال سارى المفعول ـ بمثابة إعلان حكم الطوارىء فى البلاد ـ رغم حكم آل سعود الجائر الذى هو حكم الطوارىء ذاته إن صح التعبير ـ ولكن شعبنا الآبى بما فيه العمال الأحرار الذين كان لهم ـ

وثيقة (٢)

تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان

(السعودية ١٩٨٧)

بالرغم من أنه من الطبيعي أن يتفاد البناء التشريعي من دولة لأخرى إلى أن الإطار القانوني المنظم لمباشرة الحقوق السياسية في السعودية يظل إطاراً له خصوصيته في النطاق العربي.

فن المعروف أن الحياة السياسية في السعودية لم تعرف المجالس النيابية ومايصاحبها من حق الإنتخاب والترشيح.

ومن المعروف أيضاً أن حق التنظيم سواء كان سياسياً أو نقابياً هو من الأمور المحظور ممارستها هناك.

وفضلاً عن ذلك فإن السعودية من الدول التي مازالت ترفض التصديق على المواثيق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، كما أنها لم تسمح مطلقا لأى من المظمات والهيئات العاملة في هذا المجال ـبما في ذلك منظمة العفو الدولية والصليب الأحمر ـبزيارة سجونها.

= الدور الأول في مقاومة تجديد ـوصمة الخزى والعارـ إتفاقية قاعدة الظهران الحربية الأمريكية التي جعلها ـسعود الخائنـ مخزنا لقنابل أمريكا الذرية والهيدروجينية ـسيواصلون نضالهم الثوري دون هوادة وبلا كسل ليكنسوا قاعدة الظهران الذرية وملحقاتها وجيشها الأمريكي، وشركة أرامكو الإستعمارية ويمحقوا حكم الفرد ويطهروا الأرض المقدسة من رجسه، ويحكم شعبنا نفسه بنفسه لنفسه «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» وسيعلم الطواغيت والخونة «أي منقلب ينقلبون» ناصر السعد.

وبموجب المرسوم الملكى الصادر فى ١١/٦/١٩٥٦، أضيفت قيود أخرى وهى حظر الإضرابات وقد جاء هذا المرسوم فى أعقاب إضرابات عمالية وقعت فى إبريل ١٩٥٦ فى الظهران تصدى لها الجيش وتم إعتقال عديد من المضربين وقتها كما تم طرد بعض العمال الأجانب إلى خارج البلاد.

وفى شهر مارس ١٩٦١ صدر مرسوم آخر تم النص فيه على «إعدام أى شخص يقوم بنشاط يقسم بالعنف ضد الدولة».

وبالنسبة لنوعية المحاكم التى تختص بالنظر فى القضايا، تجدر الإشارة إلى أنه لاتوجد محاكم مدنية فى السعودية وأن هناك محاكم عسكرية من ناحية وهناك المحكمة الوهابية العليا من ناحية أخرى، وتختص الأخيرة بالنظر فى القضايا الخاصة بالأمراء وهى المحكمة الوحيدة التى قد تصدر أحكاما بالسجن لفترات طويلة ضد هؤلاء الأمراء بما فى ذلك الحكم بمصادرة أملاكهم.

ويعانى المواطن فى السعودية من إنتهاكات صارخة لحقوقه المدنية والسياسية بالدرجة الأولى وحقوقه الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بالدرجة الثانية.

وفيما يتعلق بحقوقه المدنية فهو يعانى من حرمانه من حقه فى الحرية وفى الأمان على شخصه إذ هو معرض دون إبداء الأسباب؛ للتوقيف أو الإعتقال تعسفاً وكذلك إلى سوء المعاملة أو التعذيب أو العقوبة اللاإنسانية أو القاسية أو الحاطة بكرامته وكثيراً

ما يصل الأمر إلى حرمانه من حقه فى الحياة تعسفاً دون إبداء الأسباب حينا أو بالاستناد إلى مخالفات يسندها أولو الأمر إلى مفهومهم الخاص للشريعة الإسلامية.

الإعدام السياسى

ويبرز مظهر آخر لإنتهاكات حقوق الإنسان فى السعودية وهو الإعدام السياسى فقد اشارت منظمة الثورة الإسلامية إلى أن ٦٣ شخصاً ممن شاركوا فى أحداث الحرم اكملى الشريف قد تم إعدامهم فى الميادين العامة. وأضافت أن قرار الإعدام لم يكن مستنداً إلى حكم قضائى كما لم يصدر عن هيئة قانونية مختصة وإنما صدر بقرار من الملك نفسه.

كما أشار إتحاد الشباب الديمقراطى فى السعودية (فرع الولايات المتحدة) إلى أن عام ١٩٨٠ قد شهد إعدام العشرات دون محاكمات عادلة وعلنية.

وجدير بالذكر أن الأحكام التى صدر بحق المتهمين فى أحداث الحرم قد تراوحت ما بين السجن لمدة ٥ سنوات و٢٥ عاماً، كما أنها قد تضمنت أحكام بالإعدام ضد جميع العناصر إلى ضبط فى حوزتها أسلحة ولو لم تستخدمها.

التعذيب

التعذيب هو أحد مظاهر الإنتهاكات التى أجمعت التقارير الواردة للمنظمة بما فى ذلك تقرير منظمة العفو الدولية ــ على «شيوع» إستخدامه فى السجون داخل السعودية.

فوقها للشكوى الواردة للمنظمة والسالف الإشارة لها فقد أصيب نورحيد علوى الهاشم بإنهيار عصبى وفقدان جزئى للذاكرة من جراء التعذيب الذى تعرض له والذى تم نقله على إثره إلى مستشفى الطائف للأمراض العقلية.

ووقفا للسكوى سابقة وردت فى منتصف عام ١٩٨٥ فقد تعرضت الشاعرة فاطمة كامل أحمد يوسف (الشهيرة بندى اليوسف) للتعذيب مما أدى لإصابتها بالشلل. وكانت قد إعتقلت بسبب الأراء التى وردت فى قصائدها والتى نشرت فى بعض الصحف العربية وتم إعتقالها ست مرات متتالية.

وقد أشارت الجمعية السعودية لحقوق الإنسان إلى أن خالد النزة (مهندس) وهو لم يبلغ بعد الثلاثين من عمره قد توفى فى السجن بعد فترة قصيرة من إعتقاله بأحد سجون الرياض ــ عام ١٩٨٣، وقد فسرت السلطات ذلك بأنه بسبب إصابته بنوبة قلبية. وكان قد إعتقل فى أعقاب عودته من دورة تدريبية فى الولايات المتحدة.

كما أجمعت عدة لجان سعودية أخرى على إختلاف تياراتها السياسية إلى أن عشرات من المعارضين السياسين قد ذهبوا ضحية التعذيب وبعضهم الآخر لايزال يعانى من التعذيب. ومن بين هؤلاء عبد رب الرسول محمد حسين (شاعر وفنان تشكيلى) لا يزال فى الحبس الإنفرادى منذ إعتقاله فى نوفمبر ١٩٨٥.

ووفقا لتقرير منظمة العفو الدولية فمن الأمور التى. تضاعف من إحتمالات اللجوء إلى تعذيب المعتلقين فى السجون السعودية هو الإعتبار المتعلق بأن القوانين قد ترتكن فى حالة غياب الشهود ـ على إعترافات السجين نفسه. ولذا كثيراً ما يتعرض المعتقل للتعذيب أثناء التحقيق معه بهدف إنتزاع إعترافات منه.

وتضيف تقارير منظمة العفو الدولية إلى أنه بإستثناء واقعة واحدة أجرت فيها السلطات السعودية تحقيقاً بشأن جريمة التعذيب فإن السلطات المعنية فى السعودية لم تستجب لطلبات منظمة العفو الدولية بإجراء تحقيقات فى وقائع التعذيب.

وجدير بالذكر أن واقعة التعذيب المشار إلى حدوث تحقيق بشأنها كانت تتعلق بتعرض مواطن بريطانى للتعذيب أثناء فترة اعتقاله التى إستمرت فيما بين ٢ نوفمبر ١٩٨١، ٣١ يناير ١٩٨٢، وهو كيث كارمايكى وأسفر التحقيق عن معاقبة أحد الحراس المتورطين فى واقعة التعذيب.

الإختطاف

ويعد إختطاف المعارضين السياسين من المظاهر الأخرى لإنتهاكات حقوق الإنسان التى أشارت لها بعض التقارير الواردة للمنظمة وتقدر تلك الحالات بـ ٢٠٠ حالة إختطاف، بعضهم مازال مصيرهم مجهولاً مثل ناصر سعيد.

ووفقاً لبعض الشكاوى والبيانات التى تلقتها المنظمة فإن

مظاهر إنتهاكات حقوق الإنسان تمتد لتظهر فى شكل إجراءات تعسفية يتعرض لها من سبق إعتقالهم.

من شن تلك الإجراءات الفصل من العمل وحرمان هؤلاء من العمل فى المؤسسات والدوائر الحكومية وإدراج أسمائهم فى قوائم الممنوعين من السفر، من بين هؤلاء محمد العلى (كاتب وشاعر) على الدمينى (مهندس) صالح العزاز (مدير تحرير جريدة اليوم بالدمام (سابقاً) ومنى اليوسف (وخمسة من أقاربها) وعبدالله العزان (آرامكو) أحمد الحيدرى (طالب جامعى).

وتشير بعض التقارير الأخرى لوضع الأقليات الدينية (الشيعة والإسماعلية) ولوضع النساء فى السعودية وتتمثل مظاهر التميز فى العمل والأجور ومظاهر أخرى.

ووفقا للشكوى السابق الإشارة إليها والخاصة بالشاعرة ندى اليوسف فقد وجهت إليها تهمة (التشبه بالرجال) فى الملبس رغم عملها كمشرفة عامة فى مستشفيات القوات المسلحة قد إستدعى نوع الزى الذى ترتديه.

وتبقى ملاحظة أخرى خاصة بوجود ما يقرب من عشرة معتقلين مصريين منذ أكثر من سبع سنوات فى سجون السعودية (بعد أحداث الحرم) ولم يتم تقديمهم للمحاكمة فقد أشارت لجنة الحريات النقابية بنقابة المحامين المصريين إلى أن من بين هؤلاء خالد عبدالكريم محمد عبدالكريم وأسامة عواد سعد، محمد أحمد

فتحى عبدالغفار وعلاء بيومى ـــ فضلا عن ستة آخرين لم تعرف أية معلومات عن مصيرهم .

المنظمة العربية لحقوق الإنسان :

وكانت المنظمة العربية لحقوق الإنسان قد خاطبت السلطات السعودية بشأن الشكاوى المختلفة التى تلقتها حيث وجهت خطابات فى حينها لوزير الداخلية ورئيس ديوان المظالم وفى بعض الحالات إلى السفير السعودى فى مصر. وأعربت عن قلقها إزاء الانتهاكات إلا أن السلطات السعودية لم تبد أى إستجابة للرد .

ثورة فى قلب مكة *

المقـــدمة :

فى مطلع هذا العام الهجرى الجديد (١٤٠٦هـ) تكون قد مرت على انتفاضه الحرم ست سنوات هى قليلة بعمر الزمان ولكن ذابت فيها احداث قرن. فكانت بمثابة منعطف قلب المعادلات السائدة وها هى بشائر الأمل تلوح فى كل قطر اسلامى. على أن دين الله باق والطواغيت إلى زوال.

ست سنوات كافية لدراسة الانتفاضة العظيمة التى فجرها المؤمنون بمكة المكرمة. بعيداً عن الأجواء المشحونة بالانفعالات والتضليلات التى صبها الاعلام الفاسد كالسيل فى أذان المسلمين. وهذه الدراسة لحادثة الحرم والتى نستعرض فصولها فى هذا العدد من المجلة. هى بمثابة تخليد لذكرى الشهداء. وهى بالدرجة الأساسية ليس هدفها تغيير القناعات التى تشكلت بسبب الغموض والدعاية المضللة فحسب وانما هى أيضاً محاكمة لأقطاب النظام السعودى وجرائمه معتمدين فى ذلك على أقوالهم وتصريحاتهم

---

* دراسة نشرت بمجلة الثورة الإسلامية ــ صوت منظمة الثورة الإسلامية فى الجزيرة العربية.

وأفعالهم أيضاً. أنها دراسة لاتستهدف التبرير والدفاع عن باطل. بل هى دفاع عن قناعات حقه.. فالانتفاضة ـ وكأى انتفاضة ـ لها اخطائها ولها سلبياتها. لكن ما يهمنا هنا أنها قامت للدفاع عن حق مشروع بل وواجب. وإن كان هناك خطأ ما. فأننا نتخذ من كلام الأمام على هذا جوابا على هذا الأشكال.. لقد قال الإمام: (ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه) آل سعود طلاب باطل. طلاب سلطة. ومستعدين لمقاتلة وذبح أى كائن كان من أجل الحفاظ عليها.. لقد أصابوا الباطل حينما قتلوا المؤمنين فى الحرم. وقتلوا معهم جموع الحجاج.. ونادوا على ذلك بأن شوهوا. أيما تشويه ـ أهداف الانتفاضة ودوافعها واستخدموا كل الوسائل تقلب الباطل حقا. والحق باطلاً. وهذه الصفحات تحوى تفاصيل الباطل السعودى الذى روجوه عبر أعلامهم للعالم الاسلامى لتأيد مواقفهم ضد طلاب الحق.

الحـــدث

فى فجر مطلع القرن الرابع عشر الهجرى الموافق ليوم الثلاثاء ١/١/١٤٠٠ هجرية ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م. سيطرت مجموعات من الأشخاص ينتمون إلى جماعة الدعوة المحتسبة التى هى امتداد لحركة (الاخوان) على الحرم المكى الشريف وأعتصمت بداخله يرافقهم فى ذلك نسائهم وأطفالهم وقد أصيب النظام السعودى بالذهول من هذا الحدث. وحاول فرض تعتيم أعلامى على الحدث ومنع تسربه للخارج وقام بعدة اجراءات ابتدأت بالصمت وعدم الاعلان عن أى شىء. وانتهاء بغلق المطارات. وقطع الاتصالات الهاتفية

بالخارج . لكن بعد أقل من عشرين ساعة سمع العالم بما حدث من خلال اذاعة صوت أمريكا التى هى مـن أذاع النبأ وقد تسرب الخبر إلى سفارة واشنطون فى جدة فاعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن ما يتراوح بين ٦٠ ــ ١٠٠ شخص يحتجزون ٢٠ رهينة فى احـد مساجد مكة . وأضاف الناطق باسم الوزارة (هودنج كارتر) أن مجموعة غير معروفة الانتماء استولت على المسجد واحتجزت رهائن فيه . وقتلت شخصية حكومية سابقة وقد تكون هذه المجموعة من المذهب الشيعى . وفى اليوم التالى مباشرة نشرت الخبر العديد من الصحف الأجنبية والعربية . وفى صباح اليوم التالى الأربعاء ٣١ / ١١ / ١٩٧٩م أشارت جريدة النهار إلى أن مراسلى وكالات الأنباء فى الكويت والإمارات والبحرين أعلنوا أن الإتصالات الهاتفية مع السعودية قد قطعت لأسباب مجهولة وقد جن جنون الحكم السعودى . فأمريكا التى هى حليف الأول قد كسرت جدار الصمت الذى أراد فرضه على الأحداث لدرجة أن أقطاب الحكم السعودى أشاروا أكثر من مرة إلى امتعاضهم ولومهم لهذا الإعلان . فقد أعلن وزير الداخلية نايف بأن التصرف الأمريكى لم نجد له تفسيراً كافياً حتى الآن .. وهو مؤسف بالإضافة إلى أنه تصرف بدور مبرر له حتى الآن . وقد قرر الوزير مرة أخرى امتعاضه هذا فى مقابلة له مع جريدة السفير البيروتيه (١٠ / ١ / ١٩٨٠) . ان الاعلان الامريكى عن النبأ احرج الحكم السعودى بدون قصد .

كما أنه يوضح مدى متابعة ومراقبة ونشاط السفارة الأمريكة فى

البلاد. ومن جانب آخر وبسبب الاحراج. **إضطر** آل سعود إلى اعلان النبأ مشوهاً إلى العالم خوفاً من أن تفهم الأحداث بخلاف وجهة النظر السعودية وحتى تكون المصادر الاعلامية السعودية المصدر الوحيد للأنباء. خاصة أن الحكومة السعودية منعت الصحفيين من الدخول إلى البلاد. وقطعت الأتصالات عنهم حتى لا يبلغوا عن أى أخبار. أذن ـ وجهة النظر السعودية ـ ليست هناك مشكلة.. فالاعلام وأجهزته هو سعودى مسعود. ولن ينقل سوى البيانات الرسمية ويعكس وجهة نظر الحكومة وأما العالم الإسلامى فعليه الانتظار لما تجود به قريحة وزارة الداخلية من بيانات ملؤها الشتائم والاتهامات الباطلة. ومع هذا. لم تستطع السلطة السعودية الفاسدة. اعطاء وجهة نظر واحدة تجاه الموضوع. فالبيانات تتناقض مع نفسها والتصريحات **التى أطلقها المسئولون** باستمرار **يناقض** بعضها الآخر فهذا ينفى وذاك يؤيد وثالث يصحح ورابع يجمع بين المتناقضات **وهكذا دواليك**. وإلى كتابة هذه السطور لا يستطيع أى باحث أن يخرج بنتيجة واحدة عما قاله مسؤلو النظام. بل أن معهد (ديان) الصهيونى للدراسات الاستراتيجية قال فى معرض دراسته لحادثة الحرم أنه لا يمكن أبدا الاعتماد على البيانات الرسمية السعودية فى تحليل ما حدث. وسوف نلقى فى هذا البحث المزيد من الأضواء الكاشفة على **التخبط** الاعلامى **السعودى الذى لم يشهد له مثيل والذى يبين فى واقعه دجل** الاعلام السعودى ورجاله. بعد أربع وعشرين ساعة من وقوع هذا الحادث. وبعد تسرب الأنباء حول الاعتصام بداخل الحرم نطق الحكم السعودى كفر بعد أن صمت دهراً. وتمثل الرد فى أمرين.

الأول. قالت مصادر سعودية مقربة من الملك السعودى الحالى (فهد) والذى كان حينها ولياً للعهد. يحضر اجتماعات القمة العربية فى تونس معلقاً على تصريح الناطق بلسان وزارة خارجية أمريكا. أن هذا الحادث أقل أهمية بكثير مما ألمحت له وزارة الخارجية الأمريكية. وهذا التصريح هو محاولة للتقليل من الحادث الذى تصور آل سعود أنه سينتهى خلال يوم أو يومين والأمر الآخر هو البيان الذى أصدرته وزارة الداخلية السعودية فى صباح ٣١/١١/١٩٧٩م والذى جاء متأخراً **يوماً كاملاً** وأهم ما فى البيان أنه أعلن وجود الحدث الذى سبقهم إليه غيرهم وأما فهو تهم رشتائم **ليس إلا**. يقول البيان: أغتنمت زمرة من الخارجين على الدين الإسلامى صلاة الفجر يوم الثلاثاء ١/١/١٤٠٠هـ وتسللت إلى المسجد الحرام ومعهم بعض الأسلحة والزخيرة. وقدموا أحدهم إلى جوع المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام بمكة المكرمة لأداء صلاة الفجر مدعين لهم بأنه المهدى المنتظر. ونادوا المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام للاعتراف به بهذه الصفة وتحت وطأة **السلاح**.. وقد قامت السلطات المختصة بأتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف وبناء على فتوى من العلماء جميعاً اتخذت الاجرائات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام وسوف تقوم وزارة الداخلية بإصدار بيان لاحق يوضح ما يستجد بشأن هذا الحادث ان شاء الله. ولنا هنا بعض الملاحظات على هذا البيان. الأول أن الحكم السعودى نعت ولازال ينعت المعارضين لحكمه الفاسد والمخالف للشرع بالخوارج. قبل أن يقوم بانتفاضة. وهنا لا يسعنا إلا أن ننقل مقتطفاً طويلاً من كراس منشور للمرحوم

(جيهمان) باسم الامارة والبيعة والطاعة. وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلم والعوام حول هذه المسألة. يقول (جيهمان) مدافعا عن الاخوان السابقين الذين هم أجداده والذين أسسوا الحكم السعودى وكانوا الجيش الأساسى للملك عبدالعزيز والذين فتك بهم الملك المؤسس وقتلهم بذات التهمة (الخوارج) ما يلى: ولم تستطع هذه الدولة دولة آل سعود أن تفعل ماتفعله من التلبيس والتدليس. إلا لأن رعيتها ومن هم فى قبضة أيديها كأرانب دفعت عليها الغنم لاصطيادها وقتلها. ومن كانت هذه صفته فهو يستحق ما يناله وبذلك تجد المغرورين من هذه الرعية رؤساء فى الدنيا وأتباعا فى الدين لكل ناعق. وتجد حكمهم وسلطانهم ــقائماً على ثلاث قواعد من حيث معاملة أهل العلم والدين.. إن وافتهم وسكت عن باطلهم قربوك وإتخذوك حجة على من خالفهم. وإن سكت عنهم سكتوا عنك. وربما زادوك وأرسلوا لك الهدايا. وذكروا فى حقك هذا الحديث «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» رواه البخارى. وهى كلمة حق أريد بها سكوت عن باطل.. وإن خالفتهم قتلوك بشبهة يسكتون بها الأرانب. فيقولون هذا «**خارجى**» مع أن أرانبهم لاتعرف معنى «**الخارجى**» وأقرب مثال وأوضحه مؤسس دولتهم والمشايخ الذين كانوا معه فى سلطانه. وهم ما بين موافق له ومعزز له بما يشاء. وآخر ساكت عن باطله وآخر إلتبس عليه الأمر..

فقد دعا «الاخوان» رحمهم الله الذين هاجروا فى القرى المختلفة هجرة لله عز وجل. دعاهم إلى بيعته على الكتاب والسنة

فكانوا يجاهدون ويفتحون البلاد. ويرسلون له بما للإمام من الغنائم والخمس والفيء ونحو ذلك. على أنه إمام المسلمين ثم لما إستقر سلطانه وحصل مقصوده والى النصارى ومنع مواصلة الجهاد في سبيل الله خارج الجزيرة.. فلما خرجوا؛ لقبهم هو ومشايخ الجهل الذين معه، لقبوهم بإسم يكرهه أهل الإسلام وهو «**الخوارج**» مع أن الإخوان رحمهم الله لم يخرجوا عليه ولم يخلعوا يداً من طاعة، وإنما لم يطيعوه حينما نهاهم عن الجهاد؛ وهذا هو الواجب لقول النبي ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**» رواه أحمد وهو حديث صحيح.

فيتبين لك ضلالهم في حكمهم على من خالفهم أنه «خارجي» ولكنهم يلبسون على عوام المسلمين الذين لا يتبصرون في دينهم. ويجدون من مشايخ الضلال من يعطيهم الفتاوى، بلا تورع ولا تقوى.. وليس لنا مراد في الخوض في الأموات، فقد أفضوا إلى ما قدموا، ولكن الأمرين:

الأمر الأول: دفع الشبهة عن إخواننا الذين جاهدوا في سبيل الله، وكانوا صادقين مع الله، ثم مع ذلك تلبسهم هذه الدولة السعودية وعلماء السوء لباس الخوارج المارقين من دين الإسلام؛ حتى أنك لتجد اليوم من أهل الخير الملتبس عليهم أمرهم من لا يترحم عليهم «سبحانك هذا بهتان عظيم..».

ولا غرابة في ذلك من أهل ملك يريدون تثبيت **ملكهم**؛ وإنما الغرابة ممن يدعي الصلاح والخير ثم يتهم المؤمنين بما هو منه براء».

ويضيف...

وبعدما لقبهم عبدالعزيز بالخوارج، حل إخوانهم الذين لم يخرجوا معهم على قتالهم، فخرج بهم على طريقهم؛ وبدأهم بالقتال.. فلما قتلهم وشتتهم، وإستقر سلطانه الجبرى.. والى النصارى وعطل الجهاد فى سبيل الله؛ وفتح من الشر أبواب مغلقة.

ثم واصل السير على نهجه ابناؤه من بعده، حتى وصلت بلاد المسلمين إلى ما وصلت إليه اليوم من الشر والفساد.. فنقول الآن؛ أين الحكم بالكتاب والسنة الذى إدعوا الحكم به أول ملكهم؛ ويدعيه كل من تجددت له بيعة منهم؟ أم أن الأمر كما وصفه النبى ﷺ فى الأحاديث: **«وإن طالت بك حياة لتجدن الولد يشابه أباه»** ويشعلون الحرب بين المسلمين **ويثيرون** بعضهم على بعض.

الأمر الثانى: حملنا على الكلام فى تاريخ هذه الدولة مع أهل الحق الصادقين، وتلقبيهم **«بالخوارج»** تلبيساً على العوام الجهال؛ أنه لا يزال إلى اليوم من هو على هذه الضلالة من مشايخ الجهل والضلال ويعتقدون أن الإخوان الماضيين «خوارج» ويسمون من يدعو إلى الحق الذى جاء فى الكتاب والسنة اليوم «خوارج» ويفتون بقتله.. الخ».

هذا الرد من قبل جيهمان؛ وقبل أن تعمم الأسرة الحاكمة صفة «الخوارج» التى أطلقتها **ضده** بعد الانتفاضة على العالم الإسلامى، يوضح بصورة مطلقة **كيف** أن آل سعود ومشايخهم

يستخدمون أقزع العبارات ضد معارضهيم ويجردونهم من إسلامهم ؛ رغم أن هؤلاء ما ثاروا وإنتفضوا إلا من أجل الإسلام..

والغريب أن الأسرة الحاكمة ومن خلال بيان وزارة الداخلية لم توضح هوية المعتصمين فى الحرم ولا جنسياتهم ولا مطالبهم ؛ ولا عددهم ، ولا نوعية سلاحهم كل هذا لم تشر إليه ؛ إنما أشارت إلى التعريف الذى تطلقه وبسهولة على أنهم «خوارج» وكفى.

الثانية: تعمد البيان الحكومى إغفال الهدف من الإعتصام. ولكنه أوحى بأن الهدف هو مبايعة **«المهدى المنتظر»** فحسب ؛ وتحت وطأة السلاح أيضاً ؛ ورغم أن مبايعة ما أسمى بالمهدى المنتظر كان قد وقع فى الحرم بالفعل. ورغم أنه لم يتم تحت وطأة السلاح كما زعمت السلطة وبيانها ، رغم هذا فإن البيان أراد حصر أهداف المعتصمين فى مسألة المهدى فقط ، وتجاوز الأهداف الدينية والسياسية المعلنة.

ومن المعلوم أن جميع المسلمين «سنة وشيعة» يعتقدون بالمهدى المنتظر، كل حسب إجتهاداته ، لذا أراد البيان أن يشغل العالم بتفاصيل هذه المسألة لإهمال الجوانب الأخرى من العملية. الثالثة : زعم البيان الحكومى ــ وبحجة الحفاظ على أرواح المسلمين فى داخل الحرم ــ أن الحكومة إتخذت تدابير أمنية من أجل ذلك بناءاً على فتوى جميع العلماء.. ويتوضح هنا حرص الحكومة على ذكر «جميع» العلماء بيد أن الحقيقة التى ظهرت هى أن العلماء لم يصدروا حتى ذلك التاريخ «صباح ١٩٧٩/١١/٢١م» أى فتوى. وإنما أرادت الأسرة الحاكمة أن توهم الناس بأن أعمالها

العسكرية التى بدأت بها نالت الموافقة الشرعية المسبقة لحماية أرواح الحجاج.

وقد تبين فيما تبين أنه لم تكن هناك أى رهائن لدى المعتصمين، الذين زعمت أجهزة الإعلام أنهم بقبضتهم، وما كان التشديد على وجود رهائن إلا من أجل أن يسبغ على التحرك العسكرى السعودى صفة الشرعية والدفاع عن الأرواح البريئة.

والأكثر من هذا أن محمد عبده يمانى وزير الإعلام السعودى أشار فى لقاء له مع مجلة الحوادث (١٨/١٠/١٩٨٠) إلى أن السلطة تصورت فى البداية أن القائمين بالعملية هم بعض المشايخ.. فكيف تحول المتهمون إلى موقف الحكومة الذى يطالب بمداهمة الحرم عسكريا رغم أن ولاء بعضهم للعائلة الحاكمة ــ على الأقل ــ مشكوك به؟ وكيف يبرر البيان تأكيده على وجود فتوى من «جميع» **العلماء؟؟**

الثوار كما يعرفهم آل سعود:

من السهل أن يلقى النظام التهم والألقاب السيئة التى يريدها ويجد لها من يروجها..

فأولاً.. لا ينقص آل سعود الأجهزة الإعلامية المتطورة، ولا ينقصهم تعاطف الصحافة الغربية والإعلام الغربى! إضافة إلى الإعلام الرسمى العربى والإسلامى معها.. هذا لا ينقصهم.

ثانياً.. وهو الأهم. أن أمراء الأسرة الحاكمة لا يحكمهم وازع من دين فيحاسبوا أنفسهم فى تصرفاتهم **«أقوالهم وأفعالهم»**

وماداموا طلاب ملك ويدافعون عن ملكهم ؛ فلا يهمهم الوسيلة بعدئذ.. ولذا لم يدخر أى مسئول سعودى أو أمير صغير من أمراء الأسرة المالكة وسعاً فى إلقاء التهم والنعوت التى يريدون على المعتصمين داخل الحرم.. خصوصاً وأن هؤلاء الأخيرين لم يكونوا يملكون أى توجه إعلامى يفند للعالم مزاعم الحكم السعودى. وهكذا بقيت التعريفات السعودية للثوار التى أطلقها آل سعود سيدة الساحة الإعلامية تلوكها الصحف الأجنبية والعربية وتنقلها عن بعضها البعض..

فى السابق، كان السعوديون يواجهون القوى الوطنية المعارضة لحكمهم بأنها شيوعية تريد القضاء على الإسلام الذى جاء آل سعود لإحيائه والدفاع عنه (ــــ) ولكن ماعساهم أن يقولوا اليوم والحركة الإسلامية تقف بشموخ فى ساحة المعركة، وفى مواجهة حكمهم الفاسد من أجل تطبيق حكم الإسلام العادل ؟؟.

لابد أن تتغير الإتهامات بالطبع.. فلا يمكن أن يمرروا على المسلمين بأن هؤلاء شيوعين يريدون القضاء على الإسلام.. إنما هناك صفات لابد أن تبتدع لمواجهة مثل هذا الحالة. ولذا كان من جملة الأوصاف السعودية التى أطلقت على جهيمان وصحبه **«التطرف» «الهوس الدينى».. «الجنون».. «الغرور».. «الخروج عن الدين» «المروق والضلال والكفر.. الخ».**

ففى البيان الأول للحكومة الصادر فى اليوم التالى للإعتصام (٢١/١١/١٩٧٩). جاء وصف «الخروج عن الدين». وفى اليوم التالى وصفهم وزير الخارجية سعود الفيصل بأنهم «مجموعة

من المتعصبين المهووسين، كما وصفهم أمير المدينة المنورة الراحل عبدالمحسن بن عبدالعزيز بأن الجماعة (فئة مارقة ضالة ارادت التفرقة بين المسلمين).. وفى نفس الوقت وصفهم وزير الداخلية (وزير القمع) نايف بن عبدالعزيز بأنهم (مجرمون وقتلة) وفى اليوم التالى أضاف بأن (الحادث هو إنحراف وخروج عن حقيقة الدين الإسلامى فى إطار إجرامى).

من جهة قال الملك السعودى السابق (خالد) وحسب ما أذاعته إذاعة الرياض (٢٣/١١/١٩٧٩) أنه أرسل برقية جوابية للملك المغربى؛ جاء فيها بأن أفراد الجماعة (فئة متطرفة ومغرورة ومنحرفة عن جادة الدين الحنيف).

وبالنسبة للإذاعة السعودية، فقد جاء فى تعليقها السياسى فى اليوم الرابع للعملية (٢٣/١١/١٩٧٩) مايلى: (إن المملكة ستضرب بيد من حديد كل من يحاولون التستر تحت ستار الإسلام كذبا وإدعاءً واستغلالاً للأوهام والخزعبلات بهدف الوصول إلى أهداف خطيرة سعياً للإساءة إلى الإسلام والمسلمين).

فلاحظ أخى القارىء هذه الأوصاف كيف أنها تنطبق فعلاً على الحكام السعوديين لا على أولئك المعتصمين فى الحرم. ولاحظ كيف أن الإعلام السعودى يصم كل محاولة لمعارضة الأسرة الحاكمة الفاسقة بأنها تسىء إلى الإسلام، بينما هى فى الواقع لاتسىء إلا إلى آل سعود أنفسهم..

وزادت حمى التصريحات السعودية، وزادت الأوصاف والنعوت الباطلة، فهذا مشعل بن عبدالعزيز وزير الدفاع السابق يعتبر حادثة

الحرم شيئاً مكملاً للحروب الصليبية، وأنه وإخوته يمثلون الإسلام **والدفاع عنه، بينما** جهيمان وجماعته يمثلون العداء الصليبي للإسلام، مع أن كراسات جهيمان تشهد بأن من أسباب إنتفاضته أن آل سعود موالون للصليبيين أعداء الإسلام ــ يقول مشعل هنا (إن حادث الحرم هو إستمرار للحرب ضد الإسلام منذ الحروب الصليبية حتى الآن)..

وهذا سلمان بن عبدالعزيز (أمير الرياض) يصفهم بالإنحراف والشذوذ، بينما لا يوجد على أرض الجزيرة العربية والعالم الإسلامى أكثر شذوذاً وإنحرافاً من آل سعود؛ وهذه الصفة نالها آل سعود عن جدارة. وشهد لهم الغرب بها قبل المسلمين؛ رغم إختلاف التوجه الدينى والأخلاقى.

وإعتبرهم فهد، الذى كان يومها وليا للعهد، ويحضر إجتماعات القمة العربية فى تونس؛ بأنهم (أعداء الدين والوطن) وأنهم (طغمة فاسدة).. ثم عاد ووصفهم بأنهم (سذج) وأوحى فى تصريح له بأن الإحساس الدينى المتعمق فى البلاد يسبب السذاجة، وعليه فإن كل المواطنين أو معظمهم ــ برأى فهد ــ هم من السذج ويقول مضيفاً (وبطبيعة الحال فإن السذج كثيرون والإحساس والشعور الدينى أعمق عندنا هنا عنها فى أى بلد آخر).

لقد كان وزير القمع السعودى أكثر المتحاملين على المعتصمين، وقد أضاف إلى قاموس السباب الذى إشتهرت به أسرته الفاجرة، **بذاءة** فى التعبير ووقاحة بلغت حداً تصور معه

المراقبون بأن نايف يحمل حقداً دفيناً فى قلبه على المتدينين جميعاً داخل البلاد .. فإضافة إلى نعوتاته السابقة قال نايف عن الجماعة بأنها (شر ذمة فاسدة مفسدة روعت المسلمين والطائفين فى بيته الكريم الآمن) وبعد مدة قال مصححاً :

(أحب أن أصحح كلمة قيلت عن وصف هذه الفئة بالفئة الباغية، الواقع أنها أكثر من باغية هى مجرمة وخارجة) وفى مقابلة مع **سليم** اللوزى رئيس تحرير (الحوادث) السابق قال بأن افرادها (مهووسون سذج ، إستولت عليهم مشاعر دينية معينة) .

ونقلت الصحف اللبنانية تصريحاً لفهد بتاريخ ١٩٨٠/١/٢٥ قال فيه :

«إن الذى حدث هو سمة ما نسميه ولكنه أقرب إلى الهوس وعدم الإنتظام وعدم التفكير) وفى هذه الأثناء وصفهم نايف بأن : «مستواهم الفكرى والثقافى كان دون الحد الأدنى الذى يمكنهم من شرح أى قضية علمية أو دينية أو اجتماعية» .

وبلغ إستخفاف **الإعلام** السعودى بالرأى العام حداً فظيعاً حين قارن حادثة الحرم مع طائفة جيم جونز التى قامت بعملية إنتحار جماعى فى (جوايانا) عام ١٩٧٨. وتلقفت مجلة الحوادث هذه المقارنة السخيفة ليكتب بعدها رئيس التحرير: (كنت فى الولايات المتحدة، ولعل هذا هو السبب الذي **جعلنى أربط** بين حركة (الإخوان) وحركة «هيكل الشعب» فى مقاطعة «جويانا» بأميركا حيث أقدم حوالى تسعمائة شخص عام ١٩٧٨م على الإنتحار وبدعوة من مرشدهم «جيم جونز» كلا

الحركتين قامتا على الموس الدينى، وكلاهما إنتهت بعملية إنتحارية غبية، بل إن دعوة هيكل الشعب الأمريكية كانت مفهومة أكثر).

فهل هذه المقارنة صحيحة؟

إنها مغالطات واضحة تفيض بالحقد والتعامى عن الحقائق؛ وتجافى العقل والمنطق، ولا عتب على اللوزى ومجلته؛ لأنها مجلة أنظمة تجارية تنقل ما يردده الإعلام الحكومى، إنما العتب على أولئك الذين إنضموا إلى جوقة (الطبالين) وهم يتصورون أنهم يحسنون صنعا.. وإلا فأى عقل وذوق ومنطق يقبل بالمقارنة الفجة هذه؟؟.

إن الدين لكلا الطائفتين مختلف والأهداف كانت مختلفة ومتباعدة بعد السماء عن الأرض، والوسيلة لتحقيق الهدف كانت مختلفة، فبينما قامت (هيكل الشعب) بالإنتحار بالسم جماعيا، للتخلص من هذه الحياة، كانت جماعة جهيمان تدافع عن مبدأ حق، وتعلم أن الإنتحار اثم وقد قتل أفرادها حرقاً وخنقاً وبالرصاص، ثم بالسيف فى ساعات الإعدام على يد جلاوزة النظام الحاكم. ودفاعاً عن أهداف دينية وسياسية.. ولا نريد هنا أن نناقش كل الترهات التى أطلقها الإعلام السعودى وأمراء الأسرة الحاكمة، فالعاقل البصير يكتشف الحقائق التى جعلها السعوديون بسبابهم وشتمهم واضحة كالشمس فى رابعة النهار.

وما يهمنا من سيل الأوصاف والنعوت السعودية هذه؛ هو التوقف عند أمرين هامين:

أولاً: لم يذكر أى مسئول سعودى إسم الجماعة التى قامت بالإعتصام.. لم يقل أحد منهم أنهم من جماعة (الدعوة المحتسبة) التى ترجع جذورها إلى حركة الإخوان التى أسست الحكم السعودى؛ أو أنها إمتداد لها.. **ما السبب يا ترى؟ هل أن النظام الحاكم وأمراء الأسرة السعودية عرفوا بأن أفراد الجماعة (خوارج، ومهووسون ومجانين، وجهلة، وبغاة، وسذج، وظالمون ومنحرفون، إلخ) ولم يعرفوا إسم الجماعة فتجنبوا ذكره؟ أم أن العملية مقصودة أساساً؟.**

(إن الذى يستطيع أن يصدر بيانات تفيد بجنون المعتصمين من السهل عليه أن يكتشف إسم جماعتهم وحركتهم فكيف وصل آل سعود لمعرفة العقول ولم يعرفوا الإسم؟.

إننا لا نشك بأن الأمراء تغافلوا عن ذكر الإسلام، لا لجهل منهم به، **ولا لنسيانهم** له، ولا لأن الإسم غير مهم فى الوقت الذى كان العالم الإسلامى والعالم بأجمعه يبحث عن بيانات الحكومة المليئة بالإسفاف عن شىء يرشدهم إلى معرفة الهوية والإسلام.. وأن المسألة لم تكن مصادفة؛ لأن المسئولين الكبار فى الأسرة تجنبوا عن سابق إصرار خلال المقابلات الصحفية، الإجابة عن الاسئلة التى تشير إلى الهوية.

والعالم الإسلامى وإلى هذا الوقت لا يعلم هوية القائمين بالعملية، سوى ما أعلنته الحكومة أنهم مجموعة خوارج إحتلوا الحرم.. فهل هذا التعريف كاف لتوضيح الحقائق؟ وكيف يخرج

الرأى العام بنتيجة صحيحة طالما أن التعريف إقتصر على السباب والإتهامات ؟.

لقد قدمت بيانات وزارة الداخلية وتصريحات فهد ونايف وإخواتها مجموع الشتائم للثوار على أساس أنها تعريف كاف لهم، فلم يقتنع بذلك الواعون من هذه الأمة، فالجميع شعر بأن حلقات كثيرة من فصول عملية الحرم طمستها السلطة السعودية ــ ومع هذا تصور آل سعود بأنهم اقنعوا العالم بما قالوه ولكنهم بعد ذلك إعترفوا ــ ولأول مرة ــ بفشل إعلامهم، وراح كل منهم يلقى اللوم على الآخر كما سيتوضح :

ثانياً: رغم أن أجهزة النظام وأقطاب الأسرة السعودية إستخدمت عدة تعريفات ولم تستقر على واحد منها. فإن هذه التعريفات والأوصاف لا يجب أن تقبل لسببين :

الأول: إنها مجموعة من الشتائم ولا تتعدى واقعها أكثر من ذلك.

والثانى: أن التعريفات صدرت من نظام يقف فى الجهة الأخرى من المعركة مع المعتصمين وبالتالى فهو ليس طرفا محايداً وصادقاً تؤخذ منه الإتهامات على أنها حقائق... وكنا سنقبل بالأوصاف لو أن الذى أطلقها إناس محايدون يعرفون الجانبين على حقيقتها ومن ثم كنا سنعرف حقاً من هو الخارج عن الدين ومن هو.. الزنديق، والمنحرف والشاذ ؟!

• • •

وبعد هذا العرض السريع لإتهامات السلطة ؛ سنحاول فى السطور التالية توضيح هوية القائمين على العملية وجذور تحركهم التاريخى .

قلنا أن المعتصمين ينتمون إلى (جماعة الدعوة المحتسبة) التى هى إمتداد لحركة (الإخوان) الذين قضى عليهم الملك عبد العزيز فى أواخر العشرينات بعد أن أسسوا دولته ، وبعد أن قضى وطره منهم .

وهنا لا يسعنا أن نفرد بحثاً عن نشوء حركة «الإخوان» الأولى وكيف آلت نهايتها ولكننا مضطرون إلى القاء بعض الأضواء الكاشفة السريعة حولها ؛ لإستكمال حلقة التعرف على هوية المعتصمين فى الحرم ؛ وبإمكان من يريد مزيد الإطلاع أن يراجع الكتاب الذى صدر عن المنظمة مؤخراً حول هذا الموضوع بالذات وهو «الإسلام والوثنية السعودية» .

بداية «الإخوان» وبداية الدولة السعودية

جاء الملك عبد العزيز إلى الحكم بإنقلاب عسكرى على إبن عجلان حاكم الرياض فى يناير عام ١٩٠٢م وسيطر على المدينة بالقوة .. والمبرر الذى رفعه الملك حينها هو المطالبة بعودة ملك الأباء والأجداد ؛ فلم يكن هدفه دينياً بل هدفه الكرسى والحكم .

ومن الرياض قام إبن سعود بتجنيد بعض البدو والقبائل لمحاربة خصمه إبن الرشيد الذى يتخذ من مدينة حائل مركزاً لحكمه ؛ وذلك من أجل توسيع ملكه ليشمل معظم مناطق الجزيرة العربية

التى كانت فى العشرينات من القرن التاسع عشر تحت سيطرة جده (سعود الكبير).

ورغم أن عبدالعزيز أحرز بعض التقدم بمساعدة الإنجليز؛ فإحتل بعض المدن جنوب الرياض؛ وحاول التوسع أكثر فأكثر.. إلا أنه عجز عن تحقيق ما كان يصبو وهو إسقاط حكومة آل الرشيد؛ وحكم الأشراف فى الحجاز، وحكام عسير والجنوب..

فى عام ١٩٠٤م؛ إحتل مدينتى عنيزة وبريدة وتوقف.. وفى عام ١٩٠٨م واجه إبن سعود ثورات وتمردات فى مدينة بريدة وفى مناطق أخرى، قاد بعضها أفراد من العائلة الحاكمة ولما عجز عن التوجه شمالاً لمقاتلة إبن الرشيد؛ ولما كان إعلان الحرب على الشريف حسين فى الحجاز يثير غضب أسياده الانجليز فلم يبق إلا أن يتجه شرقاً إلى الإحساء التى كانت تحت سلطة الأتراك الذين كانوا يواجهون تمردات فى البلقان واليمن وغيرها من المناطق التابعة لدولة الخلافة.

فإستشار الإنجليز على الإحتلال، وبعد تمنع لأسباب تتعلق بوجودهم فى الخليج وعلاقاتهم مع تركيا ـ وافقوا على ذلك؛ فإحتل الإحساء بمعاونة الأهالى الذين سهلوا له الأمر من أجل الخلاص من فساد الحكم التركى؛ وكان الإحتلال عام ١٩١٣م/ ١٣٣١هـ.

فى هذه الأثناء صعد نجم جماعة دينية أطلقت على نفسها (الإخوان) تدعو للعودة إلى الدين؛ وما كان عليه السلف الصالح.

وكانت هذه الجماعة قد بدأت فى عام ١٩١٣م بالتوسع من أجل إعادة المجتمع نحو الإسلام والإخوة الإسلامية بدل الإقتتال والنهب والسلب؛ فوجدها الملك عبدالعزيز ـ بعد عودته من إحتلال الإحساء ـ منافساً لسلطانه. فحاول مراراً أن يقضى عليها بالقوة ولكنه عجز عن ذلك. وتدل المصادر التاريخية إلى أن عبد العزيز إصطدم مع فيصل الدويش زعيم (الإخوان) قبل أن يتحالف معه ثم ينتفض ضده.

وخلال عامى (١٩١٣ ـ ١٩١٥) جرب عبدالعزيز إسلوب الإحتواء، فبعد زيارات ومراوغات وإظهار نفسه متديناً يحمل أهداف «الإخوان» التى يسعون إلى نشرها، إستطاع إقناعهم بالإنضواء تحت لوائه ورفع راية (الجهاد) لتوحيد جزيرة العرب بإسم الإسلام ومنذ هذا الوقت (١٩١٥) إتخذت فتوحات عبدالعزيز الصفة الدينية كما يؤكد كل المؤرخين. وأبناء «الإخوان» يوسعون من قاعدة عملهم ونشاطهم حتى أصبحوا جيشه؛ فحين يذكر المؤرخون كلمة (الإخوان) فهى ترمز بدقة إلى (جيش عبدالعزيز) فيقال جاء (الإخوان) وقاتل (الإخوان) وصلى (الإخوان) وغير ذلك..

من جهته؛ تخلى عبدالعزيز عن لقب (الأمير) أو (الشيوخ) وسمى نفسه (إماماً) لتأكيد مساره الجديد، فكان «الإخوان» حتى بعد أن أعلن نفسه (سلطاناً) ثم (ملكاً) لا يسمونه إلا بـ(الإمام) وعليه.. فقد كانوا يأتونه بالخمس الذى يقره الشرع بالنسبة للإمام!!.

وكان من ضمن ما إتفق عليه زعماء (الإخوان) مع عبد العزيز أن يدعو الأخير كل القبائل إلى الاستيطان لتشكل (هجرا) وهى جمع (هجرة) وهى المكان الذى يهاجر إليه.. فتتحول بعدئذ القبائل إلى جماعات مستوطنة تقوم بالزراعة وقت السلم، وتحارب مع الملك وقت الحرب؛ فيستطيع أن يعلمهم (التوحيد) الدين الجديد!! ويستطيع أن يثير حماسهم وأن يعاقبهم أيضاً.. وهذا ما كان يطمح له إبن سعود.

فهو ــ أى عبد العزيز ــ لا يستطيع أن يتوسع أكثر مما توسع، لأن البدو الذين يعتمد عليهم لا يثبتون فى أرض، وإن كانوا مستعدين للذهاب إلى أى مكان للقتال، ولكن وقت الهزيمة يتراجعون بسرعة؛ لأنهم جاؤوا للقتال من أجل المغنم والمال الذى يعطيهم عبد العزيز إياه. أما المدن المحتلة فأفرادها مشغولون فى زراعاتهم وتجارتهم وهؤلاء لا يستطيعون مجاراته فى مغامراته العسكرية.

أما (الإخوان) فهم نموذج فريد من نوعه، إنهم بدو فى الأساس، إستوطنوا بعض المناطق من أجله الزراعة وتعلم الدين وأصول الجهاد من أجله.. وبالتالى فهم بروحهم الدينية وقدرتهم على تحمل المصاعب ومشاكل التنقل، قادرون على الإيفاء بمتطلبات المعارك كلما يدعون إليها، دون الحاجة إلى توزيع المال، ودون الخوف من الإرتداد أثناء الهزيمة لأن الأدبار فى المعركة حرام.

إذن، فمن أجل أن يعطى لتحركاته صبغة دينية تمكنه من القتال وبعث النخوة وروح الجهاد فى قواته ومن أجل أن يكون

هناك معين لاينضب من المقاتلين الأشداء من الهجر الإخوانية، ومن أجل السيطرة على البدو وتقييد تحركاتهم وإخضاعهم لسلطانه قرر ابن سعود إحتواء حركة (الإخوان) وتأسيس مثيلات لها بدعوة القبائل — وبالقوة — للإستيطان وفي ذات الوقت دعا العلماء لتعليمهم بعض المسائل الدينية القشرية التي تزيد في تأكيد ولاء البدو ولعبد العزيز والقتال بإسم الجهاد. وشحنهم بمفاهيم غريبة تقول بأن غيرهم كفار تحل دماؤهم. وأنهم وحدهم المسلمون.

ولهذا السبب رفض ابن سعود عروض حاكم الاحساء ابن عمه (عبدالله بن جلوي) الذي نصحه بالاستمرار في مقاتلة بؤره «الاخوان» الأولى التي كانت (الارطاوية) مرتعاً لها وتذكر المصادر أن ابن جلوي شبهها بالنار التي تأكل ما حولها. الآن بدأ ابن سعود يقاتل باسم الإسلام من أجل توسيع سلطانه ومملكته وترك قول (عودة ملك الأباء والأجداد) إلى حين.

وبدأت دورة الزمن فما هي إلا سنوات قلائل حتى تحول «الاخوان» إلى قوة قال عنها المؤرخون ابن عبدالعزيز يستطيع أن يفتح بها ما يشاء كيف شاء. أنى شاء. فاكتسحت القوة الاخوانية الساحة السياسية للجزيرة العربية اكتساحاً ولولا المعادلات الدولية التي كان يراها ابن سعود لما احتاج الآخير إلى عشر سنوات لاحتلال بقية المدن والمناطق التي شكلت فيما بعد دولة آل سعود الحالية فقد كان بامكان «الاخوان» القضاء على كل القوى الأخرى في ظرف سنوات قلائل جداً مع العلم أن عشر سنوات هي قليلة بعمر الزمن (١٩١٥ — ١٩٢٥).

لذلك يقول جلال كشك فى كتابه (السعوديون والحل الإسلامى): (نجد أن من ١٩٠٢م إلى ١٩١٥م ـ وإن كان الخط البيانى لصالح ابن سعود ـ إلا أن الحرب سجال والكفتان تتعادلان ـ كفة ابن الرشيد وكفة ابن سعود ـ من البكيرية إلى جراب ولكن بعد اتضاح الطابع العقائدى بالاخوان حسم الموقف تماماً. وأصبح الأمر هينا بارادة عبدالعزيز متى شاء انهى دولة آل رشيد. فلما حانت اللحظة المناسبة انهاها).

ويقول مترجم الملك محمد المانع فى كتابه (توحيد المملكة العربية السعودية) ص١١٣: (وكان استلاء ابن سعود على كل من الحجاز وجبل شمر بسهولة يرجع فى الدرجة الأولى إلى جهد الاخوان.. ولقد مر زمن فى أواخر العشرينات من هذا القرن كانوا يسيطرون فيه على كل جزيرة العرب. وكان فى استطاعتهم أن يضموا أى جزء منها إلى دولة ابن سعود ولو سألهم أن يقوموا بذلك).

وأما فيلبى ـ العميل الانجليزى المعروف ـ فيقول بعد أن يعدد معارك ابن سعود: (وقد نجح ابن سعود فى حروبه هذه وكان مديناً بهذا النجاح إلى **قوات** «الاخوان» على الخصوص). وفى موقع آخر يقول: (لقد انتزعت الشوكة من حركة «الاخوان» الذين لعبوا دوراً بارزاً فى خلق النظام ـ السعودى ـ الجديد ولم يعد بامكانهم تأدية أى خدمة نافعة أخرى) وهكذا يتوضح دور «الاخوان» فى **إقامة** النظام السعودى رغم أن ما قاله مؤيدو آل سعود لا يفى بشىء من حقهم.

إحتلال الحجاز والنهاية

الحجاز كان آخر منطقة سمح الاستعمار الانجليزى لعبد العزيز **باحتلالها فاحتلت للقضاء على الشريف حسين لمطالبته بأن** تكون فلسطين للعرب وليس لليهود كما وافق عبد العزيز ـ لقد عجز الانجليز فى اقناع حليفهم الشريف حسين بالموافقة على أن تكون فلسطين لليهود. وهددوه بكلب الحراسة (عبد العزيز) وبقوات الاخوان **لكنه رفض**. فاعطى الانجليز بعدئذ الضوء الاخضر لابن سعود حتى يحتل الحجاز بعد ان عجز لورانس فى اقناع الشريف وإرغامه.

بسهولة فائقة احتلت قوات «الاخوان» الطائف وهزمت قوات الشريف حسين الضخمة فأعملت فى الاهالى ذبحا وتقتيلاً لأن الناس هناك كفار وهراطقة والمسلمون هم وحدهم. وبعد ايام احتلت مكة فى أواخر عام ١٩٢٤م فيما هرب الشريف حسين للخارج إلى الأردن ومنها إلى (قبرص) منفاه الأخير الذى اختاره له الانجليز.

وفى ذات الوقت اعتصم الشريف على ابن الشريف حسين فى جده وقاوم من هناك فحوصر لأكثر من سنة إلى أن استسلم وانهيت دولة الاشراف بسقوط المدينة المنورة أولاً. وجده ثانياً.

فى هذه الفترة عرف **أن ابن سعود ابن زمن** الحرب ولى وأنه آن الأوان للانكفاء وبناء الدولة لأنه ليست هناك مناطق أخرى قابلة للاحتلال بعد التقسيمات الاستعمارية التى أظهرتها اتفاقية

(سايكس بيكو) فلا العراق ولا الأردن ولا مناطق الخليج ولا اليمن يمكن أن يسمح الانجليز لابن سعود أن يحتلها وان كان فى قدرته من ـ الناحية العسكرية فعل ذلك لأنها مناطق النفوذ الانجليزى ولان اتفاقيات فرنسا وبريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى تقضى بذلك .

بعد اسبوعين تقريباً من سقوط جدة أعلن عبد العزيز نفسه (ملكا) وتخلى عن لقب (الإمامة) فثارت ثائرة الاخوان لان من دواعى قتالهم الشريف أنه أعلن نفسه (ملكا) وكان ابن سعود يشحن الاخوان لقتال (ملك العرب) الحسين بن على فكيف يقبل هو الآن بلقب (الملك) وكيف يشرك نفسه مع الله باتخاذ اسمائه فيقال له (صاحب الجلالة . والمعظم . وصاحب السمو)

فى هذا الوقت دخل عليه جماعة الاخوان وعلى رأسهم سلطان بن بجاد قائد الجيش السعودى الذى احتل الطائف ومكة ثم جده وهم شاهرين سيوفهم مستنكرين فعلة الملك ومهددين بالقتل إن لم يتخل عن اللقب فوعدهم خيراً ولكنهم حين خرجوا فاجأ المجلس بكلام جديد وهو التشنيع بفعل الاخوان ووصمهم بالجهل والتخلف وأنهم ضد المخترعات «التليفون» وغيره .

وقد كان هذا الموقف دليل تبدل فى موقع الملك السعودى فاظهر ما اخفاه طيلة عشر سنوات ضحك فيها على الإخوان المشايخ بانه ينهج منهجهم ويسايرهم لقد تحقق لابن سعود ما أراد فأعلن الحجاز مملكة وبعد سبعة أشهر ونصف أعلن الاحساء مملكة هى

الأخرى فأصبح ملكاً على الحجاز وملحقاتها ولم يعد يعبأ بالعلماء أو بالاخوان لأنه استنفذ أغراضه منهم .

وجاءت المشكلة الأكبر وهى أن عبدالعزيز يعلم أن الجهاد الذى اطلقه ضد معارضيه لا يقف عند حد فاهل الكويت والعراق وسوريا ومصر واليمن ومشيخات الخليج وغيرها كلهم كفار كما كان يلقبهم وعليه فلابد من استمرار القتال وادخال الكفار فى دين الإسلام .. بيد أن الأمور انتهت من الناحية الاقليمية فوضع التجزئة الذى رسمه الاستعماريون بعد اسقاط دولة الخلافة قد حدد وغير قابل للاختراق وهذا مالا يفهمه الاخوان وأن فهموه فهم لا يعبؤون به فالجهاد ليس له حدود والانجليز وغيرهم لا يخيفون الاخوان المتحمسين لقتالهم .

وبدأ تمرد الاخوان بعد عودتهم من الحجاز فاثاروا اهالى نجد ضد الملك الذى (تغير) فأسرع الأخير إلى الرياض لضبط الأوضاع المتسببة التى سببها تمرد الاخوان الذين أصدروا بياناً يبين سبب تمردهم والذى يتلخص فى أمور أهمها .

(ان ابن سعود أصبح ملكاً ويتصرف كالملوك وأنه يأخذ ضرائب بغير حق وأنه يعطل الجهاد وأنه يوالى النصارى) .

وأصدر علماء ابن سعود بياناً رداً على الاخوان يدين فى جانب منه عبدالعزيز ولكنهم ختموه بان لا يجب الثورة على (الإمام) إذا خالف أوامر الشرع .

لم يقتنع الاخوان بل توجهوا إلى الشمال وهناك بدأوا بالهجوم

على المركز الحدودى العراقى فى (مصيته) واستولوا على حاميته فتحركت جماهير الاخوان بعشرات الآلاف تطالب بالقتال مع الدويش (القائد) إلا أن ابن سعود أعلن أن الدويش متمرد على أوامره وطالب بإعادة ما أخذ من المركز وقطع المطيات وجنده وكل من ينضم إليه وابلغ بريطانيا والانجليز فى العراق والكويت أن ما فعله الدويش ليس بأمره وأنه يستعد للقضاء عليه.

ويصف المندوب السياسى البريطانى (ديكسون) فى كتابه (الكويت وجاراتها) ما جرى بعدئذ بين قادة الإخوان وابن سعود كالتالى:

كانت خطتها ـ الدويش وابن بجاد ـ وضع ابن سعود فى مأزق لكى يتسنى لهم احراجه حسب الحجة الآتية: يا عبد العزيز أنت كامام كنت تدعو إلى الجهاد ضد الكفار والمشركين ولطالما دعوت وكررت الدعوة إلى أن العراق كدولة يجب أن يدمر وأن كل ما يؤخذ من أهله حلال ولطالما رددت قول القرآن الكريم لاثبات أن كل الاعمال التى يقوم بها المؤمنون ضد الكفار والمشركين يجب أن يكافؤا عليها والآن وبأمر من الانجليز الكفار أنفسهم تدعونا نحن فرسانك المختارين سيف الإسلام إلى إعادة ما أخذناه لأنك تعتبر ما أخذناه خطأ فإما أن تكون انت دجال منافق تحب ذاتك وتبحث عن منفعتك وإما أن يكون القرآن غير صحيح. فليحكم علماء نجد بيننا.

ويضيف ديكسون (ومما لا شك فيه أن الرعب دب فى قلبه ـ أى قلب ابن سعود ـ بحيث أنه لم يفكر قط فى عرض القضية

على أية هيئة من علماء الدين. وبدل أن يقرر القطيعة مع البريطانيين قرر ضرب الاخوان بسرعة مرة واحدة وإلى الأبد).

وهنا اذاع ابن سعود بأن الدويش وابن بجاد واتباعهما هم من الخوارج وأصدر رجال الدين ومشايخ الملك الفتاوى التى تنعتهم بذلك والتى تجيز قتالهم فجاءت معركة السبلة فى (٢٩/٣/١٩٢٩م) فالاخوان الذين تبعوا قيادتهم «الدويش» كانوا عشرة آلاف مقاتل وأما الملك فكان معه (٤٠) ألف مقاتل عن البدو والقبائل الأخرى.

مع هذا أصيب الملك بالهلع وكذلك حاشيته لأنهم يعرفون بأس الاخوان. وقد توقع مترجم الملك الذى زافقه فى المعركة كما يذكر فى كتابه (الموت أو الهرب) لكن ـ المترجم ـ يعترف بأن المدافع الرشاشة الجديدة التى سلمها الانجليز لابن سعود هى التى حسمت المعركة من البداية خاصة وان الاخوان لم يكونوا يعلمون بها. فهزموا وجرح الدويش وقتل (٥٠٠) من انصاره وانسحبت قواتهم إلى هجرتهم الأولى (الارطاوية) فلحق به الملك واراد أن يعتقله ولما جيء بالدويش محمولاً على نعش. تصور الملك أنه سيقدر على اعتقاله. لكنه علم قبل ساعات أن جيش الاخوان يحيط بالمعسكر وأنه إن قتله سيقتل هو أيضاً فتركه خاصة وأن طبيبه أكد له بأن جراحات الدويش ستقضى عليه سريعاً وهى جراحات كبيرة استغرب المانع فى أنها لم تقضى عليه.

بعدها توجه الملك إلى شقراء وطلب مقابلة ابن بجاد الذى هو أقوى من الدويش ومعه انصار أكثر يبلغون (٣٠) ألف مقاتل

فجاء ابن بجاد وحده مع قلة من أنصاره للمباحثة فاعتقله وارسله إلى الرياض وأنهى الأزمة.

ويعلق ديكسون على هذه الخيانة والغدر بقوله (شتت ابن سعود اتباعهم ـ اتباع الاخوان بعمل وصفه اصدقاؤه بأن عمل حق ووصفه اعداؤه بأنه الغدر بعينه ويمكن ارجاع ثورة الدويش التالية التى كلفت ابن سعود كثيراً إلى هذه الحيلة ـ الخيانة ـ غير الملكية لأن العربى لا ينسى).

لم يمت الدويش وإنما إنطلق شرقاً يقود أعداداً كثيرة من الإخوان ومن أفراد قبيلة عتيبة ومطير وبعد فترة قتل ابن الدويش (عزيز) وقتل ابن حيثلين غدراً بالطريقة ذاتها التى استخدمها ابن سعود مع ابن بجاد ولكن تمت الخيانة هذه المرة على يد ابن حاكم الاحساء وبعدها راح الدويش يهاجم فى العمق فى نجد فظهر له الانصار هذه المرة والمؤيدون من الاخوان غير أن الملك ـ وباتصالاته ـ حاصر الدويش شرقاً (الكويت) وشمالاً (العراق) وهاجمتهم طائرات ومدرعات انجليزية فاستسلموا قبل أن يصل الملك لقتالهم بتاريخ ٩، ١٠/١/١٩٣٠م وهم (الدويش ونايف بن حثلين وسهود بن لامى) وأخذهم سلاح الطيران الملكى البريطانى إلى البصرة ثم وضعوا على ظهر سفينة حربية بريطانية اسمها (لوبن) فى شط العرب وبعد اسبوعين نقلوا جواً إلى معسكر ابن سعود فى (خبارى وضحه) بتاريخ ٢٨/١/١٩٣٠م وسلموا إليه فادوعهم (سجن) فى الرياض وانقطعت اخبارهم لكن بتاريخ ٣/١٠/١٩٣١. أعلنت الحكومة موت الدويش فى

السجن وعلم ان السرطان قد أصاب حلقة فترك دون عناية إلى أن مات .

أما البقية فقد نقلوا إلى سجن (العبيد) بالاحساء تجنبا لاثارة النجديين وبقايا الاخوان وهنا لقوا حتفهم وانقطعت اخبارهم وبعد مرور أقل من سنة على مقتل الدويش اعلن الملك بتاريخ (١٨ / ٩ / ١٩٣٢م) بتغيير اسم البلاد إلى (المملكة العربية السعودية) وعين فيما بعد ابنه سعود وليا للعهد وهكذا انقلبت البلاد بفناء الاخوان رأساً على عقب .

البعث الجديد

مع بداية الثلاثينات الميلادية ، كان التيار الدينى يسير بسرعة مدهشة نحو الإنحدار والتراجع ؛ وزاد تسارع الإنحدار بظهور النفط ؛ وتأكد فى الخمسينات والستينات ، وفى منتصف السبعينات بلغ التراجع مداه بعد الطفرة البترولية ، واستمر التراجع حتى إنتفاضة الحرم ؛ ومع بداية الثمانينات بدأ المؤشر يرتفع شيئاً فشيئاً .

وفى جانب الدولة وعرش الحكم ؛ فقد بدأ إستقراره رغم الأزمة المالية فى الثلاثينات ، لكنه سرعان ماتقوى بعد الحرب العالمية الثانية ؛ وبدأ الإنتاج الفعلى للنفط يأخذ دورته ؛ ولمامات الملك إبن سعود (١٩٥٣) جاء إبنه سعود ؛ وزادت مداخيل التفط التى عززت أجهزة الدولة ، وفى العموم كان مؤشر إستقرار النظام فى إرتفاع حتى منتصف السبعينات ، ثم بدأ العد العكسى إلى الآن خاصة بعد إنتفاضة الحرم ١٤٠٠هـ/ نوفبر ١٩٧٩م مع

ملاحظة فترة عدم الإستقرار فى الفترة الواقعة بين عامى (١٩٥٨م/ ١٩٦٤م) التى كانت فترة صراع بين أجنحة الحكم ؛ وهى الفترة **التى تمت فيها المعارضة أكثر فأكثر..**

بالنسبة للتيار الدينى يمكن إرجاع إنحداره إلى عوامل عديدة أهمها :

(١) القمع الحكومى الذى سلط على خلاصة أفراد حركة « الإخوان » فكانت تصفيتهم ؛ ومن ثم جاء التراجع لعدم وجود قوة معارضة تحمل فكرة جهاد الحكام السعوديين **الفاسدين**، وتحاسبهم وتضغط عليهم بإتجاه التمسك بأهداب الدين ــعلى الأقل ــ حتى العلماء فى تلك الفترة والذين ارتخت قوتهم بإرتخاء قبضة « الإخوان » الذين كانوا السبب فى علو نجمهم ، حتى هؤلاء كان النظام قد إحتواهم وأشغلهم بالتوافه ؛ ودجنهم بالأعطيات والرواتب والهبات ، فصاروا له بوقا بدل أن يكونوا أداة للإصلاح ومعارضة النهج الحكومى الفاسد .

(٢) مداخيل النفط أثرت بشكل كبير ــخصوصاً منذ بداية الخمسينات ــعلى الوضع الإجتماعى وعرضته للهزات والقلاقل .. فتبدلت قيم وإنهارت أفكار وتحطمت قناعات وتغيرت مسالك وتوجهات .

فالنظام الذى بدأ مستقراً، بدأ بالإنفتاح على الخارج وبدأت عوارض الأمراض الاجتماعية تفد إليه والتكنولوجيا غزت العقول وبدأت فى الأفكار وصاغت قناعات جديدة ورسختها فى أدمغة

الأجيال الجديدة.. الراديو والتلفاز بعدئذ والمواصلات البرية والصحافة والمستهلكات الأجنبية كلها صنعت من المجتمع المنغلق على ذاته مجتمعا مفتوحاً بلا ضوابط.

والأموال، أموال النفط، التى تسرب جزء منها إلى الموظفين وصغار العمال وخلقت طبقة وسطى جديدة تنفق على المستويات الأجنبية، وتتغنى بتقليد ومحاكاة الآخرين، يساعدهم فى ذلك ما تبثه أجهزة الإعلام من أفكار شاذة وغريبة وتقاليد فاسدة وهى أبعد من أن تنبت بحالها فى أراضى البلاد.

ولما زاد المال وكثر وسهل جمعه وبعثرته بدون توجيه وإرشاد، ظهرت إلى السطح أمراض المجتمعات الغربية ودب التحلل والفساد الأخلاقى فى أوصال المجتمع وأضحى السكان يعيشون عشرات المتناقضات فى حياتهم اليومية وهكذا أدى النفط دوره فى زيادة دخل الأفراد، لكنه قلب الوضع الاجتماعى رأساً على عقب.

(٣) المؤسسة الدينية تتحمل الدور الأكبر فيما وصل إليه المجتمع؛ فهى من جهة كانت السبب الأول فى دعوته النظام السعودى الفاسد المعادى لله وللإسلام بمساندتها له وإضفائها الشرعية على ممارساته، وبإتهامها كل المعارضين له بأنهم خوارج أو ملاحدة.

ومن جهة ثانية كانت المؤسسة الدينية ـ ولازالت غارقة فى القشريات والتوافه والانغلاق والجهل بالعالم وبأوضاع المجتمع وما طرأ عليه، وهى بهذا لم تكن بمستوى التحدى الحضارى الذى كاد أن يقضى على كل أساسيات المجتمع..

في فترة العشرينات كانت المؤسسة الدينية طليعة المجتمع المثقفة والمتعلمة بحساب ذلك الزمان، وفي الخمسينات والستينات والسبعينات بدأ المجتمع إنطلاقته نحو التعليم، فتأخرت المؤسسة عن ركب العلم، وإنفصل المثقفون عن رجال الدين لأسباب قد يكون منها جودهم، ونوعية المعارف التي حصل عليها المتعلمون؛ وهي بالطبع علوم؛ ولكنها ليست علوماً دينية؛ إن الانفصال الذي أدى إلى الاستهزاء بالمؤسسة الدينية ما كان ليتم لولا مناهج التعليم الفاسدة؛ ولولا عدم إحاطة المشايخ بالعلوم الحديثة، وما إستجد في العالم من إكتشافات ومخترعات وتطور.. وبقائهم على حالتهم السابقة منذ بداية القرن.

ومن جهة ثالثة، كانت المؤسسة الدينية ــ ولا تزال ــ بمجمعها، مقصرة أيما تقصير في التوجيه والإرشاد الإجتماعي، ولا تقول السياسي، فلا هي ساهمت في حل المشاكل بتوضيح الطريق ورؤية الدين تجاهها ولا هي كثفت جهودها في محاربة التيارات السلوكية الوافدة أو على الأقل حذرت منها؛ بل ولم تضغط على السلطة بإستخدام قبضتها لوضع حد للتجاوز المشين لكتاب الله وسنة رسوله.

ومن جهة رابعة، كانت سلوكيات مشايخ السلطة ــ وتقول الكثير منهم، وليس كلهم ــ هي الأخرى بعيدة عن أن تكون مثالاً وقدوة للآخرين.. فبعضهم قبل بدور الجاسوس، والبعض الآخر قبل بدور المفتي، والثالث قنع براتبه ومسكنه والعيش المرفه، والرابع قنع بزيارة الملك كل يوم اثنين وشرب القهوة معه (!!)

والخامس قبل أن يكون من حاشية الملك أو الأمير الفلانى والعلانى فيكون ضمن الوفود المستقبلة والمودعة وما شابه ذلك .

ترى لو أن عشرة (فقط) من رجال الدين قاموا بدورهم الصحيح والذى يطلبه الله منهم هل كانت البلاد لتصل إلى ما وصلت إليه ؟

نشك في ذلك .

العودة من جديد

فى أواخر الستينات الميلادية ، والثمانينات الهجرية ، شعر رجال الدين أن البلاد تغيرت من رأسها إلى قدمها خلال فترة لا تتجاوز ثلاثة عقود ، وكان بعضهم ممن ساهم فى بناء (هجر) الإخوان ، قد لحظ هذا التغير الطارىء ، وإن كانت الملاحظة متأخرة جداً ؛ فقد بنت جيل بكامله فى أوضاع متردية من الناحية الدينية وتفتحت حيويتها وجديتها وإلتزامها ، فنشأ هذا الجيل والذى تلاه حياة اللامبالاة والخمول والكسل ، حياة الضعف والهزيمة والحقارة الذاتية ، فيما كانت جحافل الغرب (أفكاره ومصنعاته وتقاليده وقيمه ، وخبراؤه ، وعلومه ، ودعاياته ، تكتسح ساحة البلاد من أقصاها إلى أدناها .

أواخر الستينات كانت البداية لعودة شيء من الوعى لبعض رجال الدين ، مع أنها كانت بداية سطحية ولازالت .. رجال الدين الذين يستطيعون فى كل زمان وكان أن يغير ودولاً ، ويسقطوا أنظمة ، إذا كانوا بمستوى المرحلة والتحدى ، أحسوا بضرورة القيام بالدعوة من جديد ..

دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التى بدأت فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر، إنهارت بعد أن كونت دولة ممتدة من اليمن جنوباً إلى العراق وحدود الشام شمالاً ؛ ومن الخليج شرقاً (عمان والبحرين والإمارات) إلى البحر الأحمر غرباً ؛ إنهارت الدولة بعد وفاة محمد بن عبدالوهاب إثر الإنحراف الشديد الذى أصاب الدولة والقيادات السعودية ؛ فدكتها مدفعية محمد على باشا بمباركة الرأى العام الإسلامى.

وجاء التجديد والبعث على يد (الإخوان) الذين هم إمتداد لجيل القرن الثامن عشر الذى بنى الدولة السعودية الأولى، فبنوا دولة آل سعود الأخيرة، ولكن ما ليث أن قضى على المؤسسين، وإنفصل الدين عن الدولة ؛ وآلت البلاد إلى الفساد والتراجع.

فى هذه الفترة (١٩٦٠م) أسست الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة، بضغوط ودعوة من رجال الدين، فإستجاب الملك لهم وأعطاهم أحد قصوره كمقر للجامعة ؛ وعين الشيخ عبدالعزيز بن باز أول مدير لها.

وبإتفاق مسبق بين مفتى الديار السعودية وأكبر رجل دين فى ذلك الوقت (محمد بن إبراهيم آل الشيخ) وبين الشيخ إبن باز على القيام بالدعوة من جديد بعد أن كثرت المفاسد، نبتت البذرة الأولى لما يعرف الآن بإسم (الدعوة السلفية) والتى هى إمتداد لدعوة (الإخوان) ولدعوة (محمد بن عبدالوهاب).

الحجاز الذى كان آخر المناطق التى إحتلها السعوديون يختلف

كثيراً عن نجد (معقل الأفكار الوهابية) خاصة وأن هذه الأفكار لم يتح لها فرصة الترسخ بفعل السلطان والقوة؛ لأن الدولة السعودية التى دشنت عهداً جديداً، لا يهمها أن تكون هذه الأفكار موضع رسوخ.

ومن جهة أخرى كان الحجاز مرتعاً لكل المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة، بسبب إنفتاحه على الحجاج الوافدين.. ويبدو ـ للأسف ـ أن المشايخ «مشايخ الوهابية» كان همهم فى بداية دعوتهم أن يقفوا أمام المذاهب الأخرى التى تتعارض مع مذهبهم الذى يعتبرونه صحيحاً وما عداه باطلا، وأنهم إذا لم يظهروا مذهبهم فإنهم يخافون بأن يعبد قبر الرسول وتشوش العقائد!!.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن الدعوة السلفية الجديدة هذه، كان لها تواجد ضعيف فى الحجاز ممثلاً فى (دار الحديث) التى ضمنت فيما بعد للجامعة الإسلامية من أجل تخريج دعاة للمذهب الوهابى.

بدأت الجماعة بأفراد تحت رئاسة الشيخ من باز، وبدأت بإلقاء الدروس فى المساجد وتعليم الناس علم التوحيد على رأى محمد بن عبد الوهاب.. بعدها تطوع أحد المريدين ببيت ومسجد فى المدينة المنورة وهى المقر الأساسى للدعوة، نظراً لوجود بن باز، والجامعة الإسلامية لكى يكونا مكان تجمع والإلتقاء.

وإستمرت الجماعة التى أطلقت على نفسها جماعة (الدعوة المحتسبة وإنشىء قسم يقوم برحلات إلى القرى من أجل الوعظ والإرشاد.. وتزايدت البيوت والمقرات؛ كما تزايد الخطباء والوعاظ

والمشايخ وإنطلقت الجماعة بعدئذ، فأسست ما أسمى بـ(بيوت الإخوان) فى جدة والطائف والرياض والقصيم وغيرها، وكان من جملة نشاطات بيوت «الإخوان» إستضافة عابرى السبيل وبث الدعوة بالدروس اليومية وتعليم القرآن والحديث، إضافة إلى المحاضرة الإسبوعية؛ حيث يستضيف بيت «الإخوان» فى المدينة أحد المشايخ كل إسبوع مرة وبعد إلقاء محاضرته يعلن إسم الشيخ المحاضر فى الإسبوع الذى يليه وهكذا.

ومن المشايخ الذين داوموا على الحضور، أبو بكر الجزائرى مسئول الجماعة الذى عينه إبن باز، والشيخ العامودى، والشيخ العشماوى، وشيخ يسمى بـ(عبد الفتاح) وغيرهم.

من جانب آخر قسم أفراد الجماعة فى المدينة المنورة إلى أقسام، بعضهم كان مسئولاً عن الرحلات (وكان المرحوم جهميان رئيس هذا القسم) وقسم للتبليغ فى القرى والأرياف، وقسم للضيوف، وقد إستفاد الشيخ بن باز من موقعه فى إقامة شبكة إتصالات مع أفراد فى مدن مختلفة من البلاد؛ وكان هؤلاء هم رسل الجماعة؛ إضافة إلى أنه كان يرسل إلى (بيوت الإخوان) هناك مشايخ لتوعيتهم فى يومى الخميس والجمعة..

ومع أن بيوت (الإخوان) فى مختلف المناطق والمدن لم تكن كثيرة جداً، إلا أنها كانت مقرات منظمة.. وقد ساعد قسم التبليغ على ربطها ببعضها. لأن أفراد هذا القسم إنطلقوا إلى القرى المحيطة بالمدينة مثل (النخيل) وغيرها؛ وراحوا يروجون لأفكارهم وتصوراتهم.

ولم تكن مقرات «الإخوان» خالية طوال أيام الإسبوع بل إنها كانت تمتلىء بالشباب من مختلف البلدان (اليمن ـ تونس ـ المغرب ـ مصر ـ الأردن) وكان مجمل الحديث والنقاش يدور حول السيرة النبوية وتدارس القرآن والتباحث فى بعض المسائل الفقهية؛ لكنها لم تتطرق إلى أى من الأمور السياسية والأمراض الإجتماعية التى يعج بها المجتمع، إلا على يد المرحوم جهميان، حيث إنفصل بعدئذ وكون له جماعة خاصة به.

أما الدولة؛ فإنها لم تنظر إلى الدعوة في بادىء الأمر كخطر محتمل يمكن أن يهددها فى المستقبل؛ ولربما وجدت فيها أداة مساعدة على بث ما تريده، ومحاربة التيارات الفكرية الوافدة التى أتاحها عهد الإنفتاح، خاصة وأن تأسيس الجماعة كان فى خضم أزمة الصراع بين الملك سعود وأخيه فيصل، وبين سعود وجمال عبدالناصر مما لم يتح لأحد أن يقيمها على حقيقتها؛ بيد أن الحكومة كانت تنظر إليها وإلى كل تحرك دينى آخر على أنه يصب فى جدول أرباحها، ويدخل فى إطار صراعها مع الآخرين.

ولربما رأى الملك سعود أن رجال الدين يجب غض النظر عنهم، خاصة وأن سخطهم من تصرفاته وسلوكياته الفاسدة قد ظهر إلى السطح.. ثم إن قادة الجماعة مشايخ معروفون بولائهم للحكم السعودى، وأن اعتراضهم هو شكلى ولا يمس الجوهر ونعنى به أصل النظام القائم، فضلاً عن أن الجماعة بعيدة عن السياسة وأوضاع المجتمع.

وعلى العموم، قوبل إنشاء الجماعة بالترحيب من معظم الشخصيات الدينية النجدية ؛ وكان المعارضون كثيرون ومن منطلق مذهبي أيضاً.. فشايخ الحجاز رأوا فيها إحياء للفكر الوهابي، وضرباً للمذاهب الأخرى ؛ والمعارضون لآل سعود وجدوا فيها أداة إضافية لقهر المجتمع بإسم الدين، لأن الدولة ستستغلها لصالحها.

ولأن الجماعة نشأت تحت سمع وبصر الدولة فلم تلق معارضة منها ؛ فقد إنخرطت مجموعات كبيرة في صفوفها حيث لم تكن هناك شروط للراغبين بالإنضواء سوى تسجيل الأسماء ودفع مبلغ صغير من المال إلى بيت (الإخوان) وحتى هذا المبلغ لم يكن إلزاميا.

وبعد أن ثبتت الجماعة أقدامها، ورتبت بيوتها ـ بيوت الإخوان ـ وإنطلق أفرادها إلى المناطق الاخرى (الإحساء ـ تبوك ـ أبها) وغيرها، عقدت تحالفاً وثيقاً بأهل السنة والجماعة، وهي جماعة نشأت في مصر وأصدرت مجلة إسمها مجلة التوحيد، وكان «الإخوان» يوزعونها ويبيعونها في مقراتهم، بل إن بعض مشايخ أهل السنة والجماعة وقفوا معها أثناء تواجدهم للتدريس في الجامعة الإسلامية ؛ كالشيخ سعد ندا والشيخ حسين الملا، إضافة إلى المشايخ الآخرين الذين كانوا في الجامعة الإسلامية (أبو بكر الجزائري ـ رئيس الجماعة) و(الشيخ العامودي ـ مدرس في جامعة محمد بن سعود) و(الشيخ محمد الأنصاري).

الإنشقاق

كان آخر ما تصوره آل سعود أن تنبت جماعة معارضة في رحم

الدعوة السلفية ؛ تطالب بإزالتهم وتكفيرهم .. وكيف يكون ذلك وهم الذين يتبنون المذهب الوهابى ويدعون إليه ، بل ويجبرون الآخرين على تبنيه والأخذ به ؟

كيف يحدث ذلك والمشايخ معهم ؟ كيف ينقلب السحر على الساحر هكذا بسرعة ؟ .

فى أحد بيوت الجماعة فى المدينة المنورة ، كان المرحوم جهيمان العتيبى المسئول الأول عن قسم الرحلات وكان ذا قدم سابق فى الدعوة ؛ وقد أنفق الكثير من أمواله وممتلكاته من أجلها .. وفى عام ١٩٧٦م إختلف مع المشايخ حول أمر واحد ومنه تفرعت بقية المسائل ألا وهو (وجوب مقاومة الحكم السعودى لأنه حكم قائم على الباطل) .

أخذ جهيمان بإثارة الإشكالات حول الحكم السعودى فى بيوت الإخوان بالمدينة المنورة ، وبدأ بمسألة البنوك الربوية الحكومية والأهلية والأجنبية المنتشرة فى البلاد ؛ وقال إن هذا كفر صريح .. وتلاها بطرح مفاسد الأسرة الحاكمة وعدم حلية بيعتهم وتكفيرهم ، ثم ناقش قضايا سياسية من منظار فقهى ، وأثار قضية كبرى أزعجت الدولة حين قام بتشطيب صور الملوك على النقود بالحبر الأسود .

العلماء والمشايخ سكتوا عن جهيمان فى البداية لسببين :

الأول : أن ما يطرحه هو حق وواضح ولا يخالف معتقدهم .

وثانياً : لأن جهيمان ليس شخصاً عادياً ، بل هو من أوائل

السلفيين الداعين لفكر الجماعة؛ وقد قدم عشرات الخدمات لها وأنفق مما عنده من أجل نموها.

لكن الأمور والاشكالات وصلت للدولة؛ فبدأت تحقق وقامت بزرع جواسيسها فى المقرات؛ وطالبت بن باز بردع جهيمان والدفاع عن الدولة وأفكارها فى الوقت الذى بدأ الإنشقاق يتسع بين الأفراد فهذا مؤيد وذاك معارض؛ وآخر إنسحب من الساحة؛ ورابع متذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. وهكذا.

الحكومة خافت أن تضرب جهيمان ومؤيديه بالقوة قبل أن تستحصل على فتوى من العلماء، أو على الأقل قبل أن تعزل جهيمان وتضع حداً لتأثيراته على بقية الأفراد.. وقد إعترفت السلطة على لسان وزير الداخلية بعد حادثة الحرم بأن الجماعة معروفة لدى الدولة؛ وأن الدولة عاملتهم بالحسنى لأن بعض المشايخ تدخلوا من أجلهم.. وهذا التدخل هو الذى دفع بوزير الإعلام أن يقول بعد الحادثة أن التصور الحكومى هو أن المشايخ قاموا بعمل (ما)!! مما يعطى إنطباعاً عاماً أن جماعة جهيمان كانت مؤيدة من قبل بعض المشايخ ـ أو على الأقل ـ كان المشايخ يتعاطفون مع أهدافها ولا يريدون لها سوءاً يأتيها من آل سعود.

هنا دعت الدولة إلى مناظرة جهيمان وجماعته، وجاءت ببعض المشايخ لكى يقنعوهم بعدم صوابية أفكارهم (المتطرفة) حضر «الإخوان» جماعة جهيمان ـ ويقال أن جهيمان لم يكن بين الحضور.. فطرحوا إشكالاتهم واحداً واحداً، فما إستطاع العلماء إلا لفلفة الأمور..

قالت الجماعة للمشايخ ــ وكان على رأسهم بن باز ــ إن البيعة لا تجوز لآل سعود ــ لأنهم ليسوا من قريش، ولأن سيرتهم تخالف الإسلام، ولأن بيعتهم كانت بالجبر والقهر.. فرد العلماء بأن الدولة السعودية أفضل من غيرها؛ ولازال فيها بعض الخير؛ ولا يمكن مقارنتها بالدولة العربية الفلانية أو العلانية.. وأضافوا بأن الشيوعية سوف تسحق الإسلام إذا سقطت هذه الدولة فى براثنها، وأن معارضتها تؤدى إلى ذلك!!.

بالطبع هذا الجواب لا يقنع حتى الأطفال، وهذا هو الذى حدا بجهيمان أن يكتب فى إحدى كراساته ساخراً حول هذه المسألة ــ **فحين يطالب بالحكم الإسلامى وإسقاط الدولة السعودية، لو له بخطر الشيوعية!!».**

مسألة البنوك طرحت على بساط البحث، حيث أبدى أفراد الجماعة إستنكارهم للربا الذى تتعامل به البنوك فرد العلماء بأن البنوك لا تتعامل به صراحة، وإن كانت الفائدة فى مقام الربا؛ لكن هذا ليس خطأ آل سعود وحدهم؛ وإنما العالم الإسلامى جميعه لأن البديل الإسلامى غير موجود، وكل العالم يتعامل بغيره.. فردوا بأن المسألة تتعلق ببلادنا أكثر من غيرها، لأن الدولة ترفع شعار الإسلام وحماية الحرمين ثم تتعامل ببنوك ربوية، وتسمح للبنوك الأجنبية بالتعامل ذاته؛ وأن بلادنا تختلف عن بقية البلاد وإذا كان مثل هذا الأمر مقبولاً فى بلاد أخرى؛ فهو هذا ليس مقبولاً، ونحن لا نقبل بتجاوز الشرع تحت أى ذريعة.

وأثيرت مسألة تشطيب أفراد الجماعة على الصور، فأجاب

أحدهم بصراحة أن التصوير (حرام !!) والصور التى تطرح على النقود مخالفة للشرع (حسب رؤية الوهابيين جميعهم) ولهذا فإن إزالة المنكر واجبة فرد عليهم العلماء بأن كلامهم صحيح وأن الصور حرام لكن التشطيب بالحبر الأسود أمر يمس الدولة وأمنها وفيه تجريح لأشخاص ـ أصحاب الصور ـ ثم إن التشطيب يؤدى إلى بلبلة فى المجتمع ؛ ويدفع بآخرين إلى معارضة الدولة ؛ فتسوء أحوال الرعية وتؤول مصالح الناس إلى الخراب والهاوية .

رد أحد أفراد الجماعة على المشايخ ، بأن من واجبنا أن نشطب بالحبر على الصور ؛ وهذا الواجب هو لمصلحة المسلمين حتى لا يعبد الناس أشخاصاً ويقدسونهم ويضعونهم بمنزلة الآلهة .. وأنه إذا كانت الدولة حريصة على أمنها ؛ فلتلغ الصور وكفى الله المؤمنين شر القتال !! .

وهكذا لم يقنع العلماء الجماعة بهذه النقطة أيضاً .

طالت الجلسة دون أن يستطيع المشايخ من إقناع أفراد الجماعة ؛ وحين شارفت على النهاية بادرهم أحد المشايخ قائلاً بأن معارضتكم للدولة فيها إساءة للدعوة لأنها الآن تكتسح الساحة ، وبعملكم هذا سينفض الناس عنها لأن الناس وجدوا فيها دعوة خير ليس فيها سياسة ، وأن الناس منذ أن عرفوا بأمركم باتوا يتهيبون من القدوم إلى بيوت «الإخوان» .

وأضاف بأن الدولة فتحت عيونها ، وهى لن تترك الأمور تمر بسهولة بعد الذى جرى ؛ وأنتم تعلمون بأنها ستدس الجواسيس

ليأتوها بالأخبار حفاظاً على أمنها وعليه فإن كنتم حريصين على الدعوة، عودوا إلى ما كنتم فيه وإتركوا التطرف.

عادت الأمور إلى ما كانت عليه فإتسع الإنشقاق، والقريب أن المشايخ لم يفلحوا في الترقيع، لأن مطالب جهيمان وإستشهاداته بالإنحرافات الواضحة في المجتمع أحجت مشاعر الكثيرين؛ فإنضموا إليه؛ خصوصاً أولئك المتنورين من أساتذة وطلاب الجامعة الإسلامية الذين تركوا مواقعهم وإلتحقوا به في الصحراء؛ وهناك تدربوا على السلاح وتفرقوا لجمع الأنصار في المدن الأخرى من البلاد، إلى أن ثاروا عام ١٩٧٩م.

الآن؛ وبعد أن قضى على إنتفاضة الحرم، طرح المعارضون لجهيمان والمؤيدون للدولة وآل سعود بعض الإشكاليات على تحركه فقالوا (هذه المعلومات والتي سبقتها، إستقيت من أفراد مسئولين في جماعة الدعوة المحتسبة):

لما كان جهيمان مسئولاً عن قسم الرحلات التي ينظمها، كانت تعترض المشاركين في الرحلات بعض المسائل الفقهية، ولما كان المشايخ غائبين؛ فإن جهيمان ـ وحسب إجتهاده ـ يجيب عليها، على إعتبار أنه إذا إجتهد فأخطأ له أجر، وإذا أصاب فله أجران.. وهذا القول الذي تذكره هنا لمصادر معارضة لجهيمان من الجماعة نفسها ولا نعلم بصحتها من خطئها.. والأشكال الذي طرح هو أن جهيمان إعتبر نفسه في مقام المشايخ، وإعترض عليه بأنه مهما كان فهمه وعلمه لابد أن يرجع في القضايا الفقهية إلى المشايخ أنفسهم..

طبعاً هذه مسألة طارئة ـ كما يقول المعارضون ـ لكن الأهم من الإجتهاد الفقهي ـ حسب قولهم ـ هو الإجتهاد السياسي وتكفيره للدولة ولآل سعود.. والمشايخ كان من السهل عليهم إقناعه في القضايا الفقهية التي يقولون أنه يخطيء بإجتهاده فيها، لكنهم لا يقدرون على إقناعه بعدم معارضته للدولة سيما وأنه إعتبر آل سعود صريحين بكفرهم وفسوقهم..

قال له العلماء أنهم لم يأتوا بكفر بواح ـ حسب الحديث الشريف ـ فيلزم طاعتهم؛ فأجابهم بأن كفرهم واضح كوضوح الشمس؛ وأنه لن ينتظر منهم أن يعلقوا يافطة ويعلنوا خروجهم عن الدين، لأنهم لن يفعلوا ذلك!.

دعوة أن يأتي ويناقش، وأن لا يختفي في البوادي وأن يقنع الدولة بحجته، فأجابهم بأنه يعرف من تاريخ آل سعود أنهم لا يحبون الناصحين بل يقتلونهم بشبهة تسكت الأرنب (الرعية!!) وأنه إن أتى فإن المطلوب منه أن يؤيد آل سعود أو يزجوا به في السجن، وقد كرر جوابه هذا في إحدى كراساته (**الإمارة والبيعة والطاعة**) فقال ما نصه:

«هذه القواعد الثلاث هي التي يتخذونها مع أهل العلم والدين؛ وهي إن توافقهم أو تسكت عنهم أو يقتلونك.. وهذه هي الأسباب التي حملتني على أن أواجههم؛ وأبين لهم الحق؛ لأني عرفت ما عندهم في من خالفهم ـ ويلمح جهيمان هنا للإخوان الأوائل الذين قتلهم عبد العزيز ـ وأنهم لا يحبون الناصحين، بل يقتلونهم، وأنا لا أريد قربهم؛ ولا أريد السكوت عنهم وعن الحق فلم يبق إلا الثالثة»..

قالوا له إن العمل بالخفاء والسرية هو (نفاق) لأنه إظهار شيء للناس؛ وإخفاء شيء آخر، فأجابهم بأن هذا ليس نفاقاً وليس جبناً، وأن الرسول هو أول من عمل بالسر ثلاث سنوات فى مكة حتى إذا قويت شوكته أعلن حربه على عقيدة الكفار..

وأوضح مضمون هذا القول فى رسالة (الإمارة والبيعة والطاعة) فقال مانصه:

(فإفهم ولاتنخدع بحملة الفقه؛ وبمن يأخذ بجانب واحد من الكتاب والسنة؛ ويقول هذا من الجبن والخوف والذل؛ مع أنك تعلم أن النبى ﷺ إختفى فى الغار لما عزموا على قتله).

وكرر ذات المسألة فى ختام إحدى رسائله (الميزان فى حياة الإنسان) حيث جاء بقصيدة شعبية صاغها يوضح فيها أن الرسول بقى فترة فى الغار؛ يقول فى القصيدة:

يارب ثبتنا بعد حادث صار
نقول بالحجة بغير ارتعاش
ويارب تنصرنا على حزب الأشرار
اللى تحزبهم من أجل المعاش
تشبهوا بالكفر فى كل الأقطار
ويبغوا رجال الدين مثل الكباش
هم يحسبون الدين به قطف الأثمار
وملاعبة من يلبس الغواشى
لابد والله نبدل الدار بالدار

وقـدمـنـا جـعـفـر نـقـل لـلـنـجـاشـى
وقـدمـنـا الـرسـول أخذ وقت فـى الـغـار
وفـى شـعـب أبـى طـالـب عـلـى الجـوع عاش
ومـن بـعـدهـا لابـدنـا نـشـعـل الـنـار
مـا تـظـهـر الـسـنـة طـيـور الخـشـاش

سألوه عن تحريم الوظائف الحكومية فقال إن الوظائف الحكومية التـى تـقـوى من قبضة الحاكم الظالم كالعمل فى المباحث وغيرها حرام : (إن هـذا الـقـول هو الذى كنت أقول به من قبل ويعكسه بعض الـنـاس فيقول هو يحرم الوظائف . فعفا الله عنا وعنهم ونرجو أن تكون عاقبتنا وإياهم كيوسف وإخوته) .

ويلاحظ هنا أن رسائل جهيمان تحوى الكثير من الردود على إتهامات الـسـلطة وأذنا بها ومؤيديها .. مع العلم أن جهيمان طلب من جماعته « إعتزال » العمل الحكومى وأورد فى رسالته (دعوة الإخوان .. كيف بدأت وإلى أين تسير) مجموعة من الأحاديث الـنـبـويـة الـتـى تـطـالـب بإعتزال العمل عند الحاكم غير الشرعى والظالم ؛ منها :

(١) عن أبـى سعيد الخدرى وأبى هريرة قالا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها ؛ فمن أدرك ذلك منهم فلا يكون عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً » .

[رواه ابن ماجه ومسنده صحيح] .

(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً؛ فكان من خطبته أن قال:

«ألا أني أوشك أن أدعى فأجيب، فيليكم عمال بعدي يقولون ما يعملون، ويعملون بما يعرفون وطاعة أولئك طاعة فتلبثون كذلك دهراً، ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون مالا يعملون ويعملون بما لا يعرفون فمن ناصحهم ووازرهم وشد على أعضادهم؛ فأولئك قد هلكوا وأهلكوا، خالطوهم بأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وإشهدوا على المحسن بأنه محسن وعلى المسيء بأنه مسيء».

(رواه الطبراني والبيهقي وهو حديث صحيح).

على أية حال، كان من الإشكالات التي واجهها جهيمان، أنه متعصب لرأيه ولا يقبل رأي غيره حتى لو كان ذلك واضحاً، ويستدل المعارضون بأن الشيخ بن باز حين ناقشهم أبدوا إقتناعهم ثم نكصوا على أعقابهم، لكن الحقيقة أنهم لم يقتنعوا ولم ينكصوا ولذا ترى جهيمان يقول حول مسألة تعصبه: (نشهد الله وملائكته وعباده المؤمنين على أن تقبل الحق ممن جاء به ولو خالف أراءنا وأهواءنا وما نشأنا عليه).

«رسالة الميزان لحياة الإنسان»

ومن الإشكالات أنه بايع الملك خالد بالحكم فلماذا يخرج على بيعته ويموت ميتة جاهلية؟ ويفرق وحدة المسلمين؟!!.

أجاب جهيمان بأنه لم يبايع، وأنه حتى لو بايع فإنها بيعة قهر

وجبر، ومع هذا يحق له بأنه يعترض الإمام الشرعى، فكيف به أن يكون ملكاً منحرفاً ؟.

ومن ضمن ما أوضحه فى إحدى رسائله :

(إن هذا فيما إذا بايع المسلمون كلهم إماماً فمن فارق جماعتهم ولم يبايع مات ميتة جاهلية، أما إذا لم يكن لهم إمام ؛ فلا ينطبق هذا الوعيد ؛ ويدلل على ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ أرشد حذيفة عن وجود الجماعة والإمام بأن يعتزل، فهل ترى أن النبى يرشد حذيفة لأن يموت ميتة جاهلية ؟).

ورغم هذا الكم الهائل من الإشكالات والإجابات المضادة ؛ إستطاع جهيمان أن يشكل خلايا، ويؤسس بيوتاً للإخوان فى مناطق عديدة كالإحساء والرياض والمدينة وجدة وتبوك وغيرها .. وإنضم إليه عشرات من طلاب وأساتذة الجامعة الإسلامية، وكان من بين الأساتذة (سويد بن عقاب العتيبى ويحمل شهادة الماچستير، وكان حتى نهاية عام (١٤٠٣هـ معتقلاً ــ على حد علمنا ــ وسليمان بن إشتيوى، اعتقل ثم أطلق سراحه بعد أكثر من سنة، والشيخ المزروعى الذى إعتقل ثم أخرج من الجامعة وكذلك إنضم إليه عدد من المعيدين وعدد كبير من أبناء مدينته «ساجر» فى نجد وقبيلته عتيبة وهؤلاء يكرهون السلطة التى فتكت بأجدادهم فى واقعة السبلة)..

وقد لاحظ العالم أن أفراداً من مختلف الجنسيات شاركوا فى عملية الحرم وأعدموا بعدئذ أو قتلوا داخل الحرم ؛ وهذا يدل على ان جهيمان تجاوز الطرح الإقليمى والقومى.

ومن الواضح أن الفكر التغييرى الذى تبناه جهيمان ــ رغم سلفيته ــ يرجع إلى إرتباطه العاطفى والنسبى إلى (الإخوان) الأوائل الذين بنوا الدولة السعودية وكان نصيبهم الإعدام .. ونعود فنؤكد هنا أن الإختلاف بين جهيمان وجماعة الدعوة المحتسبة التى خرج من رحمها سعارضاً لآل سعود هو إختلاف فى شىء واحد وهو معارضة الدولة السعودية فقط ؛ أما بقية المسائل فهو يتوافق معهم تقريباً ؛ عدا مسألة المهدى .. ومسألة المهدى يعزف بها السلفيون جميعاً ، إلا أن التخصيص الذى طرحه جهيمان هو مثار الإختلاف وقد إعتبروا ذلك بدعة وخرافة .

هذا ما أردنا إيضاحه حول هوية الجماعة التى إعتصمت فى الحرم .

(٣)
أهداف المعتصمين فى الحرم

والآن ؛ وبعد أن أوضحنا حقيقة القائمين بالإعتصام ننتقل إلى فقرة أخرى لنلقى مزيداً من الضوء على الأهداف الحقيقية وراء العملية .. إذ أن من الطبيعى أن عملاً ضخماً كالذى تم فى الحرم ؛ لابد وأن تكون له أهداف بحجمه .

غير أن المسئولين السعوديين يضحكون على أنفسهم قبل أن يضحكوا على الرأى العام حين ينفون أنه ليست هناك أية أهداف سياسية ، أو أنه ليست هناك أهداف مطلقاً ، أو أن الهدف فقط هو مبايعة المهدى .

لم يعلن أقطاب الأسـرة الحاكمة فى تصريحاتهم وبياناتهم الرسمية على أهداف الجماعة إلا بعد (٤٨) ساعة على الأقل من وقوع الحادث، اللهم إلا إذا كان ما أشار إليه بيان الداخلية الأول حول مبايعة المهدى قصد منه كهدف.

بعد أربعة أيام قال وزير القمع السعودى: (إن الحادث أبعد ما يكون عن أى مضمون سياسى). وصرح (فهد) بأنه (ليس للجماعة أهداف ومطالب عدا المهدى المنتظر.. وأن المسألة لا تعدو كونها أحلاماً وكلام فاضى!!) وسبق وزير الخارجية الجميع حين صرح بأنه (ليس لهم أية إنتماءات سياسية، ولذلك لا يمكن القول أنهم موجهون من أى دولة أو أن لهم أية ارتباطات سياسية مع دولة أخرى. كما أنه لا يمكن تصنيفهم سوى أنهم مجموعة من المهووسين.. وأن القضية لا يمكن أن تحتسب بأنها سياسية).. وقال عنهم أمير الرياض سلمان، بأنهم (أشخاص إتحدوا ضمن هدف شرير ليس إلا).. وعاد وزير الداخلية مرة أخرى فقال: (إنهم لم يرفعوا أى شعار سياسى، ولم يطالبوا بقطع البترول عن الولايات المتحدة) فى الوقت الذى أكدت فيه كل صحافة العالم، أن الحادث لا يمكن فصله عن السياسة، كما لا يمكن تجريد العملية من الأهداف السياسية..

غير أن نايف وإخوته ومنهم فهد، الملك الحالى أبوا إلا أن يؤكدوا على أن الثوار (قاتلوا من أجل تحقيق البيعة للمهدى وحسب) كما قال فهد..

وصرح وزير الداخلية لصحيفة (الجزيرة) بعد أكثر من إسبوعين

من العملية بأنه (ليس هناك أية مطالب أو أهداف للفئة الباغية.. عدا ترويع المؤمنين الآمنين.. وسفك دماء الأبرياء وتتويج أحدهم مهديا خروجا على الدين الإسلامى).

وبعد أكثر من خمسة أسابيع، عقد نايف مؤتمراً صحفياً بتاريخ (١٣/١/١٩٨٠) أجاب فيه على سؤال لأحد المراسلين حول الأهداف، هل كانت إحتجاجاً على علاقات آل سعود بأميركا؟ أو على الإذاعة أو التلفاز؟ قال نايف (أبداً؛ الواقع عندما كان أفراد الطغمة الخارجة فى الحرم؛ لم يكن هناك شىء غير ما أذيع وما سجل عنهم، وهو إعتقادهم بالمهدى وأنهم يجب أن يقاتلوا فى الحرم.. أما ما قيل عن الراديو والتليفزيون فقد وجد فى بعض نشراتهم السابقة ما يقوم أنهم يحرمون هذه الأشياء.. أما ما يتعلق بالبترول فلم نسمع عنه شيئاً)..

وقبل هذا التصريح بثلاثة أيام أدلى نايف فى مقابلة له مع جريدة (السفير) بقوله (لقد إنتظرنا حتى تمكن بعض المصلين من الخروج من الحرم وحصلنا على المعلومات الأولية؛ وعلى مطالب المسلحين الذين ما أرادوا شيئاً من الدولة بل هدفوا إلى مبايعة من سموه المهدى المنتظر).

لقد بات مؤكداً لدى جميع صحف العالم ووكالات الأنباء أن هناك مطالب سياسية للجماعة؛ فقد أكد مراسل وكالة الأنباء الفرنسية فى جده (بأنه أصبح من المؤكد أن هناك أهدافاً سياسية للمتمردين) وشككت جريدة النهار بأقوال المسئولين السعوديين فقالت (باتت النظرية الرسمية القائلة أن عملية مكة بعيدة عن أى

دوافع سياسية، موضع تشكيك لدى الأوساط المطلعة فى جدة) وأضافت نقلاً عن صحيفة الواشنطون بوست الأميركية (إن الهجوم المسلح على المسجد الحرام يعتبر تحدياً مباشراً للحكومة السعودية ولحقها فى الحكم. ومن الصعب ارتكاب خطأ أكبر من إعتبار الحادث حلقة معزولة من الهستيريا الظلامية تنتهى بعودة الأمن) ثم كررت الصحيفة مضمون هذا القول بعد مدة فقالت (إن أهداف حركة الحرم الشريف، صورت ظهوراً للمهدى المنتظر ولكن الأهداف السياسية لم تغب عنها).

والطريق أن مصدراً سعودياً مسئولاً صرح لمجلة (نيوزويك) الأمريكية أن هدف الجماعة التى إحتلت المسجد الحرام كان بث القلاقل وعدم الإستقرار فى الجزيرة العربية) وربما تصور جهابذة الحكم السعودى أن الهدف هذا لا يعتبر سياسياً أيضاً.

والأكثر طرافة ما ذكرته إحدى الصحف الكويتية حول مطالب الجماعة، التى قالت أنهم (طالبوا بمنع التلفزيون وكرة القدم على أساس أن ذلك رجس من عمل الشيطان؛ كما طالبوا بخلع الملك، وعدم إحلال بيعته على أساس أن أهل النظام شياطين وليس على أساس مطالب سياسية) فتبين ـ عزيزى القارىء ـ كيف أصبح هدف خلع الملك غير سياسى بنظر الصحافة المتعاطفة مع الحكم السعودى، فهل هذه الصحافة يمكن الوثوق بها وأقصد الصحافة العربية التى تتعاطف معظمها مع آل سعود.

مجلة الحوادث؛ التى كانت أثناء الأحداث وبقلم رئيس التحرير السابق سليم اللوزى تنتقل بحرص وبخبث التوجهات

الحكومية السعودية، هذه المجلة قالت عن الأهداف من خلال إستعراض للمبادىء المزعومة للجماعة كالتالى (إن اسماءهم معروفة لدى دوائر الأمن، خاصة بعد ما وزعوا خلال الحج منشورات تعبر عن مبادئهم.. وهى المبادىء التى تقول بالعودة إلى الماضى، وبوجوب التخلص من الحضارة الحديثة والعمران والرفاهية.. بحيث نسى المسلم المؤمن ـــ حسب زعمهم ـــ ما أوصى به الدين ـــ

ولقد عالجت السلطة يومها إعتراضاتهم بالفهم والمسامحة على إعتبار أن هناك دائماً فئات متعصبة كانت تعترض على سياسات الأخذ بأسباب التقدم والأشياء الحديثة، ومنها الإعتراض على إدخال التليفزيون لبرنامج المدارس المختلطة، ومحاولة وقف البث الإذاعى لأن هناك أصواتاً نسائية تخرج من الراديو.

ولكن إعتراضاتهم لم تكن بواسطة العنف.. وإنما إتخذت أشكالاً مسالمة كالشكوى للأمير سلمان أو تدبيج خطاب إحتجاج للملك أو الأمير فهد والأمير نايف).

وأضافت المجلة ـــ الحوادث ـــ أن أفراد الجماعة سلفيون ـــ وهم فئة إنبثقت خارج المملكة وضمت عدداً قليلاً من الشبان والطلاب المتزمتين وهى تدعو إلى الأخذ بأصول السلف، كإستخدام الحصان والجمل بدلاً من السيارة والطائرة... والعيش فى الخيام بدلاً من القصور، وأكل التمر بدلاً من اللحوم والطريف أنهم أدخلوا التمور معهم إلى المسجد بإعتبارها غذاءاً كاملاً.. ولقد وضعوها مع الأسلحة فى السيارات التى تحمل إسم شركة سعودية متعهدة

لتأمين الأكل ثم تسللوا بها إلى العنابر المخصصة لتخزين المؤونة فى الطبقة السفلى).

إن ما قالته (الحوادث) يشكل فى الواقع إدانة للحكم السعودى قبل غيره ؛ فالإعتراضات التى قدمت للمسؤلين قبل الإنتفاضة ، كان التليفزيون والراديو والدراسة المختلطة وغيرها جزء من أهدافها .

لكنها لم تكن كلها .. والإعتراض على التليفزيون والراديو ليس بسبب عداء المعتصمين للحضارة كما زعم الإعلام السعودى وغيره ؛ وإنما بسبب ما يحدثانه من فساد داخل أوساط المجتمع ، وما يبثانه من مفاهيم تناقض المسلمات الإسلامية ، فالإعتراض كان على الأفلام الفاسدة والأغانى الماجنة ، والأفكار الغريبة وغيرها ؛ وأى مسلم حقيقى يعترض على هذا الهدف .

أما أنهم يستخدمون الحصان بدل السيارة ، ويأكلون التمر بدل اللحم ؛ ويفضلون الخيام على المنازل ؛ فهذا الكلام غير معقول وغير صحيح ، وهو تهريج واضح .. ولا أدلك على ذلك أن الحوادث ناقضت نفسها حين قالت بأن المتمردين إستخدموا سيارات شحنوا فيها التمر .. كما نسيت الحوادث ــ وقبلها ــ جريدة أحمد الجار الله (السياسية الكويتية) أن سكن المنازل لا تخالف ما سار عليه السلف .. بل وحسب معلوماتنا المؤكدة ؛ أن جهيمان تبرع بمنزل له يسكنه من أجل الدعوة ، وأما أكل اللحم فهو إختراع صحفى ؛ فهل كان السلف الصالح لا يأكل لحماً ، أم ماذا ؟ لقد اختير التمر ــ كما إعترفت الحوادث والمجلات والجرائد الأخرى ــ لأنه سهل

التخزين، إضافة إلى قيمته الغذائية العالية.. وما نخلص إليه من خلال ما إستعرضناه من أقوال المسئولين حول الأهداف، أن السلطات السعودية إستقرت على ثلاثة أمور:

(١) ليس للجماعة أية أهداف سياسية.
(٢) أن الهدف الوحيد هو مبايعة المهدى.
(٣) أن مطالبهم تتلخص في مناهضة التليفزيون والكرة والراديو.

وبمناقشة هذه الأمور الثلاثة يتضح لنا كذب وإفتراء الأمراء السعوديين الحاكمين.

الأهداف السياسية

كان الحرص الحكومى فى نفى الأهداف السياسية للجماعة واعتبارها جماعة ذات أهداف دينية مشوهة واضحاً. ومرد هذا الحرص هو أن النظام السعودى لا يعترف بأى معارضة سياسية وهو يحاول دائماً أن يرجع الخلاف إلى أرضية عقائدية.. فالمعارضة الوطنية التى كانت واضحة خلال الستينات ليست معارضة سياسية ــ بنظرة ــ وإنما هى جماعات تنشر وباء الشيوعية والإشتراكية للقضاء على الإسلام الذى يدافع هو عنه.

فالذى قتل فيصل وهو الأمير (فيصل بن مساعد بن عبد العزيز) لم يكن هدفه سياسياً حينما مارس عملية الإغتيال، وإنما كان يهدف إلى القضاء على الإسلام، كما ذكرت السلطة فى بيانها القاضى بإعدامه.

والذين أعدموا فى ساحات الرياض (السبعة عشر) فى

الستينات لم يعدموا بحسب رأى آل سعود لأنهم إستخدموا العنف ضد الحكومة ولا لأنهم ينهجون خطا سياسياً معاديا للنهج الأمريكى الحكومى وإنما ــ وكما قال آل سعود ــ لأنهم أرادوا القضاء على دين محمد!!

وهذا الأسلوب فى التعامل مع المعارضة السياسية إستخدمه آل سعود مع الأنظمة العربية المعارضة أيضاً، فقبل صلحهم مع عبدالناصر كانوا يعتبرون الحرب السياسية معه ــ وحتى العسكرية، حرباً بين الإسلام والكفر.. وتكررت المسألة مع ليبيا فى أواخر السبعينات.. وشنت السلطات السعودية حرباً إعلامية أرجعت فيها الخلاف بين القذافى وفهد إلى أنه خلاف بين الكفر والإسلام بل وأوعزت السلطة إلى مشايخها لتصدير فتاوى بهذا المضمون.

ولكن.. بأى وسيلة سيخرج النظام السعودى من مأزقه.. إذا كانت المعارضة السياسية إسلامية.. وتجر النظام إلى الصراع على الأرضية الدينية.

كل القيادات التى شاركت فى عملية الحرم ــ والعديد من أفرادها هم من خريجى الجامعة الإسلامية ويلقون تعاطفاً نسبياً من بعض رجال الدين؛ وأهدافهم لا يختلف عليها إثنان من المشايخ أنفسهم، والأوساط الشعبية المطلعة تشهد لهم بإستقامتهم وإيمانهم.

فأى موقع حرج هذا الذى أوقع فيه النظام نفسه؟ هل يقول للعالم ــ وكالعادة ــ أنهم شيوعيون حمر، يريدون القضاء على

الإسلام؟.. هل يقول أن هؤلاء جاءوا لإقتلاع آل سعود من جذورهم وإعادة الحكم إلى موضعه الذى يعتقدون أنه صحيحاً؟

هكذا أخرج النظام من دفاتره القديمة عبارات يستخدمها للطوارىء، كلما ألمت به وعكة سياسية معارضة.. فهو لا يريد أن يعترف بأن هناك من يعارض لدرجة حمل السلاح، ولا يريد أن يقول بأن الدوافع دينى ومن أجل الدين، لأنه يعتبر نفسه المدافع الأول عنه، ولهذا ظهرت عبارات (الخوارج) و(المتطرفين) والمهووسين) (وأعداء التقدم) ليطلقها عليهم، وهى ذات العباراتة التى أطلقها كبير آل سعود ومؤسس دولتهم الملك عبد العزيز، وها هم أبناؤه يسيرون على نهجه.

إن الشىء الذى لا يختلف عليه إثنان ممن تابع نشأة الجماعة وأفكارها.. هو أنها معارضة للحكم السعودى ونهجه الفاسد فى الصميم.. فهى جماعة متدينة تريد تطبيق الإسلام وقطع دابر التغريب والإرتباط بالغرب.. والقضاء على كل الأفكار والشوائب التى يبثها النظام فى القاعدة الشعبية عبر مدارسه وجامعاته وإعلامه.

وأهم أمر أعلن هو عدم إعترافها بشرعية الحكم السعودى؛ وهذا ما نلمسه من خلال الكراسات التى كتبها جهيمان العتيبى، القائد الفعلى للجماعة وهذه الكراسات تنضح بمعادتها للحكم السعودى بل إن جهيمان أوضح فى بعضها إن الكثير من المشايخ المرتبطين بأذيال آل سعود.. عاد وهم لأنهم ضدهم والأكبر من هذا إن جهيمان عرض رسائله على الشيخ (عبد العزيز بن باز

وهو أكبر رجل دين فى الدولة وله كلمته المسموعة ؛ فما إعترض على نقده وأفكاره سوى تخصيص هذا النقد فى آل سعود.. فهل يحق لآل سعود ـ بعدها ـ الزعم بأن الجماعة لم تقم بحركتها من منطلق سياسى؟ وأن ليس لها أهدافاً سياسية ؟!!.

إن هذا التصرف السعودى لاينم إلا عن جهالة وتخبط خاصة إذا ماعرفنا أن الجماعة وزعت كراساتها على أكبر عدد ممكن من الحجاج أثناء الحج بل إن مثل هذه الكراسات وزعت فى دول الخليج منذ زمن، كالكويت وغيرها.. هذا إضافة إلى أن نايف وزير القمع السعودى وأجهزته إعترفوا بأن للجماعة منشورات.. وأن أجهزته حصلت على نسخ منها ؛ فلماذا لم يوضح هو أو أى من إخوته ماذا بها ؟ مع العلم أن العديد من الصحف الخليجية نشرت فقرات مطلولة منها تنم عن معارضة واضحة لآل سعود.. بل إن مجلة الحوادث نشرت صورة لبعض هذه الرسائل.

ماذا يقول جهيمان فى رسائله؟

إنه يقول : لا للإرتباط بالغرب وموالاة النصارى، لا للحكم السعودى لأنه لم يقم على هدى من الشرع ولا يسير حسب أوامر الشرع، وبالتالى فلا طاعة له.

فى كراس (دعوة الإخوان.. كيف بدأت وإلى أين تسير؟» قال فيما قال (وبعد هذا فارقنا أهل الوظائف والمتعلقين بأذيال الحكومة وبقينا مع الحق ولكنه غريب، إذا فنحن معه غرباء وإنما نستبشر بهذا الحديث.. **«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»**.

فإنك ترى أن الإخوان المتجردين للسنة حينما وصلوا إلى هذه الحالة ؛ لم يبق لهم مناصر، لا من الحكومة ولا من المشايخ ؛ ولا من الجماعات الأخرى ، فإن كل صاحب باطل قد ناصبهم العداء ، وأنت ترى أنهم ــ أى الإخوان ــ يتبرأون من الحكومة وتلبيسها ، ومن المشايخ ومداهنتهم ، ومن الجماعات المختلفة وأخطائهم ؛ فلم لم يبق إلا رب العالمين ..) .

ويضيف :

« والذين كبرت عليهم دعوتنا وأذتهم كثيراً هم المشايخ ؛ الذين يفتون الناس بغير دليل من الكتاب والسنة ؛ فإذا سئلوا عن الدليل تبين للناس جهلهم وضلالهم .. ولذلك فهم أكثر من تعرض للإخوان وحذر الناس منهم ؛ وألصقوا بهم كل تهمة وكل شبهة ، حتى لبسوا على عامة الناس ولا تستغرب .. فقد وضعوا أحدهم مراقبا على الإخوان فى الرياض حينما فتحوا بيتاً يجتمعون فيه ، يعنى « مباحث » وهو الشيخ صالح بن سعد اللحيدان ؛ الموظف بمعهد إمام الدعوة ، وساروا فى معاداة الإخوان بين صاحب قصد سيء متكبر عن الإنقياد للحق .. وبين جاهل يستمع أقوال الناس ولا يتبين » .

وبعد أن يعدد المرحوم جهيمان مواقف المشايخ ، يعود فيذكر أن الشيخ بن باز يوافقهم فى أفكارهم ؛ ولا يوافقهم فى إنتقاداتهم لسياسة آل سعود .. يقول :

« وأنا أعلم أن العالم المتجرد للسنة قليل من العلماء المشهورين

بين الناس ، فإن بعضهم ولو عمل بها لا يقول بها ؛ ولا يدعو إليها ، وكنت أعلم رجلين هما اللذان يهتمان بالسنة وعندهم علم ، وهما الشيخ « بديع » حفظه الله والشيخ « بن باز » عافاه الله فليطمئن بعض إخواننا أننا قد عرضنا عليهما رسالة « رفع الإلتباس » فلم ينكر فيها شيئاً ، ثم قرأ بعض الإخوان « السبع رسائل » و « نصيحة الإخوان » على الشيخ عبد العزيز بن باز ، فما أنكر شيئاً إلا التخصيص على هذه الدولة ـ السعودية بالذات ونحو ذلك ؛ فلم نوافقه عليه لإعتقادنا أنه حق يزول به اللبس عن كثير من الناس » .

وفى رسالة « **الإمارة والبيعة والطاعة وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلم والعوام** » هجوم صريح على الحكم الملكى السعودى وكيف أنه حكم مخالف للشرع ، ولم يقم بإختيار المسلمين ورضاهم ؛ فجهيمان يصفه بقوله : (واليوم إن ما يحكم المسلمين الملك الجبرى الذى ليس مبنياً على البيعة ، وقد خالف شرع الله فى عدة أمور منها :

أولاً : إن الحكام فيه ليسوا من قريش .

ثانياً : أنهم لا يقيمون الدين بل يهدمونه ويحاربون أهله .

ثالثاً : أنهم لا يأخذون البيعة من رعيتهم بصفقة اليد وثمرة القلب وطوعه وإختياره بل بالجبر والقهر.

ويضيف :

(فأنت تعلم أن الطاعة لا تجب إلا لمن يقودنا بكتاب الله أما

من يقود المسلمين بالأنظمة المختلفة والقوانين ولا يأخذ من الدين إلا ما وافق هواه ، فهذا لا سمع له ولا طاعة ، وقد عرفت بطلان بيعته فيما تقدم ؛ والوعيد على من خرج من الطاعة هو على من دخل فى الطاعة ثم خرج منها ، فأما من لم يبايع ولم تجب عليه طاعة أصلاً ؛ فهذا لم يخرج من طاعة ، وإذا نظرت اليوم فى تطبيق هذا على الواقع ؛ رأيت أننا نعيش اليوم فى الملك الجبرى ، الذى ليس المسلمون فيه يختارون الخليفة وإنما هو الذى يفرض نفسه عليهم ثم يأتونه يبايعونه بيعة مجبورين عليها ، ولا يترتب على عدم رضاهم بهذا الخليفة أن ينعزل كلا ، بل إن الأمر جبرى) .

فهل هناك أكثر صراحة من هذه الأقوال مخالفة للحكم السعودى من أساسه ؟

أو لا يعتبر رفض الحكم السعودى هدفاً سياسياً مقنعاً لأولئك الدين يفصلون بين الدين والسياسة . كآل سعود ؟ .

وهذه فقرة أخرى إقتطفناها من كراسات المرحوم جهيمان تبين موقفه من آل سعود .

« فهؤلاء الحكام ليسوا أئمة الآن إمامتهم للمسلمين باطلة ومنكر يجب إنكاره ، لأنهم لا يقيمون الدين ، ولم يجتمع عليهم المسلمون وإنما أصحاب ملل سخروا المسلمين لصالحهم ، بل جعلوا الدين وسيلة لتحقيق مصالحهم الدنيوية ؛ فعطلوا الجهاد ؛ ووالوا النصارى ؛ وجلبوا على المسلمين كل شر وفساد ، نسأل الله أن يريح المسلمين منهم ؛ ويجعل لهم من لدنه وليا ، ويجعل لهم من لدنه نصير» .

وهذه الفقرة الأخيرة وحدها تكفى للرد على مزاعم أمراء الأسرة السعودية الحاكمة.

وسائل الإعلام العالمية والأهداف السياسية.

ذكرنا فى الصفحات السابقة جانباً من أقوال الصحف والمراسلين الأجانب حول أهداف الجماعة التى إعتصمت فى الحرم من الناحية السياسية، وها نحن هنا ننقل فقرات أخرى مما ذكرته الوسائل الإعلامية التى هى فى معظمها متعاطفة مع الحكم السعودى، والتى نشرت أكثر من مرة على صفحاتها أقوال المسئولين السعوديين، نافية وجود أى أهداف سياسية للجماعة.

■ قالت جريدة الأنباء الكويتية بتاريخ «٢٣ / ١١ / ١٩٧٩م»:

ذكرت أنباء جدة أنه على الرغم من أن المجموعة المارقة لم تعرف أهدافها من خلال العملية الإجرامية؛ إلا أن بعض المصادر ذكرت أن هؤلاء قدموا المطالب الآتية:

(قطع النفط عن الولايات المتحدة والإعتراف بالمهدى المنتظر... ومقابلة الملك خالد والأمير فهد).

■ قالت جريدة النهار اللبنانية (١٩٧٩/١٢/١) أن من بين مطالب الجماعة:

إلغاء الملكية وإنتخاب إمام للمسلمين والعودة إلى الحجاب الكامل للنساء، وإلغاء تعليم النساء؛ ومنع أجهزة الفيديو علماً أن

هذه الأجهزة والأفلام التابعة لها محظورة رسمياً فى السعودية ، وإن كانت السلطات تبدى تساهلاً فى مكافحة إنتشارها .

■ ونقلت جريدة النهار عن مجلة نيوزويك قولها : «إن العاهل السعودى كان ينوى زيارة المسجد الحرام يوم الهجوم ، لكنه أرجأ هذه الزيارة لإصابته بوعكة .. وتسبب كبير محررى المجلة «أرنودو شفريف» روايته هذه إلى مصادر الإستخبارات الأوروبية الغربية موضحاً أن المهاجين كانوا ينوون الإحتفاظ بالملك خالد إلى أن تتحقق مطالبهم التى هى : إقامة جمهورية إسلامية ، وخفض الإنتاج النفطى ؛ والتخلى عن الروابط القائمة مع العرب .. وذكر أن المهاجين كانوا يتوقعون رفض مطالبهم .. وفى هذه الحال كان سيحاكمون العاهل السعودى أمام محكمة ثورية» .

■ ذكرت صحيفة «الجارديان» البريطانية بتاريخ ٤/٢/١٩٨٠، مؤكدة على الأهداف السياسية :

(يجب تفسير حوادث العنف فى مكة على أنها تحد لسلطة العائلة المالكة وشرعيتها فى ممارسة الحكم) كما نشرت النيوزويك الأمريكية فى ٢١/٢/١٩٨٠ :

«إن خطط المتمردين هى الإطاحة بالملك خالد والعائلة المالكة ؛ لتأسيس حكومة إسلامية أكثر تشدداً من الحكومة الحالية» !! .

وكانت النيوزويك قد قالت فى وقت سابق بأن (هناك دلائل تشير فى مجملها إلى أن حادث مكة كان بداية لمحاولة إنقلابية

كادت أن تنجح) ونقلت عن مصادر أوروبية قولها بأن : (الحادث كان جزءاً من جهود منظمة واسعة الانتشار كانت تهدف إلى إسقاط الحكومة السعودية) .

على أية حال ، لقد تبين للرأى العام المحلى والعالمى ، أن الأهداف السياسية لم تغب عن عملية الحرم ، والتى هى فى الأساس أهداف دينية ، إذ لايمكن الفصل بوجهة نظرنا وبوجهة نظر من قام بالعملية ــ بين الدين والسياسة .

المهدى ومبايعته

لقد حاول الإعلام السعودى أن يجعل من قضية المهدى المنتظر؛ القضية الرئيسية لإنتفاضة الحرم فقد كان يوجه الأذهان إلى أن مبايعة المهدى كانت الهدف الوحيد للثوار؛ كما أن فكرة المهدوية أصبحت الميدان الوحيد للتحليل والبحث فى وسائل الإعلام السعودى ، فكانت صحف النظام تطرح الفكرة بشكل رئيسى وبإستمرار فى صدر صفحاتها الأولى .. كما أن العلماء والخطباء المرتبطين بالسلطة ركزوا فى أحاديثهم وخطهم على هذا الموضوع بالذات ؛ فبعضهم نفى الفكرة من أساسها وإعتبرها من الخرافات ؛ والبعض الأخرى ابدى رؤى متناقضة حول من يكون المهدى ؟ وهل أنه محمد بن عبدالله القحطانى الذى قالت به الجماعة أم لا ؟ وحاول الجميع أن يثبت أن المهدى ليس هو قطعا ..

والسؤال : لماذا إختارت أجهزة إعلام السلطة قضية المهدى

وأكدت عليها، بينما تغافلت عن الأهداف المهمة والخطيرة الأخرى ؟ .

لقد أراد النظام ضرب عدة عصافير بحجر واحد :

فأولاً : ليجرد عملية الحرم من أى طابع سياسى أو إجتماعى، وليضفى عليها طابعاً دينيا ذا أبعاد ضيقة .

وثانياً : ليفسح المجال لإشغال الرأى العام بقضية ثانوية عن مجمل القضايا المهمة الأخرى التى طرحتها الإنتفاضة، والمتمثلة فى جذورها ودوافعها السياسية والاجتماعية والإقتصادية .

وثالثاً : ليستثير المسلمين بطرحها حيث أن المذاهب الإسلامية تختلف فيما بينها حول تفاصيل فكرة المهدوية، وأن تركيز الإعلام عليها، سيثير الإختلافات، ويعزل المنتفضين عن بقية المسلمين الذين لايرون رأيهم فى الموضوع .

وأياً تكن الآراء مختلفة حول فكرة «المهدوية» بين المسلمين ؛ خصوصاً فى تحديد إسم المهدى فإن من الأمور القاطعة والمحسومة هى أن «الجماعة» تؤمن بفكرة المهدى، وتحدده فى شخص محمد بن عبد الله القحطانى .. على إعتبار أنه قرشى وأن إسمه كاسم النبى (محمد بن عبدالله) ويبدو أيضاً أن من الأمور المؤكدة هو أن الجماعة أرادت مبايعة (المهدى) فى الحرم الملكى وبالتوقيت الذى أرادت وهو فى مطلع العام الجديد من القرن الهجرى الجديد .. ومن الأمور التى حسمت وأكدت هى أن الجماعة طلبت فعلاً من المصلين مبايعة المهدى كإمام لهم وللمسلمين جميعاً إذا أن جهيمان

وبعض القيادين فى الجماعة وهم قلة ؛ إقتنعوا بأن القحطانى هو «المهدى» وأن الأوصاف التى ذكرتها الأحاديث المنقولة تنطبق عليه، لكن هؤلاء لم يعلنوا للعالم لأفراد جماعتهم الذين هم فى المراتب العادية أن هناك (مهدى يجب مبايعته، وإنما دعوهم للإجتماع فى الحرم وهناك أعلن جهيمان أن هذا هو (المهدى) وقدمه للناس للتعرف عليه، موضحاً الأوصاف المنطبقة عليه.

والشىء الذى يجب التأكيد عليه هنا، هو أن الجماعة لم تستخدم القوة وإجبار المصلين على المبايعة لسبب واحد وبسيط هو أن هذا الإسلوب يخالف قناعاتهم؛ فإذا كان جهيمان ضد الحكم السعودى والملوك السعوديين لأنهم يجبرون العامة على مبايعتهم قهراً؛ فالأولى به أن لا يستخدم هذا الأسلوب، والسبب الآخر الذى يؤكد ما ذهبنا إليه، هو أن أى حاج من المصلين الذين حضروا الواقعة لم يؤكد المزاعم السعودية حول إجبار المصلين على المبايعة بل نفوها جملة وتفصيلاً.

والآن دعنا نستعرض هنا بعض الحقائق حول الموضوع :

أولاً: إذا كانت عملية الحرم هدفها الوحيد مبايعة (المهدى) فى الحرم ــ كما روجت السلطة السعودية ــ فلماذا لم يخرجوا من الحرم مع أهليهم ولماذا السلاح والرجال والمؤن ؟

ثانياً: لو كانت السلطة السعودية دقيقة فى متابعتها (للجماعة) لأمكنها توقع شىء فى الحرم فى أية لحظة.. ذلك أن إحدى رسائل جهيمان خصصت لموضوع (المهدى) وخروجه (الفتن وأخبار

المهدى والدجال ونزول عيسى عليه السلام وأشراط الساعة) وهذه الرسالة تحوى تصوراً كاملاً لما يمكن حدوثه :

١ / فجهيمان وجماعته إندفعوا فى مواجهة الحكم السعودى نظراً للإنحراف الشديد فى المسيرة ؛ فضلاً عن أن الحكم السعودى أبى أن يصلح الأوضاع سلمياً ؛ وقد جربت الجماعة هذا الإسلوب ؛ بالرسائل والبرقيات والمناظرات مع المشايخ وغير ذلك .

٢ / والجماعة من جهة أخرى ترى أن الحكم السعودى غير شرعى ، ويجب إزالته خاصة وأن جهيمان يرى أن الحكم يجب أن يسلم إلى رجل من قريشى ، وآل سعود ليسوا كذلك ؛ وهذا ما دعاه إلى إيجاد بديل للخكم وهو القرشى (القحطانى) الذى أعلن أنه المهدى .. هذا إضافة إلى أن جهيمان رأى أن آل سعود وملوكهم لا يجرون الأمور حسب الشرع وأنهم أتوا على أسنة الرماح ..

٣ / ورسالة جهيمان المذكورة وضعت النقاط على الحروف فهى تصور الأمر على أن (المهدى) سيخرج من مكة ؛ ويكون القتال فى الحرم بعد أن يهجم عليهم الجيش الغازى وبعدها يخسف الله الأرض تحت أقدام الغزاة ... والطريف أنه تساءل فى رسالته عن كنه هؤلاء وأجاب : الله أعلم !! .

أى أنه ترك الأمر سراً ، رغم أنه بيت النية للإعتصام فى الحرم وهناك يعلن إسم (المهدى) وهناك أيضاً يخسف الله بالجيش السعودى الذى يبدؤهم بالقتال .

٤/ إعتمد جهيمان على أن أحاديث تبين أنه فى مطلع كل قرن يظهر مجدد للدين ؛ وهذا هو سر توقيته للعملية كما كانت فكرة المهدوية هى التى قادته إلى الإعتصام بالحرم وليس كما ذكر أنه كان يريد إلقاء القبض على الملك هناك أو ما أشبه .

ثالثاً: بغض النظر عن صحة أو خطأ قتل (المهدى) «**محمد بن عبد الله القحطانى**» وبغض النظر عن ما آكله جهيمان من العملية ، خصوصاً قضية الخسف بالجيش المعادى . فإن الأمر الذى لا يغيب عن بال المراقب ، أن من أعلن أنه (المهدى) ثم تبين أنه ليس كذلك كثيرون والقحطانى ليس أولهم .. فالاجتهادات لمختلف الفرق الإسلامية ولدت (مهديين) كثر. لن يكون أخرهم القحطانى ؛ أو محمد بن عبد الله الذى أعلن نفسه مهدياً فى السودان فى النصف الثانى من القرن الماضى ؛ والذى خلف جماعة كبيرة تحت إسم الطائفة المهدية ؛ والذين ينتمى إليهم الصادق المهدى زعيم حزب الأمة السودانى ؛ وزعيم الطائفة أيضاً .

رابعاً: إن محور عملية الحرم لم يرتكز على المطالبة بالمبايعة ؛ رغم أنها كانت حلقة هامة فيها ؛ فالهدف أساساً هو إسقاط النظام وفق الرؤية المذكورة (الخسف بالجيش) ومن ثم يأتى البديل للحكم وللأشخاص بعد مبايعة الناس ويعين القحطانى الذى رشحه جهيمان ــ شرط أن ــ ترضى عنه العامة ، وتبايعه بيعة كاملة بشروطها .

خامساً: كما أشرنا سابقاً أن جماعة جهيمان نشأت من رحم الجماعة السلفية ؛ ولكنها تختلف عنها فى أنها معارضة للحكم

السعودى ؛ وأنها تؤمن بفكرة (المهدى) على النحو الذى طبقه جهيمان فى الواقع ..

والجماعة إكتسبت أفكار المعارضة من حركة (الإخوان) السلفية التى قضى عليها عبد العزيز فى أواخر العشرينات الميلادية ؛ ولكنها تختلف عنها فى إضافة مسألة (المهدى) .. مع العلم أن جهيمان وكثير من أتباعه ما هم إلا امتداد لأجدادهم الذين قتلوا ضمن من قتل فى واقعة السبلة وغيرها والتى لم يقم بعدها للإخوان قائمة .. ولا غرابة هنا أن نجد جهيمان وبعد إنفصاله عن جماعة « **الدعوة المحتسبة** » واتخذ تسمية أجداده (الإخوان) فعرف نفسه وجماعته بجماعة (الإخوان) ؛ ودافع عن أسلافه أيما دفاع وشن فى الوقت ذاته هجوماً عنيفاً على المشايخ المرتبطين بالنظام ؛ لأنهم زودوا آل سعود بالفتاوى التى تجيز قتلهم ..

ومع هذا كله فإن أفكار الإخوان السابقين واللاحقين ، هى أفكار السلفيين ، مع بعض الإختلافات الهامشية والثانوية جداً .. والفرق كما ذكرنا لا يعود إلا لأمرين أساسيين : الأول : قضية (المهدى) والثانى وهو الأهم : معارضة آل سعود .

حول التليفزيون والكرة ومعاداة التقدم

قدم الإعلام السعودى جماعة المعتصمين للمجهور بصورة مزرية قبيحة ، ومارس تشويهاً متعمداً فى هذا المضمار ليرسم صورة ليرسم مبتذلة فى أذهان المواطنين ، مليئة بالتعصب والجهل والتخلف ... ومع أن كثيراً من الأقوال التى وصفت بها الجماعة ضمن هذا

الإطار صحيح ، إلا أن له تفسيرات تختلف عن تفسيرات السلطة السعودية والإعلام العربى المتعاطف معها .. هذا مع العلم أن هذا الموضوع لا يمثل إلا زاوية من الزوايا التى يجب أن تدرس لفهم الإنتفاضة ..

فتحريم السجائر والفيديو والتليفزيون ، واسبال الثوب ، وحلق اللحية ، وحرمة تصوير ماله روح ، والدراسة المختلطة .. هذه كلها محرمة بوجهة نظر الجماعة ؛ وصحيح أيضاً أنهم ضد الأغانى ؛ وضد السينما ؛ وضد خروج الأصوات النسائية من الراديو ؛ وضد تمثيلهن فى التليفزيون وظهورهن على شاشاته وغيرها .

ولكن من غير الصحيح أنهم ضد السيارة والطائرة وضد سكن البيوت ومع العيش فى الخيام ؛ وأنهم ضد أكل اللحوم وغيرها ؛ فهذه دعايات فارغة لا أساس لها من الصحة .

وقبل أن نبين وجهة نظر الجماعة حول هذه الأمور ؛ يجب أن نوضح بعض الحقائق التى تتعلق بالموضوع :

الأولى : أن أجهزة الإعلام السعودية تعرضت فى حديثها عن ما أسمته معاداة الجماعة للتقدم والوسائل الحديثة وما أشبه ، ولكن بصورة عرضية سطحية ، وهى بهذا تتضامن مع ما قالته الصحافة العربية التى روجت الأنباء إنطلاقاً من تعاضدها مع الحكم السعودى ..

الشىء المهم ذكره هنا ؛ أن البيانات الرسمية الحكومية خلت من التعرض للجماعة حول هذه القضايا المحرمة ؛ لسبب واضح هو

أن المؤسسة الدينية فى البلاد ؛ والتى يعتمد عليها النظام فى إسباغ الشرعية عليه ؛ تقول بهذه الأفكار وتروج لبعضها عبر الصحافة المحلية أيضاً ؛ وعليه .. فمن غير الممكن أن يهاجم النظام رسمياً هذه المحرمات لأنه يتبناها .. خوفاً أو طمعاً بتأييد المشايخ .

الثانية: أن المحرمات التى أعلنها أفراد الجماعة مؤيدة بنصوص دينية فى معظمها ، وإن كان التفسير والفهم لها يختلف بين بقية المسلمين .. كما أن هذه المحرمات لم تكن الأصل فى المعارضة للنظام ؛ وإنما هى جوانب من مأخذ الجماعة على الحكم السعودى ، ولم تكن هذه المحرمات أيضاً إلا جانباً ثانوياً من الأهداف إذ أن الهدف الرئيس هو إسقاط الحكم السعودى .

الثالثة: إن السلطة السعودية إستخدمت ذات الإسلوب وذات التهمة مع ذات الجماعة (الإخوان) فى عهد الملك عبدالعزيز .. فالملك إعتبر الإخوان السابقين أنهم فعالون فى الدين ؛ وأنهم ضد التليفون ، وضد التلغراف ، وضد السيارات وضد المخترعات الحديثة فقط ؛ ولم ينسب إلى ثورة الإخوان الأولى أنهم معادون له لأنه عميل للأجانب (الإنجليز) وأنه جول الإمامة إلى ملك جبرى ؛ وأنه عطل (الجهاد) .

وفى هذا التعامل مع الأهداف .. نقص ، إذ أنه لا ينظر إليها كمجموع متكامل ؛ وإنما يتناول جزء منها بالتعليق والتفسير المغلوط ؛ وتقديمه للرأى العام بالصورة التى تخدم أغراضه ..

وإذا كان من الصحيح أن الإخوان الأوائل كانوا ضد بعض المخترعات الحديثة ؛ فإن السبب لا يعدو أمرين :

أولها: أن الحكم السعودى ومشايخه هم الذين أفتوا بحرمتها.

وثانيها: إن هذه المخترعات ـ خصوصاً التليفون والسيارات الحديثة والأسلحة الجديدة المستوردة ـ تؤثر على سير المعارك وتقوى جهاز إبن سعود ضد معارضيه من الإخوان، وقد إعترف مترجم الملك بهذه الحقيقة؛ حينما أوضح أن الرشاشات الإنجليزية الحديثة كانت السبب الأول فى إنتصار إبن سعود فى معركة السبلة ضد الإخوان، وفى موقع آخر من كتابه أشار إلى ضرورة ربط البلاد بشبكة من الإتصالات تفيد الإبلاغ عن مواقع المعارضين؛ وقد إستفاد إبن سعود منها فعلاً حينما ثار (إبن رفادة) فقضى عليه سريعاً نتيجة سهولة الإتصالات السلكية..

ويكفى أن تعرف بأن الإتجاه العام فى صفوف المنضوين تحت اللواء السعودى.. وبدون إستثناء ـ كان ضد التليفون بالذات، إضافة إلى كونه ضد الإنجليز والتعامل معهم.. وتذكر المصادر أن القوات السعودية التى هاجمت الطائف عام ١٩٢٤م؛ كان أول عمل لها بعد إسقاط الحامية العسكرية الهاشمية، هو تكسير جهاز الهاتف؛ وقطع الإتصالات.. كما وتذكر المصادر السعودية أنه وبعد أكثر من خمسة عشر عاماً من القضاء على الإخوان لازال مشايخ السلطة ضد الهاتف.. بل إن بعضهم كان ضد السيارات حتى الاربعينات الميلادية..

وبالنسبة لجماعة الإخوان (الحالية) التى إعتصمت فى الحرم؛ فإن أفكارها وإعتراضاتها والأمور التى قالت بحرمتها لا يختلف عليها مشايخ السلطة أنفسهم؛ ولكن الإعتراضات الإخوانية كانت

مسيسة ، وهذا الأمر هو الذى حدا بالمرحوم جهيمان أن يقول بأن الشيخ إبن باز وهو الرجل الأول فى المؤسسة الدينية الحكومية ؛ لم يعترض على الرسائل التى كتبها سوى ما خصص ضد الدولة السعودية .. فالأصل أن الأفكار المطروحة لا تتعارض مع رؤية مشايخ السلطة أنفسهم .. وبالتالى فهى مقبولة فى الأوساط الشعبية ومعروفة وليست مستغربة .

ولهذا السبب تحاشت السلطة فى بياناتها الرسمية التعرض والطعن فى رؤى الإخوان تجاه القضايا المطروحة بإسم (التقدم والعمران والرفاهية) .. مع العلم أن صحافته غمزت وأوحت بطرق عديدة عن أن الجماعة رجعية ومتعصبة ..

والمرحوم جهيمان ، لم ينتظر التشهير من الصحافة السعودية وأخواتها ، لتقول أنه معاد للتقدم وما أشبه ، بل أوضح ذلك فى رسالته منعاً لأى إلتباس وأورد الحجج التى عنده حولها .

فهو يقول متهكماً على السلطة ومشايخها : **(ما معنى وجود هيئة الأمر بالمعروف ، والإفتاء والدعوة والإرشاد والشريعة وأصول الدين والدعوة؟ وما معنى وجود السينما ودور اللهو، وإدارة الفنون وغيرها ؟ وما معنى الإنفاق على هذه وتلك ؟ أليس هذا مهزلة؟ وإرضاء لأصحاب الشهوات ، وإسكات للدعاة وضحك على المشايخ ؟) .**

ويقول فى موقع آخر من إحدى رسائله : **(وهل ممكن إعلان الجهاد على دول الكفر؛ ولنا عندهم سفراء ولهم عندنا سفراء وخبراء وأساتذة؟ فلا تنخدع بزخارف المزخرفين كيف ندعو**

للإسلام والنصارى أساتذتنا؟ وهل ممكن أن ندعو لرفع راية الجهاد وعلم النصرانية يرفرف بجانب علم التوحيد؟ .. فدعونا يا قوم من المهزلة؛ ولا نكن مغرورين ومخدوعين إلى هذا الحد؛ لابد أن يكون عندنا فرقان بين الحق والباطل).

والطريف أن وزير الداخلية نفى أن تكون الجماعة المعتصمة فى الحرم لها مطالب سياسية، وأن تقطع العلاقات مع أمريكا؛ إذاً ماذا يدل هذا الكلام؟.

وحول حلق اللحية وإسبال الثوب؛ فقد تعرض جهيمان لذلك أكثر من مرة فى كراساته، يقول فى إحداها (**التوحيد كيف بينه القرآن ودعا إليه/ ص ٣٥**).

«وتجد أقواماً يلعنون إبليس بأفواههم ويطيعونه بأعمالهم، ويحبون الرسول صلى الله عليه وسلم بألسنتهم ويعصونه بأفعالهم؛ وأقرب مثال فى المصلين الذين يقولون أنهم موحدون، يتبعون داعى الله، ولا يتبعون داعى إبليس، تجد منهم من يحلق لحيته أو قصر منها، ويسبل ثوبه، وهم يعلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قد حرم ذلك كله بقول:

«إعفوا اللحى» ويقوله «ما أسفل الكعبين فهو فى النار» ... الخ.

ومن الجدير بالذكر أن جهيمان لا يؤمن بالمدارس والجامعات الحكومية فى الدراسات الدينية، ويشن حملة على الأساتذة الذين تخالف ممارساتهم وتصرفاتهم الدين الإسلامى الذى يزعمون أنهم يدرسونه للطلاب.

أما التدخين؛ فهو محرم لدى مشايخ السلطة قبل غيرهم، وإذا كان جهيمان قد قال بحرمته، فهو لم يضف جديداً، تماماً كما هو الحال بالنسبة لحلق اللحية وإسبال الثوب؛ وكذلك يصدق القول بالنسبة للتصوير، فلا زال مشايخ السلطة يحرمون التصوير إلى هذه اللحظة، بل إن الصحافة تنقل أحياناً إجابات للشيخ إبن باز حول هذا الأمر تؤكد حرمة التصوير!

أما التليفزيون والفيديو والراديو، فكان بالإمكان ــ بوجهة نظر جهيمان ومشايخ السلطة ــ القبول بها، لو كان نفعها أكثر من ضررها.. ولكن تحولت هذه الأجهزة إلى أدوات حكومية لنشر الفساد.. وإذا كان جهيمان قد إعترض عليها قبل ست سنوات.. فإن الصحافيين اليوم يسيطرون فى الجرائد المحلية إشارات الخطر من جهاز الفيديو وتأثيره على سلوك الجيل الشبابى، الذى أصيب بالفساد حتى التلف.. خاصة وأن السلطة تتساهل فى تمرير الأفلام الماجنة والخليعة؛ لدرجة أنها تباع وتؤجر فى عشرات الآلاف من المحلات المنتشرة اليوم فى البلاد.. بل إن الحكومة ــ ومن خلال البرامج التليفزيونية والإذاعية ــ بثت الميوعة والإنحلال فى المجتمع، ومتجاوزة المبادىء الدينية التى تحرم مثل هذه الأمور.. حتى وصل الحال أن تظهر ممثلات سعوديات على شاشة التليفزيون بدون حجاب؛ يقمن بأدوار يخجل المرء من ذكرها، مع العلم أن الحجاب مفروض من الناحية الرسمية!!

وبعد هذا؛ إذا كان جهيمان قد حرم التليفزيون فعلاً؛ وهو مالم يظهر فى أى من رسائله، فإنه إنما يحرمه لمساوئه الكبيرة، ولو

كان توجه النظام السعودى الإعلامى أخلاقيا ؛ ويراعى الدين ، ويهتم بتربية الجيل وتثقيفه ؛ لكان قد إتخذ رأياً آخر، هذا إذا سلمنا جدلاً أن جهيمان أفتى بحرمته..

أما دور السينما، فهى لم تصبح تجارية بعد ولم تصرح لها الحكومة علنا ، لكن من المعروف أن هناك عشرات ــ بل مئات ــ السينماءات منتشرة فى أنحاء البلاد ، وكلها بعيدة عن الرقابة الحكومية وتنشر أفلاماً منحطة أخلاقياً ، والقائمون عليها كلهم من أفراد العائلة الحاكمة ، كما هو حاصل فى الأندية الرياضية ــ مثلاً .

إن محور الشريعة هنا ، ليس فى وجود جهاز التليفزيون والراديو وغيرهما ؛ وإنما فى تأثيرهما وضررهما ؛ أى فى التوجه الحكومى ــ ولهذا قالت بعض الصحف أن الجماعة تحرم الراديو لأن أصواتاً نسائية تخرج منه ، وكذلك التليفزيون ، كما قالت أيضاً أنها ضد الأغانى وهذا طبيعى جداً ؛ وهو مأخذ على آل سعود وليس على جهيمان ، وكذلك كل بالنسبة للدراسات المختلطة فهذه ليست علامات تحضر حتى يدافع عنها إعلام آل سعود..

بقيت نقطة أخيرة.. إننا تعتقد بأن المأخذ الوحيد الذى يمكن أن يوجه للجماعة ، هو تكبيرهم للجزئيات ووضعها فى مصاف الأمور المهمة ، ووجود شىء من الإنغلاق فى الفكر ، وإن كنا نعتقد بأن الأجواء التى نمت وترعرعت فيها الجماعة أثرت بشكل كبير فى وجود هذا الأمر، وهذه الأجواء المنغلقة والحصار الذى يفرضه النظام على مصادر الفكر والثقافة ، مسئول عن إيجادها

النظام السعودى نفسه ، لأن الإنسان يتأثر بمحيطه ؛ فإن كان مليئاً بالتعصب والإنغلاق فلابد أن يلحق به شيء عنه .. والجماعة هى وليدة مجتمعها ومتأثرة بأوضاعه وبالتالى فإن السلبيات الموجودة فيه نالت فيها شيئاً قليلاً ..

كما أن أمراء الأسرة الحاكمة بتصرفاتهم الماجنة وفسوقهم المعهود عنهم وتجاوزهم لكل المحرمات ولد وردة فعل غاضبة قد تصل إلى النقيض.

فبالنسبة للتصوير، وبالرغم من أن المؤسسة الدينية الحكومية فى البلاد مجمعة على حرمته مستندة على فتاوى ونصوص قد لا يعتقد بقية علماء المسلمين داخل البلاد وخارجها بها أو بانطباقها فعلياً على الموضوع ، رغم هذا فإن السلطة تجرى الأمور حسب مصلحتها ..

ويذكر أنه فى منتصف الخمسينات أصدر مفتى الديار السعودية بياناً بحرمة التصوير، وفى اليوم التالى ظهرت الصحف السعودية بدون صور على الإطلاق بأمر من الملك سعود ، كما يذكر السفير العراقى المفوض فى جدة أمين المميز فى كتابه (المملكة العربية السعودية كما عرفتها) وبعد أيام غير الملك سعود رأيه وطلب وضع صوره ، وظهر بيان حول الأمر بين أهمية التصوير للإسلام !! .

وفى أواخر السبعينات ، بل وطوال فترة السبعينات ، كانت جماعة (الإخوان) تغطى صورة الملوك السعوديين الموجودة على النقود بالحبر الأسود ، مما إستثار آل سعود فجاوؤا ببعض مشايخهم ليفتوا خلاف رأيهم ، بأن الصور ووضعها ضرورى ومحلل شرعاً .

والقضية المركزية هنا أن تحريم الصور لازالت المؤسسة الدينية السعودية القائمة على العقيدة (الوهابية) مصرة على حرمته.. ومالم تتغير القناعات أولاً، وينظر إلى تفسير النصوص بتجرد ثانياً، فإن أفكار جهيمان وأمثال جهيمان لأشذ عن القاعدة حول قضية التصوير.

ومهما يكن من أمر، فإن من الواجب على كل باحث أن ينظر لأهداف الجماعة من كل الزوايا وأن يأخذها بمجموعها وليس بابتسارها.. فالجماعة طرحت أهدافاً دينية وسياسية لا يختلف عليها دعاة الحق؛ كإسقاط النظام الملكى، وقطع الروابط مع الغرب، وتصفية المجتمع من السلبيات والأمراض المجتمعية التى نتجت عن العهد الملكى السعودى الفاسد.. وماعدا هذه الأهداف فإنها أقل أهمية ولا يجب أن تؤخذ على أنها الهدف الكلى للجماعة.

الجماعة والجهات الأجنبية

تزخر الساحة الدولية والعالمية بحركات سياسية وعسكرية تقوم بها فئات وتنظيمات عديدة غير أن من المؤسف أن الكثير من هذه التحركات ومايتبعها من مواقف لايعبر عن قناعات هذه التنظيمات، وأنه يعبر عن رأى الأنظمة التى تدعمها، والتحرك الذى حدث فى مكة هو تحرك محلى بالدرجة الأولى ومسبباته وجذوره داخلية، وإن كنا نعتقد بأن التحرك الإسلامى فى الجزيرة العربية لاينفصل بأى حال من الأحوال عن موجة البعث الجديدة التى زحفت على ديار المسلمين بعد إنتصار الثورة الإسلامية فى إيران..

ومن جهة ثانية، لم يكن للجماعة التى إعتصمت فى الحرم أى روابط مع أى نظام بإعتراف آل سعود أنفسهم.. خاصة وأن جهيمان أوضح فى كراساته مواقفه من حكام الدول الإسلامية ومن الغرب الصليبى..

يقول فى أحدها: (كل هذه الدول الإسلامية لها نصيب من إظهار الإسلام، ولها نصيب من موالاة الكفار وإنما إختلفوا فى إتجاهاتهم وكلهم متفقون على محاربة الحق وأهله إذا خالف سياساتهم وسياسة من يوالونهم من أعداء الإسلام).

وفى موقع آخر يشن هجوماً على المشايخ الذين يسغبون الشرعية على الحكام الفاسدين كالحكام السعوديين بمدحهم لهم وتحبيبهم للناس، يقول:

(لو كان لإبليس دولة لوجد علماء وخطباء، شريطة أن يعطيهم الشهادة والمرتبة والمعاش؛ فنجدهم يتكلمون فيما لا يمس سلطانه، كما تجد علماء الدول فى هذا الزمان؛ كلما جاء حاكم ذكروا ما فيه من خصال الخير ليحببوه إلى الناس؛ ويحببوا الناس إليه فالمعروف ما عرفته الحكومة، والمنكر ما أنكرته والله المستعان).

ورغم وضوح مواقف الجماعة تجاه الغرب والأنظمة الفاسدة، فإنك تجد أن بعض الصحف ـ وخلافاً للمعقول ـ قالت أنها عميلة للأميريكين وإسرائيل!! وقد حاول آل سعود فى البداية أن يلصقوا العملية بجهات أجنبية أو كما قال فهد بصفاقة ووقاحة بالغة، وبعد

أكثر من شهر من وقوع العملية ، أن الجماعة محرضة سوفيتيا !! ولم يشأ أن يقول، بأن التحريض أمريكى لأن الأميركان أصدقاءه ، وما دام يبحث عن كبش فداء تتعمد التشويه فيلصقها فى الملاحدة الروسى !!

وهنا سنبحث بشىء من التفصيل مسألة إرتباط الجماعة بالجهات الأجنبية وكذبها ، وكيف أن أقوال السعوديين مدسوسة ومبتذلة ؛ وذلك من دراسة أمرين دارت حولهما المسألة : الأول تعدد جنسيات القائمين بالعملية والثانى تسلح الجماعة .

تعدد الجنسيات

رغم أنه بالنسبة لحماية الإخوان ، أو بالنسبة إلينا كحركة إسلامية عقائدية ؛ لا إعتبار لجنسية المجاهد ؛ فالجهاد فى سبيل الله ونصرة المستضعفين ومقاومة الحكام الظالمين المستبدين ، فوق الجنيسات والحدود الإقليمية والعنصريات والعرقيات .. إلا أن النظام السعودى الفاسد حاول الإستفادة من قضية تعدد الجنسيات من زاويتين :

الأولى: التركيز على أنهم غير سعوديين أو أن السعوديين هم قلة ، للإيهام بأن لا وجود للمعارضة فى البلاد ، أو أن وجودها لا يتعدى بضعة خوارج مهووسين .. هذا فى الوقت الذى كانت فيه الحكومة تحث الخطى فى القضاء بسرعة على المعتصمين لتحرير هذه الإكذوبة ، لكن القتال إستمر فترة طويلة من الزمن ، فإضطر آل سعود أخيراً إلى الإعتراف بالأمر الواقع ، وهو أن أغلب أفراد الجماعة هم من أبناء البلاد .

الثانية: الإيهام بأن هناك جهات أجنبية مخربة وراء حادث الحرم، بدليل وجود جنسيات متعددة هي بمثابة أيد مخربة؛ أو بالأحرى طليعة مخربة للجهاد الأجنبية، وقد إنكشفت حقيقة الإكذوبة السعودية لأكثر من سبب، فالمسئولين السعوديون وبالتحديد أمراء الأسرة الحاكمة؛ إختلفوا فيما بينهم حول الجنسيات؛ مما يعطى تشكيكاً فى الرواية السعودية ومن طرف آخر، تأخر الحسم العسكرى السعودى للقضاء على ما أسماهم (بالشرذمة) فإنهارت الآمال التى بناها على الشائعات والأكاذيب وتعرف الرأى العام على الأمور بمرور الأيام.

ومن جهة ثالثة؛ تبين أن كل الدول تقريباً قد تبدأ من العملية؛ وأن الإتهامات الجانبية فيما بينها ليست سوى ذيول للخلافات السياسية..

فى اليوم الثالث للعملية، طالعتنا صحيفة الجزيرة السعودية (٢٢ / ١١ / ١٩٧٩م) بتصريح لوزير الخارجية؛ كان كجواب حول سؤال عن جنسيات المعتصمين قال فيه: (إنهم ينتمون إلى عدة جنسيات منهم السعوديون، كما أن هناك خليطاً آخر يجرى الآن تصنيفه) ويلاحظ من التصريح أن وزير الخارجية رغم إعترافه بمشاركة المواطنين إلا أنه لم يشأ القول بأن معظمهم من أبناء البلاد مشيراً بطرف واضح إلى أنهم قلة، والبقية من الخارج أو أجانب حسب الرواية السعودية.

وفى مقابلة مع أمير المدينة السابقة الأمير عبدالمحسن بن

عبدالعزيز مع جريدة البلاد السعودية نشرتها فى نفس اليوم الذى صدر فيه تصريح وزير الخارجية قال :

«إن الإنحراف لا يعرف جنسية ولا لونا ، ولهذا فإنه ليس هناك ما يدعو للإستغراب فى أن يضل هؤلاء ويقدموا على فعلهم الإجرامى غير أن خروج فئة من أبناء هذا البلد على دينهم يعتبر أمراً مؤسفاً حقاً) !! .

لم يقل الأمير أن أبناء البلد خرجوا على الحكم السعودى ، وإنما خرجوا على دينهم ولم يقل بأن مواجهة الحكام الفاسدين كآل سعود واجب كل مسلم ؛ لأن مجاهدة أعداء الله لا تخضع للون أو الجنسية ، وإنما قال بأن الإنحراف (أى قتال آل سعود) لا يعرف جنسية .. وهذا تبرير للأسباب التى دعت غير المواطنين لقتال آل سعود ..

ومع هذا يريدنا الأمير أن لا نستغرب ، لأنه يعلم أن الرأى العام الخارجى تصور أن الحكم السعودى قوى متين ، ويستند إلى دعم شعبى فإذا بالإنتفاضة تقلب هذا الرأى ، ولهذا نأسف الأمير! .

وأخيراً إعترف وزير الداخلية فى مؤتمره الصحفى الذى عقد بتاريخ ٤ / ١٢ / ١٩٧٩م أى بعد إسبوعين من وقوع الحادث بأن الغالبية من أفراد الجماعة المعتصمين هم من أبناء البلاد لقد قال الأمير:

(للأسف .. الغالبية منهم سعوديون ومعهم جنسيات إسلامية أخرى من بلاد متعددة) .

والواضح فى الأمر قبل المؤتمر الصحفى لوزير الداخلية (١٩٧٩/١٢/٤) أن الإتهامات كانت تلقى جزافاً على أطراف لم تكن لها صلة بالحادث.. وقد ساعد على ترويج الإتهامات أن النظام السعودى لم يعط جواباً صادقاً وشافياً حول هوية المعتصمين.. لذا كانت الصحف العربية والأجنبية تروج الإتهامات ضد هذه الفئة أو تلك..

فأميركا التى كانت لا تزال تعيش صراعاً حاداً مع الحكومة الإسلامية الوليدة فى إيران، إتهمت الشيعة بأنهم وراء العملية، والسادات وإسرائيل إتهما الفلسطينين والشيعة؛ وبعض الدول إتهمت (الإخوان المسلمين) لأنها تعيش صراعاً معهم. وقسم آخر إتهم (الزيود) وآخرون إتهموا اليمن الجنوبى، وغيرهم إتهم إيران أو روسيا أو إسرائيل أميركا!! وما كانت هذه الشائعات لتلتقى رواجاً لو أن آل سعود حددوا جنسيات المعتصمين منذ البداية.

الأميريكيون الذين أعلنوا منذ اليوم الأول وقبل كل أحد عن الحادث، قالوا على لسان الناطق باسم الخارجية الأميركية وحسب ما ذكرته الصحف اللبنانية (**أن هذه المجموعات لم تعرف هويتها وأهدافها وقد تكون من المذهب الشيعى**).

وانتشر الخبر فى البداية على أن الشيعة هم وراء العملية بدعم من إيران ومما ساعد على هذه الإشاعة هو مسألة (المهدى المنتظر) فبالرغم أن جميع المسلمين يعتقدون بـ«المهدى المنتظر» إلا أن الكثير كان يتصور أن هذا الإعتقاد يخص الشيعة وحدهم.

من جهة روج النظام لهذه الفكرة إيعاناً فى التضليل ونقلت جريدة السفير عن أحد أعضاء الوفد السعودى فى تونس الذى يحضر القمة العربية قوله: أن «**الأذان قد أدى على الطريقة الشيعية**» ويبدو أن هذا التصريح المفرض قد جاء قبل أن تتوضح الصورة للوفد السعودى المرافق فى قسمة تونس، وإذاً كان ذلك صحيحاً فليس هناك أمر يبرره أو يسوغه.

وعاد النظام مرة أخرى فأكد أن المعتصمين هم من الشيعة، فقد ذكرت صحيفة (الجمهورية) المصرية أن مصدراً سعودياً مسئولاً قال بأن: «**المسلحين الذين هاجموا البيت الحرام ينتمون إلى زمرة خارجية عن الدين الإسلامى مشتقة عن طائفة الشيعة**».

وتلقفت جريدة (الفجر) الظبيانية الخبر المختلق فقالت على لسان القادمين من السعودية: (أنه لم يستطع لحد الآن تحديد الهوية السياسية للمسلمين المسلحين الذين هم على الأغلب من الوهابين أو منظمة أهل الحجاز.. غير أنهم أشاروا إلى أن المسلمين رفعوا «الأذان» على الطريقة الشيعية قبل إحتلالهم للمسجد الحرام وهذا نفى لأن يكون الجناة من المذهب الوهابى وما كانت (الفجر) بحاجة إلى نقل هذا الكلام من القادمين، طالما أن الصحافة العربية وعلى لسان المسئولين السعوديين قد قالوا به قبل يومين على الأقل! غير أن وزير الداخلية وبعد أن زادت الإتهامات ضد أمريكا نفسها على أنها وراء الحادث ــ نفى أن يكون لأمريكا أو إيران أو أى دولة أخرى

علاقة بالحادث فقال: (إنه لم يثبت إنتماء هذه المجموعة إلى إيران أو إلى أى جنسية معينة أخرى).

وبعد أن نفى أمراء الأسرة علاقة الأنظمة بالجماعة تحولت المسألة على (الإخوان المسلمين) وعلى (جماعة التفكير المجرة).. صحيفة عكاظ السعودية وبعد ثلاثة أيام من إعلان نفى وزير الداخلية، إتهمت الإخوان المسلمين وكتبت فى مقال لعلى حسين شيكشى، تحت عنوان (تأملات فى الحادث) أراء الحكم السعودى؛ فقال: (هل الحادث ــ حادث الحرم ــ جزء من المخطط العالمى للقضاء على الدعوة الإسلامية؛ بإضعاف المسلمين بضرب بعضهم البعض وبالتأثير على بعض ذوى النفوس المريضة بإقناعهم بشعارات ودعوات زائفة بهدف التأثير على الغير؟).. ثم يتساءل الكاتب مرة أخرى: **(هل لجماعة الإخوان المسلمين ــ وقد خربت فى مصر والسودان والآن فى سورية ــ علاقة بمثل هذه الجماعة التى إحتلت «الحرم» وبعد أن رأى القائمون عليها أن تتحول إلى جمعيات دينية ذات طابع سرى لتكون أكثر إنتشاراً وتغلغلاً فى العقول البسيطة دون أن تدرى؟).. إذن فالإخوان المسلمون وراء الحادث بنظر الإعلام السعودى والقائمين عليه!!.**

وتلقف أحمد الجار الله؛ هذه المقالة ليطرح صياغة جديدة؛ ويكتب بما نشبت عريض على صدر صحيفته (المعتدون على الحرم من الإخوان المسلمين) وكذلك فعلت جريدة النهار التى نقلت عن الرأى العام حديث الإفك وسطرت: (فى الكويت

تحدثت الصحف عن إنتماء مهاجمى المسجد الحرام إلى فصيل من الإخوان المسلمين فى مصر، يحمل إسم جماعة التكفير والهجرة، ويرفض كل مظاهر الحياة الغربية الحديثة) .

وبصريح العبارة؛ توضح أن آل سعود تبنوا فكرة أن الجماعة (الإخوان) لها علاقة بالإخوان المسلمين أو بجماعة التكفير والهجرة؛ وهو إدعاء باطل من أساسه وقد نشرت الصحف السعودية بعد (١١) يوماً من وقوع الحادث، وكعلامة واضحة لتبنى هذا الرأى، تصريحاً للشيخ حمود العقيل، أعلن فيه **(أن هذه العناصر تنتمى إلى جماعة التكفير والهجرة فى مصر وهم طائفة من الخوارج؛ كما هو معلوم) ..** وتلقفت أجهزة السادات الدعائية الفكرة؛ خروج لها، لأنه فى حرب مع هذه الجماعة وغيرها من الجماعات الإسلامية .. فبعد إعدام عشرة من المصريين بعد أسرهم ضمن قائمة الـ(٦٣) شخص، نقلت الصحف العربية تصريحاً لمصدر مصرى مطلع قوله :

(إن المصريين العشرة الذين قطعت رؤوسهم فى السعودية لإشتراكهم فى عملية المسجد الحرام قد يكونون أعضاء فى جماعة التكفير والهجرة الإسلامية المتطرفة، وأوضح المصدر أن السلطات المصرية كانت قد طلبت من السعودية تسليمها عدداً من أعضاء هذه الجماعة؛ لكن السعودية رفضت الطلب) .

(وأخيراً؛ وبعد أن روج النظام هذه الحكايات الدعائية الفارغة، وبعد أن استنفد أغراضه الدنيئة منها، قال نايف فى مؤتمره الصحفى فى (١٣/١/١٩٨٠) : (لاعلاقة بين المتمردين

وجماعة التكفير والهجرة فى مصر) .. والسؤال لماذا لم يقل نايف هذا الكلام إلا بعد أن إنتهت العملية ، أى بعد شهر و ٢٤ يوم على وجه التحديد .. أليس هذا دليلاً واضحاً على أن الأمراء إستنفذوا غرضهم التشويهى لحادثة الحرم .

أما الصحافة المصرية التى تعبر عن رأى السادات ؛ فقد تراوحت إتهاماتها وتخبطاتها حول جهتين ؛ **الأول:** إتهام إيران أو عناصر شيعية داخلية متعاطفة معها .

الثانى: إتهام الأنظمة المخالفة للسادات ومنها روسيا واليمن الجنوبى وليبيا .

فعلى سبيل المثال : قالت الأهرام : (أن هناك إحتمالين : أحدهما أن تكون الجماعة من أنصار الخومينى والآخر أن العملية ربما كانت من تدبير عناصر شيعية متعاطفة مع الخومينى) وقد جاء هذا الإتهام فى اليوم الثالث للعملية ؛ وبعد أكثر من شهر إتهمت صحيفة الجمهورية وإعتماداً على مصادر المخابرات الغربية كلا من ليبيا وعدن وروسيا بالتخطيط .

وإسرائيل إتهمت منظمة التحرير بإنها وراء العملية ؛ وأنها دربت الجماعة ومولتهم بالسلام وتخلت بهذا القول عن رأيها السابق من أن الخومينى وراء العملية ؛ رغم أنها اشتركت إيران ضمن القصة المصطنعة .. وأوضحت إسرائيل أن الأسلحة جاءت من اليمن الجنوبى ، وأن أفراد الجماعة تدربوا هناك فى معسكرات تابعة لجورج حبش !! .

أما روسيا فقد إتهمت المخابرات المركزية الأمريكية على أنها وراء الحادث، جاء ذلك ضمن تعليق لوكالة (نوفوستى) الروسية التى قالت: **(إن وكالة الإستخبارات الأمريكية وعملاءهم هم الذين دبروا عملية المسجد ونفذوها بحسب معلومات مصادر مطلعة، وذلك كجزء من خطة لإعداد المناخ الملائم للتدخل العسكرى المباشر ضد إيران).**

على العموم، أميركا إعتبرتها مؤامرة شيعية وروسية وروسيا إعتبرتها مؤامرة أمريكية، والسادات إعتبرها مؤامرة شيعية إيرانية/ليبية/ يمنية روسية؛ وإسرائيل رأتها مؤامرة خومينية فلسطينية، وبعض الأنظمة قالت فيها أنهم إخوان مسلمون أو تكفير وهجرة، أو أن السادات وراءها، وأنظمة أخرى قالت أنها صهيونية أمريكية.. الخ، أما النظام السعودى فقد إعتبرها كل ذلك؛ وكان السبب الأول وراء هذه الإتهامات التى روجها كل نظام ضد معارضيه لأنه لم يعلن عن جنسيات القائمين بالعملية إلا متأخراً جداً وبصورة غير قطعية، ولأنه نفسه وجه بعضاً من هذه الإتهامات ضد الحماية.. أملاً فى تشويه سمعتها، حتى يجمع الرأى العام على معارضتها..

فمن يقف ضد أميركا يكون ضدها لأنها مؤامرة أمريكية، ومن يتعاطف مع الغرب خوفاً على مصالحه أو إعجاباً بالحياة الغربية أو تأييداً لأنظمة الحكم الموالية لواشنطون أو خوفاً على ديار المسلمين من البعبع الشيوعى!! فعليه أن يقف ضدها لأنها حركة خطيرة مدفوعة شيوعياً!!

ومن يقف مع السادات فهو ضدها لأنها ليبية أو يمنية أو سورية ، ومن يقف ضد السادات فعليه أن يقف ضدها لأنها حركة مصرية أمريكية ، والطائف عليه أن يرفضها لأنها شيعية خومينية ، وفى العموم على الجميع أن يعارضها لأن الجميع يتفق تقريباً على أنها مؤامرة صهيونية !! وبالتالى لا يكاد المتتبع للأحداث أن يخرج من دوامة هذه المواقف إلا إذا كان يمتلك حساً دينياً ووعياً سياسياً يجعله يرفض هذه الترهات المعلنة .

حول السلاح والتدريب

من الأمور المؤكدة أن الجماعة (الإخوان) إستفادوا إستفادة كبيرة جداً من (الحرس الوطنى) فى الجانب العسكرى ؛ سواء من حيث التسليح والتزود بالذخيرة من مخازن الحرس ، أو من حيث التدريب على السلاح .

ذلك أن الجماعة لها مجموعات كبيرة من المؤيدين والمتعاونين داخل جهاز الحرس .. كما أن عشرات من أفراد الجماعة كانوا يعملون فى وقت سابق فى الجهاز؛ ومن ضمن هؤلاء المرحوم جهيمان نفسه الذى إشتغل فى الحرس لمدة ست سنوات على الأقل .. ولاشك أن الصداقات والعلاقات العشائرية ساهمت إلى حد كبير فى تأمين السلاح من مخازن الحرس .. خاصة وأن بعض قيادى الجماعة كانوا يتولون مناصب عالية فيه .. هذا إضافة إلى أن السخط داخل صفوفه قد دب منذ زمن بعيد بسبب الفساد والرشاوى والإنحراف المعشعش فيه .. وكان من الطبيعى أن تتضامن مجموعات من الضباط وذوى الرتب الصغيرة وبعض الرتب

العالية ؛ مع الأهداف التى كان يبشر بها (الإخوان) ويدعون إليها ، وهى أهداف واضحة ومقبولة شرعاً وعقلاً ، فضلاً عن أن ممارسات (الإخوان) وسلوكياتهم المنضبطة وإلتزامهم الذى عرفوا به فى الأوساط الشعبية ومعارضتهم للفساد داخل أجهزة الدولة وفى الأسرة المالكة ، واضح ..

والسؤال الأكثر أهمية وإلحاحاً ، ليس هو من أين جاءت الجماعة بالسلاح ؟ وإنما أين تم تدريب العناصر ، تلك التدريبات القاسية التى كانت ثمارها صمودهم أكثر من عشرين يوماً أمام القوة العسكرية الحكومية التى تفوقها عدداً وعدة ؟

قد لا يستطيع إعطاء إجابة محددة لهذا السؤال ، لكننا نستطيع التأكيد على أمر واحد هو أن أفراد الجماعة تلقوا تدريباتهم داخل البلاد ، والإجابات المحددة قد تكون السلطة السعودية قد حصلت عليها إثر القضاء على المعتصمين أو على الأقل حصلت على بعض المعلومات عنها ..

هناك فى البادية الواقعة بين المدنية ومكة والقرى التى حولها ، تدرب الإخوان .. ولأن حمل السلاح فى البادية لا ينظر إليه بحساسية كما هو فى المدن ؛ أو لأنه إعتيادى ، فقد إستطاعت الجماعة تدريب أفرادها بسرية تامة بعيداً عن أعين السلطة .. ولاشك أن جهيمان إستفاد من خبرته وخبرات رفقائه فى التدريب الذى لاحظ المراقبون أنه أفضل من تدريب السلطة لأفراد قوات الحرس الوطنى نفسه وهذا ما أثبتته المعارك التى خاضتها القوات الحكومية ضد الجماعة .

وقد يقول قائل أن إيمان الإخوان بعدالة قضيتهم بعكس القوات الحكومية التى إنخرطت من أجل المال ، والتى تعاطفت مع أهداف الجماعة عرقلت نشاط الحكومة العسكرى وقوت موقع المدافعين .. وهذا صحيح ولا خلاف عليه ، لكن لا يمكن بأى شكل من الأشكال التغاضى عن كفاءة أفراد الجماعة وحسن تدريبهم .

حول التسلح يمكن وضع الأطر التالية لتصريحات وبيانات السلطة السعودية :

١/ تقول السلطة بأن الأسلحة (متوفرة) فى البلاد .. بمعنى أن المصدر داخلى .. وأشارت إلى أن هناك (بعض) الأسلحة المهربة من الخارج .

٢/ أن الأسلحة عادية ومتنوعة ولكنها (مميتة) على حد قول وزير الداخلية !! وذلك للتقليل من أهميتها .

٣/ أغفلت تصريحات المسئولين وبيانات الداخلية الجانب المهم .. وهو مكان التدريب وهناك القليل من الإشارات إلى هذا الموضوع وقد أعطت السلطة الفرصة لصحافتها وللصحافة العربية والعالمية أن تتهم هذه الدولة أو تلك على أنها وراء تدريب الجماعة .

فى البيان الأول لوزارة الداخلية الصادر فى اليوم الثانى (لعملية ١٩٧٩/١١/٢١م) أشار إلى الأسلحة إشارة عابرة بقوله : (ومعهم بعض الأسلحة) .. ولم يذكر نوع الأسلحة ومصدرها وكيف تدربت الجماعة عليها وأين تم التدريب بل إكتفى بذكر

(بعض) الأسلحة للإيحاء بأن العملية محدودة وصغيرة وأن قوات القمع السعودية فى طريقها للسيطرة على الوقت.

وفى اليوم التالى (٢٢/ ١١/ ١٩٧٩م) قال وزير الخارجية: (إن السلاح الذى يحملونه هو من نوع السلاح الخفيف المتواجد والمنتشر، ولذلك لايمكن إعطاء هذا الحادث أى بعد أمنى خاص).

وملحق التصريح:

■ أن السلاح من النوع الخفيف.

■ أنه متواجد داخل البلاد ومنتشر أى أن المصدر داخلى كما يوحى التصريح، الذى لم يشر إلى كيفية إنتشاره وسببه.

■ النتيجة التى يريد أن يخلص إليها التصريح أنه لا يجب (إعطاء الحادث أى بعد أمنى خاص).

لأن الأسلحة متواجدة ومنتشرة وبلتالى فالمسألة عادية وغير مفاجئة.

وفى اليوم الرابع للعملية (٢٢/ ١١/ ١٩٧٩) نشرت الصحف السعودية بياناً لوزير الداخلية. نفى فيه خبر إسقاط الجماعة لطائرة هليوكبتر عسكرية تابعة للقوات المسلحة السعودية، وكانت ضمن الطائرات التى هاجمت المعتصمين فى داخل الحرم؛ وأكد من جديد أنه (ليس فى حيازة المتمردين سوى أسلحة حقيقية).

غير أن أحد القيادات العسكرية فى الجيش السعودى قال فى اليوم الثامن للعملية، أن القوات العسكرية استطاعت فى هذا

اليوم (٢٧/١١/١٩٧٩) تحديد نوعية الأسلحة ولم يكن بالمقدور التعرف عليها قبل ذلك.. وهذا التصريح يوضح كيف أن تخرصات المسئولين تصبح حقائق بمجرد التصريح بها، وأنهم يجيزون لأنفسهم قول ما يريدون دون الإكتراث بالحقائق، لقد قال القائد السعودى الرائد محمد النفيعى: (كان العسكر يستطيعون تحديد نوعية السلاح من نوع رمايته، ولكن نظراً لكثرة ما أطلق من النيران؛ وإختلاط الأصوات مع بعضها البعض ما إستطعنا، ولم تستطع كذلك أن تقبض على شخص معه سلاح، إنما النتائج فى هذا اليوم، إستطعنا أن نقبض عليهم بأسلحتهم وتحديد نوعية الأسلحة التى إستخدموها تحديداً قاطعاً..) فالرائد العسكرى يقول أنه إستطاع تحديد نوعية السلاح بشكل قاطع فى اليوم الثامن للعملية، بينما وزير الخارجية والداخلية قرروا النوعيات فى اليوم الثالث !!.

وهنا بدأت التصريحات السعودية تأخذ منحنى جديداً، فمع بداية ديسمبر ظهرت التلميحات السعودية بأن هناك جهات تمويل الأسلحة.. ترى هل إكتشف السعوديون شيئاً جديداً ؟.

يعتقد ذلك..

فن الأمور شبه المؤكدة أن شحنات ضخمة من السلاح وصلت ه من لبنان إلى البلاد.. وأن (الإخوان) هربوا قطع سلاح كثيرة من هناك والمسئولون السعوديون لم يفاجأ والقضية التهريب من الخارج، ولكنهم كانوا حريصين على معرفة ما إذا كانت هناك مجموعات سياسية أو أنظمة وراء العملية، ويبدو أن المسئولين قد توصلوا فعلاً إلى حقيقة واحدة، وهى أن السلاح وتهريبه للداخل

كان مجرد عملية تجارية تمت بين طرفين كان (الإخوان) أحدهما، ولم يستطع أمراء الأسرة الحاكمة إيجاد دليل واحد يثبت مزاعمهم وإفتراءاتهم..

ففي مؤتمره الصحفي الذي عقده بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٤م، قال وزير الداخلية مانصه: (أن المعتدين مسلحون؛ كما أنهم ممولون بالسلاح) وبعد يومين من تاريخ عقد المؤتمر نشرت صحيفة الجزيرة السعودية (١٩٧٩/١٢/٦م) تصريحاً لنايف أثار فيه إلى وجود تهريب السلاح من الدول المجاورة: (السلاح الذي كان لدى هذه الفئة هو سلاح عادي يملكه أي مواطن سعودي.. وهناك بعض المحاولات التي قد نجح أحياناً في تهريب بعض أنواع السلاح الخفيف عبر حدود السعودية من بعض جاراتها..) وأضاف (أن وزارة الداخلية ستصدر نظاماً يمنع حمل السلاح دون الحصول على ترخيص رسمي، وأن هذا النظام لايعني سحب السلاح من أفراد القبائل والبدو.. إن هذا الأمر غير وارد. لأي مواطن سعودي يعتبر وجود السلاح جزءاً من رجولته).

وفي تصريح الأمير هنا بعض المقالات ينبغي التنبيه لها:

١/ بالرغم من أن السلاح منتشر، خاصة بعد إنتفاضة الحرم ١٤٠٠هـ، فإن من المبالغ به أن يقول الأمير بأن السلاح لدى الجماعة عادي يملكه أي مواطن.. فهو يريد أن يوضح بأنه ليست هناك حساسية في حمل السلاح لأي شخص كان، وأن الدولة لاتمنع ذلك.. وإنما الجديد هو إستخدام السلاح ضد الحكومة.. وهذا من باب تقليل الأهمية للطرف المقابل وهم (الإخوان).. فما

دام كل الناس يمتلكون السلاح، ولم ينتفض كلهم ضد الحكم السعودى فهذا يعنى أن هذه الفئة قليلة وضعيفة ولا تحظى بتأييد شعبى داخلى.

٢/ نظام حمل السلاح الذى أعلن عنه وزير الداخلية ــ مبكراً ــ ضدر فى أواخر عام ١٤٠٣هـ وقد طلبت الوزارة بموجبه أن يسجل كل حامل سلاح، إسمه ونوعية سلاحه لدى وزارة الداخلية إبتداء من ١٤٠٤/١/١هـ وحتى نهاية السنة (١٤٠٤هـ) وإلا فإن العقوبة وخيمة، ولكن لأن أحداً لم يراجع، فقد زادت الوزارة المدة لسنة أخرى تنتهى فى نهاية عام ١٤٠٥هـ وتعتقد بأن الوزارة لن تفلح فى مسعاها..

والسبب هو أن السلاح حمله واقتناؤه ممنوعان رسميا، وأن معظم الأسلحة التى يمتلكها أفراد الشعب ــ إن لم تقل كلها ــ جاءت عن طريق التهريب؛ وليس هناك أحد مستعد أن يسلم سلاحه ويفرض الضغوط على نفسه مع ما يتبع ذلك من تحقيقات أو سجن أو سحب السلاح كلية؛ بمجرد تهديد الوزارة، لأن تهديدها ومنعها له قائم بالفعل، ومن عشرات السنين، والذى يقرأ قول وزير الداخلية: (**سيصدر قريباً نظام يمنع حمل السلاح**) يتصور أن حمل السلام كان جائزاً، ثم أصبح محرماً، بنيما التحريم كان وكما قلنا ــ قبل عشرات السنين حتى للبنادق العادية التى تستخدم لصيد الطيور، بل إن الوزارة سحبت بعد الإنتفاضة لعب الأسلحة النارية الخاصة بالأطفال من محلات بيع اللعب وذلك خوفاً من تطويرها إلى سلاح قاتل!

لقد كان واضحاً لأفراد الشعب أن وزارة الداخلية بعد أن عجزت عن منع تهريب السلاح، تسعى لجمعه وتحديد مواقعه والتعرف على مهربيه بحجة واهية هى تنظيم إستعمال السلاح.

٣/ يتزايد الشعور فى الأوساط الشعبية بالحاجة إلى السلاح، خاصة منذ منتصف السبعينات وقد تزايد هذا الشعور بعد وقوع الإنتفاضة عام ١٤٠٠هـ، وهناك أسباب عديدة تؤجج هذا الشعور المتنامى؛ منها ماعبر عنه وزير الداخلية بقوله أن السلاح يعتبر جزءاً من رجولة المواطن.. خصوصاً لأولئك المقيمين في البادية من أبناء القبائل.. ومنها عدم الشعور بالأمن وتقصيراً أجهزة الدولة فى ذلك.

والأهم من كل هذا إستعداد الفئات المعارضة من الجماعات الدينية والقبائل لمقاتلة النظام والعائلة المالكة الفاسدة مما يحتم عليها توفر السلاح فى يدها بإنتظار الفرصة المواتية.

وتنقل مصادر مطلعة أن مجموع ما هرب من السلاح الخفيف إلى الداخلعام ١٤٠٣هـ يفوق ما حصل عليه الحرس الوطنى نفسه؛ وإن صحت هذه التقديرات، فإن مستقبلاً مظلماً ينتظر العائلة المالكة الفاسدة.

وفهد.. الملك السعودى الحالى ــ أشار هو الآخر إلى التمويل بالسلاح، فقال فى تصريح له نشرته مجلة النهار العربى والدولى: (إن السلاح السوفيتى والتحريض كذلك) موجهاً بأن روسيا وراء السلاح!! وهو تصريح فظ ومستهجن ومكشوف.

وجاء نايف مرة أخرى وحدد الدول التى تم منها التهريب (اليمن الشمالى سابقاً ثم لبنان) ففى ندوة عقدها الوزير بتاريخ ١٨/١/١٩٨٠م فى جامعة الرياض (الملك سعود) قال: (إن المعتدين دخلوا الحرم بسلاح يتكون من بنادق ورشاشات تشيكية وليست سوفياتية ــ الصنع، موجودة فى المملكة منذ حرب اليمن عام ١٣٨٣هـ حيث تسربت إلى البلاد عن طريق بعض القبائل وعن طريق التهريب، وبعضها بعد حرب لبنان، كما كان لديهم أسلحة أخرى مثل المسدسات وبنادق الصيد).. وما هى إلا ثمان وأربعين ساعة حتى نشرت جريدة السفير مقابلة مع نايف، أضاف فيها إضافات حول الأسلحة بقوله: (ويهمنى أن أشير هنا أن الأسلحة التى كانت بحوزتهم هى أسلحة خفيفة وشعب المملكة وخصوصاً أهل البادية.. يملكون الأسلحة الفردية، إضافة إلى أن الذخيرة كانت تهرب إلى داخل المملكة من لبنان إلى سورية ومن سورية إلى الأردن فالعراق؛ ثم يجرى توزيعها بين أنحاء المملكة والخليج) وأضاف (أمر التهريب والأسلحة ليس بغريب فى أى حال، لقد كان مقتحمون الحرم يملكون رشاشات خفيفة وبنادق ومسدسات ولكنهم لم يكونوا يمتلكون أى أسلحة متطورة ولا حتى قنابل).

ولما أنهت العملية وأعدم المعتصمون فى ثمان مدن من البلاد، غير وزير الداخلية رأيه حول مسألة التهريب بعد أن أكدها فى أحاديثه السابقة، ففى مؤتمر صحفى عقده فى (١٥/١/١٩٨٠) قال أنه (يمكن) أن يكون بعض الأسلحة مهرب من الخارج:

(بالنسبة للأسلحة فليست هناك كمية كبيرة، بل هي أسلحة موجودة في البلد؛ ولكنها طبعاً أسلحة مميتة، وهي رشاشات متنوعة؛ منها صناعة شرقية وصناعة غربية وعددها محدود؛ وكذلك بنادق قديمة مما يستعمل في البلد ومسدسات وطبعاً كانوا يطلقون النار بكثافة وكانت لديهم خبرة، ويمكن أن يكون بعض الأسلحة مهرباً، ولكن ليس هناك مصدر يمكن أن تسميه ممولاً لهؤلاء، أو يقيم الشبهة على وجود جهة ما قد إشتركت في تسليحهم).

(فإذا كان الأمر بعد القضاء على المعتصمين وإعدامهم لم يتأكد بعد من أن جهة وراء تسليحهم؛ فماذا سمح فهد وإخوته لأنفسهم بأن يقولوا بأنهم (ممولون) وأن الأسلحة سوفياتية والتحريض كذلك) كما قال فهد!!

وهكذا يتبين أن الإدعاءات السعودية حول إرتباط الجماعة بجهات أجنبية ما هي إلا محض إفتراء، وهذا ما إعترف به آل سعود أنفسهم في تصريحاتهم المتناقضة وبالتالي فلا الإستفهامات حول (جنسية) المهاجمين أفادت في تحرير الإكذوبة، ولا (تسليح وتدريب) الجماعة أقنع أحداً حتى المسئولين أنفسهم.

تمت الوثيقة

هذا الكتاب

إلى من باعوا ضمائرهم وزوروا التاريخ من كُتاب ومؤرخين ، اقحموا نسب آل سعود بنسب النبى العربى زاعمين أنهم من نسب النبي (محمد بن عبد الله) وأنهم وكلاء الله فى خلقه وعلى أرضه لتبرير جرائمهم وفحشائهم وتثبيت عروشهم المكروهة وتدعيم الملكِية التى حاربها العرب قبل الإسلام وبعده ، حاربها الناس أجمعين على مر التاريخ ولعنتها كل الكتب المقدسة وحذر منها القرآن بقوله : ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها .. ﴾ ومع ذلك يتجاهل آل سعود قول القرآن هذا ويزعمون كذباً أنهم يؤمنون بالقرآن فى الوقت الذى يصدرون أوامرهم بتحريم نشر أو إذاعة أو قول مثل هذه الآيات القرآنية الداعية لمحاربة الملوك.

المؤلف



مكتبة مدبولى الصغير
٤٥- البطل أحمد عبد العزيز - المهندسين